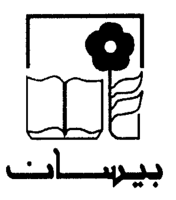
تقويم الفكر الديني
المتمرد على الإسلام

يعقوب محمد اسحاق

تقويم الفكر الديني المتمرد على الإسلام



● اسم الكتاب: تقويم الفكر الديني المتمرد على الإسلام
● المـــــؤلـف: يعقوب محمد اسحاق
● الطبعة الأولى: شباط (فبراير) 2009م

● الناشر: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام
ص. ب: 5261 ـ 13 بيروت ـ لبنان
تلفاكس: 351291 1 00961
E-mail: info@bissan_bookshop.com
Website: www.bissan_bookshop.com

استهلال

من السهل رسم خريطة لأهم ملامح الفكر الديني المتمرد على الإسلام السمح في المملكة العربية السعودية منذ عام 1400هـ حينما اقتحم جهيمان العتيبي الحرم المكي وعطل الصلاة فيه لمدة خمسة عشر يوماً تقريباً بهدف الاستيلاء على السلطة، صحيح أنه فشل في محاولته شكلياً، إلا أن الفكر الديني للمدرسة التي تَخَرَّجَ منها، هو الذي ساد البلاد وَخَرَّبَ العباد، ويمكن رسم ملامح الفكر الديني السائد عن طريق العناوين الآتية:

* المرأة فاسدة مفسدة..
* تحريم كشف وجه المرأة..
* تحريم قيادة المرأة للسيارة..
* تحريم عمل المرأة مع المرأة..
* تحريم الاختلاط..
* منع المرأة من السفر من دون تصريح من ولي أمرها..
* تحريم قيام المرأة بوضع عباءتها على كتفها بدعوى أن في ذلك تشبهاً بالرجال..

* تحريم مصافحة المرأة. .

* صوت المرأة عورة. .

* إهدار حقوق الإنسان. .

* تكفير الحكام والشعوب والصحفيين والكُتّاب والأدباء والشعراء والفنانين. .

* تجسس رجل الحسبة على المواطنين. .

* رجال الحسبة لا يعاقبون حتى لو قاموا بتعذيب الناس أو قتلهم. .

* مطاردة المتهمين بالسيارات حتى لو أدى ذلك إلى موتهم. .

* التحايل على المتهمين من طريق ترغيبهم في التوقيع على تعهدات بحجة أنها تؤدي إلى قفل ملف التهم الموجهة إليهم، واستخدامها في إدانتهم أمام القضاء. .

* احتكار النجاة من النار لهم دون الآخرين. .

* التحريض على جهاد الطلب. .

* رفع المصاحف عند الهزيمة من أجل تفاديها.

* اتهام المعارضين بالعمالة والخيانة والكفر. .

* السيطرة على إعداد المناهج التربوية. .

* تحريم تعليم الإنجليزية في المرحلة الابتدائية. .

* الاستيلاء على المنابر في المساجد. .

* السيطرة على المخيمات والمعسكرات الصيفية للطلبة لنشر مفاهيمهم الموبوءة. .

* تقصير الثياب. .

* إطلاق اللحى . .

* تبديع الآخرين . .

* تشويه سمعة الديموقراطية والليبرالية والعلمانية والحداثة . .

* الحكم بأن الأرض مسطحة وليست كروية . .

* الإصرار على أن الأرض ثابتة ولا تدور حول الشمس . .

* تفسير الظواهر الكونية الت حدثت بسبب الإحتباس الحراري بأنها تحدث بسبب الذنوب . .

* إخراج أهل الكتاب من الجزيرة العربية بوسائل إرهابية . .

* الاستعانة ببعض النظريات الفقهية الخلافية لتحريم الحلال . .

* تحريم استخدام الجوال ذي الكاميرا . .

* تحريم مشاهدة التلفاز . .

* نشر الأعراف القبلية تحت ستار الدين . .

* محاربة تقنين الأحكام الفقهية . .

* تعاون المؤسسات الدينية مع بعضها ضد الدولة وضد المواطنين لحماية مصالحها .

* معارضة الفصل بين السلطات . .

* استخدام هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لفرض الأعراف القبلية والمفاهيم الدينية الحزبية بتلفيق التهم ضد الأبرياء . .

* اللجوء إلى القضاء لفرض عقوبات ما أنزل الله بها من سلطان لإرهاب المواطنين وإخضاعهم للسيطرة . .

تلك هي أهم ملامح الفكر الديني المتمرد على الإسلام السمح في بلادنا في العصر الحالي وهو فكر ظلامي، يلوث عقول أولادنا وبناتنا بمفاهيم مريضة، وهو الأمر الذي يقودنا إلى الاعتراف، بأنا نعيش في أسوأ عصور انحطاط الفكر الديني الذي عرفه تاريخ المسلمين.

إن اعترافنا بهذا الواقع المريض يعني أننا قطعنا نصف الطريق إلى تقويم الفكر الديني المتمرد على الإسلام، ويمكننا أن نقطع النصف الآخر للطريق بتصحيح تلك المفاهيم الدينية السقيمة استناداً إلى القرآن الكريم والحديث النبوي الصحيح اللذين أُسيء فهمهما لأسباب أيديولوجية..

ومن أجل ذلك أَلَّفْتُ كتابي السابق: «إصلاح الفكر الديني أولاً»، الذي منع من التداول في بلادنا لأسباب غير مقنعة، ولذلك لجأت إلى نشر أفكاري وآرائي الدينية من طريق جريدة: (البلاد) بفضل شجاعة رئيس تحريرها الصديق الأستاذ علي محمد حسون رغم أن هذه الجريدة محدودة التوزيع، لأن معظم رؤساء تحرير صحفنا المحلية اعتذروا لي عن عدم قدرتهم على نشر مقالاتي الجريئة فكرياً..

وأنا شخصياً من أحد المعارضين بشدة لإعادة نشر المقالات الصحفية في كتاب إذا كانت تعالج مشاكل آنية تموت قيمتها بعد وقت قصير، إلا أن بعض الأصدقاء والقراء الذين لا تربطني بهم علاقة شخصية طلبوا إليّ بإصرار وبإلحاح على تجميع مقالاتي في كتاب، لأنه ليس كل الناس يقرؤون جريدة (البلاد)، ويحسن جمعها في كتاب، لأنها تعالج هموم المواطن السعودي ومشكلاته ومعاناته من الفكر الديني المتمرد على الإسلام السمح في هذه الأيام، فوافقت على الفكرة بعد تردد، لأن جمعها في كتاب يتيح الفرصة لمن لا يقرأ جريدة: (البلاد) أن يقرأها، وقد قَسَّمْتُ موضوعات الكتاب على ثلاثة محاور هي:

المحور الأول: القضاء . .

المحور الثاني: هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . .

المحور الثالث: هموم فكرية دينية عامة . .

راجياً أن يسهم هذا الكتاب الذي أسميته: (تقويم الفكر الديني المتمرد على الإسلام) في تنوير مَنْ يحتاج فكره إلى تنوير، وأن يعيش حياة حرة كريمة، من غير وصاية على فكره من المؤسسات الدينية المستأسدة على الشعب السعودي الوديع . .

يعقوب محمد اسحاق
جدة في: 21/ 7/ 1429هـ
الموافق: 24/ 7/ 2008م
الجوَّال: 05056141177
E-mail: babayaqoob@yahoo.com

المحور الأول

القضـاء

مقارنة بين خمسة أحكام قضائية

في القضية الأولى: قامت مجموعة من تلاميذ المدارس بالتحرش بفتاتين، أي قامت بمعاكستهما، وتولى أحدهم تصوير المعاكسة التي تمت تحت أحد الأنفاق في مدينة الرياض، وبعد التحقيق معهم أحيلت القضية للمحكمة الشرعية في الرياض، فأصدرت بحق أفرادها الأحكام التعزيرية الآتية:

* حكمت على المتهم الأول بالسجن لمدة 12 سنة وجلده 600 جلدة.
* حكمت على المتهم الثاني بالسجن لمدة 10 سنوات وجلده 600 جلدة.
* حكمت على المتهم الثالث بالسجن لمدة 7 سنوات وجلده 400 جلدة.
* حكمت على سبعة متهمين آخرين بالسجن لمدة 6 سنوات وجلد كل منهم 400 جلدة..
* حكمت على المتهم الأخير بالسجن فقط لأنه مريض...

في القضية الثانية: قام سبعة أشخاص باختطاف فتاة عمرها 19 سنة، واختطفوا أيضاً الشاب الذي كانت معه في سيارته، ثم اغتصبوا الفتى والفتاة تحت تهديد السلاح، فأصدرت المحكمة العامة في القطيف بعد الاسئناف أحكاماً تعزيرية مشددة حسب طلب التمييز تراوحت بين سنتين وتسع سنوات

سجناً مع جلد كل منهم، إلا أن المستغرب أن العقوبة المشددة لحقت الفتاة التي اختطفت واغتصبت تحت تهديد السلاح، حيث حكمت عليها بالسجن لمدة ستة أشهر وجلدها 200 جلدة!!

في القضية الثالثة: نشرت جريدة «عكاظ» يوم 24/ 11/ 1428هـ بأن مجرماً من الجنسية التشادية اقتحم بيت أحد المواطنين، واغتصب ابنة صاحب البيت تحت تهديد السلاح، وأن المحكمة العامة في مكة المكرمة حكمت عليه بإقامة حد الحرابة في حقه، أي قتله..

في القضية الرابعة: نشرت جريدة (عكاظ) يوم 29/ 11/ 1428 هـ، بأن محكمة التمييز قد صادقت على الحكم الصادر من المحكمة العامة بسجن مواطن لمدة عشر سنوات وجلده ألف جلدة، لإدانته بالمشاركة في سلب عمالة وافدة تحت تهديد السلاح.

في القضية الخامسة: نشرت جريدة «عكاظ» أيضاً يوم 29/ 11/ 1428هـ، بأن محكمة رياحين الخبراء، أصدرت حكماً بسجن مواطن لمدة 13 عاماً وجلده 1170 جلدة، لأنه ابتز امرأة بصورة فوتوغرافية قبل ثماني سنوات..

من المفيد إجراء مقارنة موجزة لتلك الأحكام القضائية، وتتلخص في الآتي:

أولاً: السجن لمدة تتراوح بين 6 ـ 12 سنة للأولاد المتهمين بمعاكسة فتاتين..

ثانيا: السجن لمدة تتراوح بين 6 ـ 9 سنوات لمن قاموا باختطاف فتاة وفتى واغتصابهما تحت تهديد السلاح، علاوة على سجن الضحية وجلدها...

ثالثاً: تطبيق حد الحرابة، أي القتل بحق تشادي اقتحم منزلاً، واغتصب فتاة فيه تحت تهديد السلاح..

رابعاً: السجن لمدة 10 سنوات لمن سرق عمالة وافدة تحت تهديد السلاح.

خامساً: السجن لمدة 13 سنة لمواطن ابتز امرأة بصورة فوتوغرافية قديمة لها..

الرأي:

إذا قمنا بمقارنة الحكم الصادر في قضية فتاة القطيف التي اختطفت واغتصبت تحت تهديد السلاح المشار إليها في: (ثانياً) بالأحكام القضائية الأخرى، نجد أن الحكم على هؤلاء المجرمين فيه قدر كبير جداً من التسامح.. ولعل الجزء الذي لا يقبله الشرع والمنطق والقوانين الأرضية في هذا الحكم هو سجن الفتاة الضحية لمدة ستة أشهر وجلدها 200 جلدة..

أما إذا قارنا الحكم الصادر بحق التشادي في القضية الثالثة وهو الذي اغتصب فتاة تحت تهديد السلاح بعد أن اقتحم منزلها بقوة السلاح، حيث حكم القاضي على هذا المجرم التشادي بتطبيق حد الحرابة عليه، أي حكم عليه بالقتل، وقارنا هذا الحكم بالحكم الصادر على المجرمين في القضية الثانية التي اختطف المجرمون فيها، واغتصبوا الفتى والفتاة بعد اختطافهما تحت تهديد السلاح، حيث حكم على هؤلاء المجرمين بالسجن لمدد تترامح بين 2 ـ 9 سنوات سجناً مع جلدهم، فإن هذه المقارنة تكشف للرأي العام أنه تم تطبيق الحكم الشرعي بحق المجرم التشادي، بينما أعفي المجرمون في القضية الثانية من تطبيق حد الحرابة، وصب الحكم جام غضبه على الضحية المغتصَبة، كادت هذه الفتاة أن تكون ضحية لمرتين اثنتين، في المرة الأولى حينما تم اختطافها واغتصابها بالقوة، وفي المرة الثانية عندما صدر الحكم عليها بسجنها لمدة 6 أشهر وجلدها 200 جلدة، لولا أن خادم الحرمين الشريفين حفظه الله استخدم

صلاحياته الشرعية في إنقاذ الضحية التي صدر بحقها حكم بالسجن والجلد من دون ذنب اقترفته..

وأكتفي بهذه المقارنة وأترك الباقي للقراء الكرام، لكي لا يطول مقالي أكثر من اللازم.

وهنا يقفز إلى الأذهان سؤال وجيه يقول: لماذا تصدر مثل هذه الأحكام المتفاوتة بين الشدة والتسامح في قضيتي التشادي وفتاة القطيف، بينما كان الحكم على الأولاد المتحرشين بفتاتين وتصويرهما في أقصى درجات الصرامة؟ إنه سؤال مهم جداً أطرحه على كل من يهمه الأمر.

نشر في: 5/ 1/ 1429هـ
الموافق: 14/ 1/ 2008م

ضحية جديدة للقضاء

الضحية الأولى مشهورة محلياً وعالمياً، وهي المعروفة باسم: «فتاة القطيف» وهي فتاة عمرها 19 سنة، كانت في سيارة مع أحد الجيران لاسترداد صورة شخصية لها منه، فانقض عليهما سبعة أشخاص، فاختطفوهما، ثم اغتصبوهما في مكان ناء تحت تهديد السلاح، فعوقب المجرمون بالسجن والجلد، بينما كانوا يستحقون تطبيق حد الحرابة عليهم، وشملت العقوبة الفتاة الضحية حيث حكم عليها بالسجن لمدة ستة أشهر والجلد مائتي جلدة، لولا تدخل خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز الذي استخدم حقه، وأمر بإلغاء العقوبة المقررة على الفتاة الضحية، وأنقذها من الظلم الذي حاق بها..

الضحية الجديدة: عرفنا بها في مقال للأستاذة حليمة مظهر منشور في جريدة: «الوطن» يوم 14/ 1/ 1429هـ، فقد صدر الحكم على رجل بسجنه لمدة سنة كاملة وجلده مائتي جلدة لعلاقته من طريق الهاتف بطبيبة استشارية، ورأى في بعضها في جواله صوراً للطبيبة توثق آثار ضرب لبعض أعضاء جسدها..

وكما جاء في المقال: عالجت الطبيبة أحد أقرباء المواطن المتهم، وقد

أعجب هذا المواطن بأخلاق الطبيبة، وأبدى رغبته في الاقتران بها، فرفضت أسرتها تزويجها باسم القبلية طمعاً في راتبها.

فقررت الطبيبة الاستشارية وقرر المواطن الراغب في الزواج اللجوء إلى القضاء، فرفض القاضي أيضاً تحقيق رغبتهما بحجة أنها مسألة قبلية..

وفي محالولة يائسة لجأت الطبيبة الاستشارية لجميعة حقوق الإنسان من دون جدوى.

ولكن سرعان ما علم أهلها بتحركاتها وإصرارها على الزواج من الرجل الذي رفضته أسرتها بحجة قبلية، فاستفرد بها أهلها وضربها شقيقها ضربا مبرحاً، نقلت على إثرها الطبيبة المسكينة إلى المستشفى مصابة بكدمات بالغة في وجهها وساعدها وفخذها، ولإثبات واقعة الضرب يبدو أنها صورت الأعضاء المصابة نتيجة الضرب لتوثيق الواقعة، وأرسلت نسخاً منها لمن وقف معها، لعل تلك الصور تنقذها من أسرتها..

وفجأة انقلبت الأمور ضدهما، وأصبحا متهمين رغم طهارة العلاقة بينهما، ورغبتهما في الزواج، فقد قبل القاضي الناظر في القضية الدعوى المقدمة من أسرتها ضد الطرفين الراغبين في الزواج من بعضهما عن طريق المحكمة بتهمة نظر الرجل لعورة الطبيبة وقيام علاقة هاتفية بينهما، وأن هدف الرجل من هذه العلاقة الإلكترونية الاحتيال عليها، وهو الاتهام الذي نفته الطبيبة..

وكانت النتيجة الأولية هو الحكم على الرجل بالسجن لمدة عام كامل وجلده مائتي جلدة.. بينما تنتظر الطبيبة الحكم عليها، وهي تمسك قلبها بيديها داعية إلى المولى عز وجل أن لا تكون الضحية الثالثة لاجتهادات قضائية تأخذ في الاعتبار القيم القبلية البائدة التي حاربها ديننا الحنيف وجاء بقيم الإسلام التي تحث على قبول الزوج إذا كان يخاف الله وإذا كان مؤتمناً، كما

قال رسول الله ﷺ: «**إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه، فإن لم تفعلوا تكن فتنة**».

وقد علمت أخيراً بأن البحث يجري عن قدم وساق عن طريقة وصول الحكم إلى الكاتبة، ومن الذي أوصله إليها؟ في حين أنه بمجرد صدور حكم المحكمة يصبح حكماً قابلاً للطعن حسب القوانين المقررة ويصبح من حق الرأي العام أن يقول كلمته إذا كان التوفيق قد جانب الناظر في القضية، ونحن في انتظار قرار محكمة التمييز..

نشر في: 19/ 1/ 1429هـ
الموافق: 28/ 1/ 2008م

لولي الأمر حق إلغاء الأحكام القضائية

في قضية: «فتاة القطيف» التي اغتصب فيها سبعة أشخاص تلك الفتاة تحت تهديد السلاح بعد اختطافها من مكان عام مع شخص غريب عنها كانت تستقل سيارته لاسترجاع صورة فوتوغرافية لها منه، أصدرت محكمة القطيف حكماً بجلد الفتاة المغتصبة تحت تهديد السلاح بالجلد تسعين جلدة، فتقدمت الضحية من طريق محاميها بطلب إلى المقام السامي لإعادة النظر في الحكم، فتمت إحالة الحكم لمجلس القضاء الأعلى لتدقيق الحكم، وبناء عليه أصدر مجلس القضاء الأعلى قراره المتضمن الملاحظة على ذلك الحكم وإعادة المعاملة لأصحاب الفضيلة لزيادة التعزير لفتاة القطيف والمعتدين عليها جنسياً، فقرر القضاة زيادة تعزير الفتاة المغتصبة تحت تهديد السلاح بعد اختطافها بسجنها لمدة ستة أشهر وجلدها مائتي جلدة..

وقد استنكر هذا الحكم بتعزير الضحية التي لا ذنب لها كل من لديه إلمام بسيط بالشريعة الإسلامية، وتحول إلى قضية رأي عام داخلي، وموضع تشهير خارجي، وهو الأمر الذي أدى إلى صدور أمر ملكي بإعفاء الضحية المغتصبة من السجن والجلد..

وبهذه المناسبة، صرح معالي وزير العدل لجريدة «الجزيرة» يوم 7/ 12/

1428 بأن ولي الأمر هو الوحيد الذي له حق تقرير المصلحة العامة في أحكام التعزير بما في ذلك الأمر بإعفاء مَنْ تصدر بحقهم مثل هذه الأحكام متى رأى ـ حفظه الله ـ أن في ذلك مصلحة عامة . .

وأضاف معاليه قائلاً: «إن خادم الحرمين الشريفين دأب على تلمس حاجات الناس والاهتمام بالمحكوميات التي تصدر بحقهم، وأن توجهه الدائم، يقوم على استخدام حقه بوصفه ولياً للأمر بالتخفيف من معاناة المواطنين».

إذا تأملنا تصريح معالي وزير العدل نجد أنه يعترف ضمناً بأن هناك خللاً في الحكم وأنه باطل، وإلا لما أمر خادم الحرمين الشريفين بالعفو عن الضحية المغتصبة تحت تهديد السلاح بعد اختطافها، وهذا ينسجم مع قوانين الطبيعة البشرية، ومنهم القضاة، في أنهم يصيبون ويخطئون.

وإذا توقفنا عند جملة جاءت على لسان معالي وزير العدل في تصريحه لجريدة: «الجزيرة»، بأن ولي الأمر هو الوحيد الذي له حق تقدير المصلحة العامة في أحكام التعزير بما في ذلك الأمر بإعفاء مَنْ تصدر بحقهم مثل هذه الأحكام. .

تعليقاً على هذا المقال بأن لولي الأمر الحق في إعفاء المحكوم عليهم تعزيراً نقول لمن يهمه الأمر: بما أن القضاء من المصالح العامة وأن ولي الأمر هو الذي يعين قضاة ينوبون عنه في القضاء بين الناس، فإن من حقه أيضاً نقض أي حكم قضائي حتى في الحدود الشرعية إذا كان الحكم القضائي جانبه الصواب، لأن من المفروض أن يطبق القاضي الأحكام الشرعية على المتهمين، ولكنه إذا أخطأ في الاجتهاد، وأصدر حكماً مناقضاً للشريعة الإسلامية، يصبح من واجب ولي الأمر باعتباره القاضي الأصيل أن يتدخل ويصحح الحكم الفاسد. .

ولمزيد من التوضيح، نقول بأن الشريعة الإسلامية هي شريعة العدل والحق والسماحة، والخطأ في قضية فتاة القطيف ليس خطأ في الشريعة الإسلامية، وإنما هو خطأ القضاء الذي جانبه الصواب في هذه القضية، كما حدث قبل ذلك في الحكم بالتفريق بين زوجين لم يطلب أحدهما من القضاء أن يفرق بينهما، وهي من القضايا التي يحق فيها لولي الأمر أن يلغي هذا الحكم القضائي لأنه مناقض للشريعة الإسلامية..

نشر في: 22/ 12/ 1428هـ
الموافق: 31/ 12/ 2007م

شواهد على استقلال القضاء

القضاء مسؤولية عظيمة في الدنيا والآخرة، ولذلك هرب من أخطاء القضاء ومن تدخلات السلطة التنفيذية كثير من الفقهاء في تاريخ المسلمين، وقد روى التاريخ أن أبا حنيفة النعمان رفض أن يتولى منصب القاضي خشية أن يرغمه على التوقيع على قرار من وضع الأمير في عصره، وأصر على الرفض رغم الإغراءات المالية، فاحتمل الضرب والحبس، ولما أخلي سبيله هرب إلى مكة..

كان القضاء مستقلاً عن تدخلات السلطة التنفيذية في تاريخ القضاء في الإسلام، وظل قلعة قوية لحماية المظلومين، وفرض الأحكام الشرعية، ومنفذاً للحق حتى لو كان بين فكي السلطان، أو بين أنياب عمّاله الغاشمين، ومن هذا التاريخ الوضاء للقضاء في الإسلام أختار لكم بعض الشواهد التي تدل على استقلال القضاء:

* كانت لرابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب قضية مع يهودي، حيث غضب الخليفة غضباً شديداً حينما ناداه القاضي قائلاً: (يا أبا الحسن) ودعا اليهودي باسمه، فرأى في ذلك تعظيماً له وإخلالاً في المساواة بين الخصوم وشبهة في أن يكون أسلوب القاضي في مخاطبته بالنداء عليه بكنيته

والنداء على اليهودي باستخدام اسمه قرينة على تبعية القضاء لسلطة الخليفة. . . وهو الأمر الذي يدل على مدى حرص الخليفة الراشدي على استقلالية القضاء وعدم تأثير السلطة التنفيذية على السلطة القضائية بأي شكل من الأشكال. .

* ويروى أن أحد كبار قادة الجيش في العصر العباسي قد ادعى ملكية أرض في حيازة تاجر، وكان النزاع في هذه القضية أمام القاضي أبي أسود بن عبد الله قاضي البصرة، فكتب له الخليفة المنصور أن ينظر في تلك الأرض وأن يدفع بها للقائد.

رد عليه القاضي بأن البينة قامت عنده للتاجر، لأن الأرض كانت في حيازة التاجر، وهذه الحيازة قرينة قوية على ملكيته لها، ما لم يقدم القائد بينة أخرى تفسد تلك القرينة. .

لكن الخليفة المنصور كتب للقاضي مرة أخرى وقال له: «والله العظيم الذي لا إله إلا هو، لتدفعها للقائد» فرد قاضي القضية قائلاً: «والله العظيم الذي لا إله إلا هو، لا أخرجها من يد التاجر إلا بحق» فماذا كان رد الخليفة على هذا الموقف الصلب للقاضي؟ هل عزله؟

لقد انصاع الخليفة لحكم القاضي. .

تدل هذه القصة بأن القضاء في التاريخ الإسلامي لم يخضع للسلطة السياسية، وأنه كان يقاوم محاولات السيطرة عليه، وبالإصرار على كلمة الحق يعود الخليفة إلى الخضوع لحكم الشرع. .

* وروى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد أن امرأة شكت للقاضي شريك بأن أمير الكوفة قد ساومها على أن تبيع له بستاناً ورثته عن آبائها، وأرسل خمسمائة عامل، فاقتلعوا الحائط الذي كان يسور البستان.

فأمر القاضي بإعلام الأمير للحضور إلى مجلس القضاء، فاستنكر الأمير هذا الإجراء، وأمر رجل الشرطة بتبليغ هذا الاستنكار للقاضي، فما كان من

القاضي إلا أن وضع الشرطي في الحبس، ولما علم الأمير بذلك، بعث إليه بحاجبه، فوضعه القاضي في الحبس أيضاً، فبعث الأمير للقاضي بعض أصدقائه، ليتشفعوا في الأمر، فهددهم بوضعهم في الحبس، فلما يئس الأمير، ذهب وأخرج كل من كان في الحبس، وحينما علم القاضي بذلك، شد رحاله إلى الخليفة في بغداد، وقال له: «والله ما طلبنا هذا الأمر منهم».

في هذا الوقت، علم أمير البصرة الذي حاول الاستيلاء على أرض المرأة بما حصل، فخضع للأمر بالمثول أمام مجلس القضاء تمهيداً للحكم في القضية، وأعاد كل من كان في الحبس بأمر القاضي إلى الحبس ووقف الأمير مع خصمه المرأة، ثم أقرّ الأمير بدعوى المرأة، فحكم القاضي على الأمير برد جميع ما أخذه، وألزمه ببناء الحائط.. ولما انتهت جلسة الحكم، نهض القاضي من مكانه، وأخذ بيد الأمير وأجلسه في مجلسه، وقال له: «السلام عليك أيها الأمير: أتأمر بشيء؟».

يقول الشيخ علي الطنطاوي: (لم يكن القاضي مقيداً بمذهب بعينه لا بد له في مخالفته.. وليس لخليفة عليه في حكمه سلطان، ولا لأمير معه في قضائه كلام)..

نشر في 27/ 4/ 1428هـ
الموافق: 14/ 5/ 2007م

مواقف لقضاتنا الأوائل

القضاء هو الملاذ لكل مظلوم . .

والقضاة هم الذين يسهرون على تحقيق العدالة، ويفصلون فيه النزاعات بتطبيق الشريعة الإسلامية في العالم الإسلامي.

إذا استقام القضاة سادت العدالة، وإذا انحرفوا انتشر الظلم في البلاد، وبما أن القضاة من البشر، فإن الخطأ وارد في أحكامهم، ولذلك قال الرسول ﷺ: «**قاض في الجنة، وقاضيان في النار**» . . يقول بعض الناس إذا كان الأمر كذلك في زمن الرسول ﷺ ربما زادت نسبة القضاة الذين يدخلون النار في هذه الأيام، بفعل المغريات الكثيرة التي تنتزع العدالة من عقول القضاة وتحبب إليهم الميل نحو المصالح الشخصية.

أما أنا فأقول: الله أعلم . .

في مقال اليوم عن القضاء والقضاة أود أن يشترك معي القراء الكرام في قراءة سطور من تاريخ القضاء في العالم الإسلامي كما جاء في كتاب لأبي عمر: محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المتوفى سنة 353 للهجرة، وهو بعنوان «الولاة والقضاة» . . ومن أخبار القضاة التي رصدها المؤلف المؤرخ:

إن القاضي خير بن نعيم كان يقضي في المسجد بين المسلمين، ثم يجلس على باب المسجد بعد العصر على المعارج، فيقضي بين النصارى ـ ونلاحظ من قراءة هذا الخبر فوائد عدة، وهي:

أولاً ـ أن جلسات القضاة أثناء النظر في القضايا كانت علنية، حيث كانت تتم أمام الناس الذين يرتادون المساجد للعبادة . .

ثانياً ـ أن وظيفة المساجد لم تكن محصورة على أداء العبادات فيها . .

* أن الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور قال لوفد من أهل مصر كان في زيارة للعراق: «أعظم الله أجركم في قاضيكم أبي خزيمة، وقد انتخبنا لكم قاضياً» فقال أحد أعضاء الوفد المصري: «ماذا أردت بنا يا أمير المؤمنين؟ هل أردت أن تشهرنا في الأمصار بأن بلدنا ليس فيها مَنْ يصلح لقضائنا حتى تولي علينا من غيرنا؟». فتراجع الخليفة العباسي، وولي القضاء في مصر أحد أبنائها . .

* أن الخليفة نفسه حاول تعيين الشيخ غوث بن سليمان قاضياً في العراق ليحكم بين الناس في الكوفة، فاعترض القاضي المرشح للعمل في قضاء الكوفة على تعيينه في هذه الوظيفة، وقال للخليفة: «يا أمير المؤمنين: ليس البلد بلدي، ولا معرفة لي بأهلها . .» في الخبرين السابقين فوائد عدة مهمة، وهي:

1 ـ أن بعض الحكام كانوا يصدرون الأوامر بتعيين بعض القضاة في غير بلدانهم ومدنهم لأسباب سياسية، على رأسها ثقتهم في هؤلاء المرشحين للعمل في القضاء في مناطق لا ينتمون إليها، ويجهلون ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم ولغاتهم، رغم أن ذلك يحرج القضاة الذين يعملون في أماكن تختلف عن بيئتهم، فيصدرون أحكاماً غريبة عن أهلها، فينالهم الغضب والسخط.

2 ـ أن الأهالي كانوا يعترضون على تعيين قضاة في بلادهم من غير أهلهم،

وأن الحكام كانوا يرضخون للاعتراض على ذلك التعيين الذي يغلب عليه الطابع السياسي الأحمق.

3 ـ أن بعض علماء الدين المؤهلين للعمل في القضاء كانوا يمتنعون عن العمل في بيئة تختلف عن البيئة التي ينتمون إليها لكي لا يرتكبوا أخطاء في حق أناس لهم عادات وثقافة ولغة تختلف عما لدى البيئة التي جاء منها عالم الدين المرشح للقضاء في مكان آخر..

كم نحن بحاجة إلى تطبيق تلك الأساليب والمواقف القضائية على السياسة الشرعية السائدة.

نشر في: 12/ 9/ 1428هـ
الموافق: 24/ 9/ 2007م

لماذا رفض أبو حنيفة القضاء؟

إن الهدف من القضاء هو تحقيق العدالة، والقضاء بالحق من أقوى الفرائض الدينية، والقضاء هو الذي ينصف المظلوم من الظالم، وينهي المنازعات، والقضاء مسؤولية عظيمة في الدنيا والآخرة، ولذلك قال النبي ﷺ: «**القضاة ثلاثة**: **إثنان في النار، وواحد في الجنة، رجل علم الحق فقضى به فهو في الجنة، ورجل قضى للناس على جهله فهو في النار، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار**»، وعلى هذا الأساس رفض أبو حنيفة النعمان أن يعمل في القضاء . .

ضاق المسلمون ذرعاً بمظالم بني أمية، وفي الوقت نفسه لاحظ الأمويون أن البلاد بدأت تخرج من تحت سيطرتهم، وأنه لا بد من الاستعانة ببعض علماء الدين وبعض الفقهاء لاستعادة سيطرتهم الكاملة على البلاد والعباد . .

وبإيعاز من الخليفة الأموي، جمع والي الأمويين في العراق كبار علماء الدين، ومنهم: ابن أبي ليلى، وابن شبرمة، وداود بن هند، وأبو حنيفة، وعرض عليهم العمل في المؤسسات الدينية في الدولة الأموية برواتب مغرية ليضمن ولاءهم ووقوفهم مع الدولة الأموية في تضليل الناس باسم الدين من أجل إحكام السيطرة على المواطنين . . .

وأرسل الوالي الأموي في العراق إلى أبي حنيفة عارضاً عليه منصب القضاء

ليشتري ولاءه تحت ستار راتب الوظيفة والعمل في القضاء، وقد رفض أبو حنيفة أن يشغل هذه الوظيفة السامية، لأنه لا يقبل التوجيهات السياسية للخليفة ويرفض تدخلاته في الأحكام الشرعية، لإيمانه بوجوب أن يكون القضاء مستقلاً وأن لا يكون خاضعاً لسيطرة الجهات التنفيذية لكي يضمن عدالة القضاء. .

وإزاء رفض أبي حنيفة أن يتولى منصب القضاء قرار الوالي الأموي في العراق ابن هبيرة أن يعاقب أبا حنيفة وأقسم بالله بأنه سينفذ العقوبة في حالة إصرار أبي حنيفة على الرفض، فأخذ بعض أصدقاء أبي حنيفة يحاولون أن يقنعوه بقبول الوظيفة، وقالوا له: «إنا ننشدك الله ألا تهلك نفسك، فإنا إخوانك، وكلنا كاره لهذا الأمر، لم نجد بداً من القبول».

فقال أبو حنيفة لأصدقائه: «لو أرادني أن أعد له أبواب مسجد واسط لم أدخل في ذلك، فكيف وهو يريد أن يكتب بإهدار دم رجل يرغب في أن يضرب عنقه، وأختم أنا على ذلك الكتاب، فوالله لا أدخل في ذلك أبداً».

وهكذا أصر أبو حنيفة على موقفه القوي، فأخذ صاحب الشرطة يضربه بعد أن حبسه حتى يئس الضارب، وخشي أن يموت أبو حنيفة فتكون سبة على الحكم الأموي إلى الأبد، فقال الوالي الأموي ابن هبيرة لأصدقاء أبي حنيفة: «قولوا له يخرجنا من يميننا» فتوسط الأصدقاء عند أبي حنيفة الذي رفض التراجع، وأصر على موقفه إصراراً شديداً، فطلب الوالي الأموي من أصدقاء أبي حنيفة أن يتوسطوا لديه لتأجيل الاستجابة بدلاً من أن يرفض العمل في القضاء على الإطلاق، إلا أن أبا حنيفة رفض ذلك العرض رفضاً باتاً، فاضطر الوالي الأموي على العراق أن يطلق سراحه، فركب أبو حنيفة دابته، وغادر العراق متوجهاً إلى مكة التي فيها بيت الله، وكان ذلك في عام 130 للهجرة. .

ولا تحتاج القصة إلى تعليق، وكل لبيب بالإشارة يفهم. .

نشر في: 6/ 4/ 1428هـ
الموافق: 23/ 4/ 2007م

محكمة التمييز تؤيد حكماً مناقضاً للشرع

بكل أسف، أعلن يوم 9/ 1/ 1428هـ بأن محكمة التمييز قد أيدت الحكم القضائي الصادر يوم 6/ 7/ 1426هـ من مكتب الشيخ إبراهيم بن فراج الفراج القاضي بالمحكمة الشرعية العامة بالجوف بالتفريق بين زوجين بدون طلب منهما لعدم تكافؤ النسب بينهما. وهو حكم يتعارض مع قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ أي أن تقوى الله هي المعيار الوحيد في التفاضل بين الناس. ويتعارض أيضاً مع الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي حاتم المزني بأن رسول الله ﷺ قال: **إذا أتاكم مَنْ ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**، قالوا: يا رسول الله، وإن كان فيه، قال: **إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ثلاث مرات**» أي أن هذا الحديث النبوي قد جعل الدين والأخلاق هما المقياس الذي يجب أن يراعيه أولياء الأمور حين يقررون أن يزوجوا بناتهم لمن يخطبهم.. وقد كرر الرسول ﷺ التأكيد على هذين المقياسين ثلاث مرات، الأمر الذي يدل على أهميتهما المطلقة وأن ما سواهما ليس بذي أهمية مماثلة في الزواج.

وإذا راجعنا التاريخ الإسلامي، نجد تطبيقات مراعاة الدين والتقوى والأخلاق في عمليات الزواج الصحيحة التي تمت، ومن ذلك: ما رواه أبو داود

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: يا بني بياضة انكحوا أبا هند، وأنكحوا إليه» فها هو الرسول ﷺ في هذا الحديث يأمر بني بياضة بأن يزوجوا أبا هند الذي كان حجاماً لأنه كان كفؤاً للزواج لأنه مسلم وليس لأنه من قبيلة معينة تتصور أن دمها أنقى من غيرها أو تتخيل أن غيرها من القبائل منحطة وأنها الوحيدة التي تحتل مكانة سامية بين القبائل.

خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لزيد ابن حارثة فامتنعت وامتنع أخوها أيضاً لنسبها في قريش ولأنها بنت عمة النبي ﷺ، فأمها أميمة بنت عبد المطلب ولأن زيداً كان عبداً، فنزلت الآية التي يقول فيها الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ فقال أخوها للرسول ﷺ حينما سمع الآية الكريمة: مُرْني بما شئت، فزوجها من زيد بن حارثة الذي كان عبداً، أي أن أخاها خضع للشرع.. وتزوج الصحابي المعروف بلال بن رباح بأخت عبد الرحمن بن عوف..

ورغم تلك النصوص الثابتة الواضحة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، إلا أن القاضي هداه الله، خالف مبادئ شرعية راسخة في ديننا دين الإسلام تساوي بين الناس وتحارب التمييز بين الناس، فحكم بالتفريق بين زوجين لم يكن بينهما خلاف، ولم يطلبا من القضاء أن يفرق بينهما، وإنما حكم بالتفريق بينهما لطلب من بعض إخوة الزوجة من القضاء أن يفرق بين الزوج والزوجة لظنهما أن الزوج غير كفء لأختهم نتيجة الإيمان بأعراف قبلية ما أنزل الله بها من سلطان، وهي أعراف هدمها الإسلام كما جاء في النصوص الثابتة التي استشهدت بها قبل قليل.

وربما يلجأ الزوجان عن طريق محاميهما الأستاذ عبد الرحمن اللاحم إلى مجلس القضاء الأعلى لنقض هذا الحكم الذي لا أساس له من الصحة دينياً إلا أن الأمل في إلغاء هذا الحكم ضعيف جداً، لأني أرى أن المؤسسات الدينية

تتعاطف مع بعضها، ويؤيد بعضها بعضاً، من دون مراعاة لقواعد العدالة. لذلك فإني أرى أن تصحيح هذا الحكم القضائي الذي لا أساس له في الشريعة الإسلامية أو في القوانين الوضعية في يد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله ابن عبد العزيز بأن يصدر أمراً ملكياً بإلغاء هذا الحكم الذي بني على أساس باطل، وما بني على باطل يعتبر باطلاً.

وهنا أنتهز هذه الفرصة لأقول بأن بعض القضاة يحتاجون إلى إعادة تأهيل لكي نحمي مجتمعنا من مثل هذه الأخطاء القضائية التي تشوه سمعة القضاء في بلادنا، وتجعل المتربصين ببلادنا يستغلون مثل هذا الحكم في الإساءة إلى المملكة العربية السعودية وسلطاتها وما ذلك ببعيد أبداً، لأن تأييد محكمة التمييز للحكم الصادر من محكمة الجوف بالتفريق بين زوجين قسراً ومن دون رغبة من أحد الطرفين قد أعطى الآخرين الفرصة لكي يفتحوا النار علينا.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

نشر في: 17/ 1/ 1428هـ
الموافق: 5/ 2/ 2007م

حكم قضائي يثير العالم علينا!!

التاريخ: 23/ 3/ 1429هـ.

المكان: المحكمة العام بمحافظة جدة.

القضاة: لجنة مكونة من ثلاثة من القضاة المحترمين.

المدَّعي: خياط مصري..

المدَّعىٰ عليه: حلاق تركي..

الشاهد الأول: الخياط المصري أيضاً..

الشاهد الثاني: (ح ق ج)..

المزكون: لا يوجد..

التهمة: سب الدين، وهو في حالة غضب..

الواقعة: نسب الخياط إلى الحلاق تهمة سب الذات الإلهية والرسول ﷺ بألفاظ فاحشة.. وقد لعب الخياط دورين اثنين في هذه القضية:

الأول: دور المدَّعي..

الثاني: الشاهد الأول..

أما الشاهد الثاني: (ح ق ج)، فقد شهد على الأقوال التي قالها المدّعي والشاهد في الوقت نفسه، بمعنى أنه شهد على شهادة شاهد . .

المدّعى عليه: نفى التهمة . .

ورغم ما شاب شهادة الشاهدين من ثغرات تحول دون الالتفات إليهما، إلا أنه صدر الحكم التالي القاضي بإدانة المتهم . .

الحكم: بناء على ما تقدم وشهادة الشاهدين، ولأنه من المقرر شرعاً أن سب الله والرسول عليه السلام ناقض من نواقض الإيمان إجماعاً، وهو كفر وردة، يقول القاضي عياض: دَلَّتْ نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة على قتل منتقص الرسول من المسلمين وسابه (الشفاء 926) وقال شيخ الإسلام رحمه الله: إن سب الله ورسوله كفر، ظاهراً وباطناً، وهذا مذهب الفقهاء، وسائر أهل السنة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿65﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ وورد عن ابن عباس رضي الله عنه أن أعمى كان له أم ولد تشتم الرسول ﷺ، وتقع فيه، وينهاها فلا تنتهي، فقتلها، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**ألا اشهدوا أن دمها هدر**» رواه أبو داود والنسائي، وقال الخطابي في معالم السنن: «وفيه أن ساب الرسول مهدر الدم، وهو ارتداد عن الدين»، ولما ورد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله أهدر دم ابن خطل، وهو متعلق بأستار الكعبة، وقال: «اقتلوه» رواه البخاري، قال ابن تيمية: «وقد استدلّ بقضية ابن خطل طائفة من الفقهاء على أن مَنْ سب النبي ﷺ يُقتل وإن أسلم حداً» ـ الصارم المسلول 452 ـ ولأن مَنْ سب الرسول ﷺ هل تُقْبَلُ له توبة على روايتين في المذهب، ولأن التحقيق أن سب الرسول ﷺ فيه متعلقات، الأول: حق الله والتوبة فيه تَصِحُّ، والثاني: حق للرسول ﷺ لا يُعلم إسقاطه، وهو اختيار شيخ الإسلام رحمه الله وهو المذهب ونصر الأصحاب، وأن اختيار جميع ما تقدم فيه مصلحة ظاهرة وحماية لجانب الدين وجانب الرسول ﷺ، وردعاً وزجراً لكل معتد على أصول الدين وقواعده بالتكذيب أو الاستهزاء،

ولأن المدَّعَى عليه لم يطعن في الشهود، وليس بينه وبينهم أي عداوة كما جاء في إفادته في محضر التحقيق، ولأن ما ذكره الشهود من كونه في حال الغضب، فهذا لا يتصور أن يصل به الأمر إلى التلفظ بهذا اللفظ، وهذا يدل على فساد في الاعتقاد، ولأن حق الشخص حين القذف لا يسقط بالغضب، وأن المدَّعىٰ عليه منكر الدعوى ومُصِرٌّ على إنكاره، فهو إصرار على العناد، ولكونه بالغاً عاقلاً مكلفاً، لذلك كله، فقد حكمنا بقتله حداً، وبعرض ذلك على المدعي العام قَرَّرَ القناعة، والمدَّعى عليه قَرَّرَ عدم القناعة، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. . حرر في 23/ 3/ 1429هـ.

وبعد صدور الحكم صار من حق المدَّعى عليه التقدم بلائحة اعتراضية عليه، وأصبح من حق الرأي العام مناقشته لأكثر من سبب.

لعلّ أبرز ما يدعو إلى مناقشة هذا الحكم هو أن المدَّعي هو الخياط المصري تَحَوَّلَ في القضية من مدعٍ إلى شاهد، والطرفان في هذه القضية جيران، وهناك احتمال أن يكون بينهما خلافات وأحقاد، وبخاصة إذا عرفنا أنهما من العوام، ولم يطلب القضاة مزكين لمن اعتبرهما شاهديْن، ولم يعط القضاة المحترمون الفرصة للمتهم أن يستعين بمحام، وكان من الواجب أن يحضر جلسات المحاكمة مترجم، لأن المتهم تركي لا يجيد العربية، ولم ينتبه السادة القضاة إلى أن الشاهد الثاني: (ح ق ج) كان يدلي بشهادته بناء على شهادة المدَّعي.

وقبل هذا وذاك، فإن نصوص القرآن الكريم التي تحدثت عن الكفر بعد الإيمان لا تدعو إلى قتل المرتد بل تشير إلى العكس من ذلك، حيث نجد فيها أن الذين كفروا بعد إيمانهم يعيشون بين المسلمين على كفرهم الجديد، وربما أسلموا ثم عادوا إلى الكفر واستمروا عليه، وازدادوا فيه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾. .

وإذا قرأنا بعض الآيات التي تدور حول حرية الاعتقاد مثل:

* قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ . .

* قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ . .

* قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾ . .

وتأملناها ملياً، فإننا نجد أن المقصود منها هو رفع سلطان البشر عن التدخل في معتقدات الناس ومحاسبتهم عليها، وترك ذلك لله عز وجل، لأنه هو الوحيد الذي يعلم ما في القلوب والضمائر . .

ومما يلفت الانتباه في هذا الحكم أنه اعترف بوجود روايتين عن جواز توبة المرتد من عدمه، إلا أنه أخذ بالرواية التي أيدها ابن تيمية التي تجيز قتل المرتد!! ثم تجاهل إنكار المتهم لما نسب إليه بإصرار، ووصف إصراره على النفي بأنه إصرار على العناد، ولا أدري كيف عرفت المحكمة الموقرة بأنه يصر على العناد، هل دخلت قلبه؟ وهل كانت تريد منه أن يعترف بذنب لم يقترفه؟ إني أربأ بالمحكمة المحترمة أن تسعى إلى شيء من ذلك لأن من أول أهدافها تحقيق العدالة . .

إن عاجلاً أو آجلاً سوف يتسرب هذا الحكم إلى وسائل الإعلام التركية ومنها إلى بقية أنحاء العالم، وسوف يثير الدنيا علينا، بدعوى أننا لا نعرف غير القتل، ولا نحترم حرية الاعتقاد، وسوف يفتحون السجلات القضائية القديمة التي جانبها التوفيق، إن هذا الحكم القضائي يعطي الفرصة للمتربصين بالمملكة العربية السعودية لتشويه سمعة القضاء فيها . .

وبناء على ذلك، فإني أدعو محكمة التمييز في مكة المكرمة أن تجد

مخرجاً للمتهم عملاً بقوله ﷺ: «**إدرأوا الحدود بالشبهات**» والاكتفاء بإبعاده عن بلادنا. . أو اللجوء إلى استتابته إنقاذاً لسمعة قضائنا، ورفعاً للحرج الذي قد تواجهه المملكة، لأن الظروف السياسية العالمية وحقوق الإنسان تستدعي إعادة النظر في هذا الحكم.

منع من النشر، ولكن نشره موقع
الحوار والإبداع الالكتروني

التوبة تسقط الحدود

تشترك بعض المؤسسات الدينية في مفاهيمها وتفسيراتها لبعض المظاهر الاجتماعية، فمثلاً يُتَّهَمُ المشتركون في الظروف التي تقتضي الاختلاط بالخلوة المحرمة شرعاً، في خلط واضح بين الخلوة التي يرون أنها محرمة شرعاً والاختلاط المباح شرعاً، وهو الأمر الذي أدى إلى صدور أحكام قضائية قاسية تصل إلى شهور عدة من الحبس وآلاف الجلدات لمتهمين بالخلوة رغم أنهم لم يكونوا في حالة خلوة، وإنما كانوا في حالة اختلاط بين رجل وامرأة في مكان عام على مرأى ومشهد من الناس . .

وتلك الأحكام القضائية القاسية التي صدرت باسم التعزير تجاوزت الحدود الشرعية بمراحل في كثير من الأوقات . .

يحدث هذا التجاوز الغريب رغم أن قاعدة التوبة تسقط بعض الحدود التي منها حد الحرابة قبل أن تلقي الجهات الأمنية المختصة القبض على المحارب، وذلك كما قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ . .

وقال بعض الشافعية بأن التوبة تسقط حد السرقة كما جاء في قوله عز

وجل: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿38﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ﴾..

وكما قرأنا في الآيتين الكريمتين عن عفو إلهي صريح عن المحارب والسارق، وهو عفو يمكن أن ينطبق على بقية الحدود الشرعية بالقياس، وهو الأمر الذي ذهب إليه القراني بقوله: «مفسدة الكفر أعظم المفاسد، والحرابة أعظم مفسدة من الزنى، وهاتان المفسدتان العظيمتان تسقطان بالتوبة، والمؤثر في سقوط الأعلى أولى أن يؤثر في سقوط الأدنى، وهو سؤال قوي يُقَوِّي قول مَنْ يقول بسقوط الحدود قياساً على هذا المجمع عليه بطريق الأولى»..

وإذا بحثنا عن دور التوبة في محو الذنوب في الأحاديث النبوية الشريفة نجد أمامنا عدداً منها، وهي:

* عن أبي سعيد الأنصاري أن النبي ﷺ قال: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»، أخرجه الطبراني في الكبير، هو في صحيح الجامع برقم 6679.

* جاء في الصحيحين عن أنس أنه قال: كنتُ مع النبي ﷺ، فجاء رجل، فقال: يا رسول الله، إني أصبتُ حداً، فأقمه عليَّ؛ قال: ولم يسأله عنه. فحضرتِ الصلاة، فصلى مع النبي ﷺ، فلما قضى النبي ﷺ، قام إليه الرجل، فأعاد قوله، فقال له النبي: «أليس قد صليت معنا»؟ قال: نعم، قال: «فإن الله قد غفر لك ذنبك»..

* جاء في حديث هزال الذي رواه مالك في الموطأ، وكان هزال قد جاء يخبر النبي ﷺ عن رجل أنه زنى، فقال له النبي ﷺ: «يا هزال لو سترته بردائك لكان خيراً لك».

يثبت القرآن والسنة أن ديننا الحنيف على درجة عالية جداً من التسامح كما قال النبي ﷺ: (ادرأوا الحدود بالشبهات)، بحيث لا نجده في القوانين الوضعية..

إلا أن إصرارنا على البحث والتنقيب عن العصاة، وإصدار أحكام قضائية قاسية في التعزيرات تزيد عن الحدود، يشوه سمعة ديننا السمح، ويضر باسم بلادنا في العالمين..

وأخيراً، أعلن رأيي بكل صراحة وبدون لف ودوران بأن الحدود عقوبات تحذيرية، لا يجوز تنفيذها في كل الحالات، ولي عودة إلى هذا الموضوع الحساس بعد مزيد من التأمل والعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله الكريم..

متى تسقط الحدود الشرعية؟

تُطلق كلمة: (الحَدّ) على كل عقوبة مُقَدَّرةٍ، سواء كانت مقررة لرعاية حق الله تعالى أم لصيانة حق بشري، ويطبق الحد في الحالات الآتية:

القتل العمد ـ الزنى ـ القذف ـ شرب الخمور ـ الحرابة ـ السرقة . .

وقد أُطْلِقَ عليها اسم الحَدِّ، لأنها أقصى العقوبات في إيلام مَنْ تجاوز حَدَّهُ، واعتدى على حق من حقوق الله أو العباد، ومن ناحية أخرى: تعتبر الحدود هي النقطة التي لا يحق للقضاء تجاوزها في معاقبة المذنبين، ولكن يجوز تخفيفها . .

لتقريب الفكرة التي تبدو لأول وهلة أنها جديدة شكلياً، إلا أنها تمثل جوهر الإسلام في مقاصده الشرعية السامية التي تهدف إلى الإصلاح، وليس إلى صب العذاب على العصاة، وإلحاق الضرر بالمخطئين وأسرهم، لأن آثار بعض العقوبات تمتد إلى كل الأفراد الذين يعيشون عالة على المذنبين، والإسلام السمح لا يتربص بالبشر، ولا يتجسّس عليهم للكشف عن معاصيهم ويسعى إلى توقيع العقوبات عليهم، ولكنه يريد أن يصلح كل مَنْ ضَلّ الطريق المستقيم . .

فأقول وبالله التوفيق: من المعروف أن المواطن يستطيع أن يتحرك داخل حدود بلاده بكل حرية، ولكن يُمنع من تجاوز حدودها بطرق غير مشروعة، فإذا

سَوّلَتْ له نفسه أن يتجاوز الحدود بأسلوب غير قانوني، يطلق حرس الحدود النار عليه، فقد يموت نتيجة لذلك، وإنْ نفذ، فإن حرس الحدود لدولة الجوار يُطلق النار عليه، فيموت إن هو أَصَرَّ على تجاوز الحدود بعيداً عن إجراءات السلطة المختصة في الحدود بين بلدين..

ولذلك، فإن الكبائر هي الخطوط الحمراء التي لا يحق لأحد تجاوزها وإلا كانت عقوبته معروفة، وهي تطبيق الحدود الشرعية عليه، وهي الحد الأعلى للعقوبات، ولكن يجوز إسقاطها، لأن المشرع الحكيم أتاح الفرصة لذلك عن طريقين اثنين:

الأول: من طريق درء الحدود بالشبهات، لقوله ﷺ في عدد من الأحاديث الصحيحة:

* عن عبد الله بن مسعود أنه قال: (ادرءوا القتل والجلد عن المسلمين ما استطعتم)..

* روى البيهقي بسنده عن ابن مسعود: (ادرءوا الحدود بالشبهات، ادفعوا القتل عن المسلمين ما استطعتم)..

* وأخرج البيهقي بسنده عن علي بن أبي طالب أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إدرءوا الحدود، ولا ينبغي للإمام أن يعطل الحدود)..

* أخرج الدارقطني بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه أن عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعقبة بن عامر الجهني قالوا: «إذا اشتبه عليك الحد، فادرأ ما استطعت»..

* عن ابن ماجه بسنده قال عمر بن الخطاب: (لأن أعطل الحدود بالشبهات، أَحَبُّ إليّ من أن أقيمها بالشبهات)..

* عن ابن ماجه بسنده عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ادفعوا الحدود، ما وجدتم لها مدفعاً)..

* أخرج الترمذي بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (إدرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله، فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة). .

الثاني: عن طريق التوبة كما جاء في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة:

* لقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿33﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: 33 و34].

* لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿38﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ﴾ [المائدة: 39].

وتسير الأحاديث النبوية الصحيحة في الاتجاه نفسه، ولعل من المناسب أن أذكر بعضها:

* جاء في حديث هزال الذي رواه مالك في الموطأ، وكان هزال قد جاء ليخبر النبي ﷺ عن رجل زنى بامرأة، فقال له ﷺ: يا هزال: «لو سترته بردائك، لكان خيراً لك». .

* جاء في الصحيحين عن أنس أنه قال: كنت مع النبي ﷺ، فجاء رجل فقال: يا رسول الله، إني أصبتُ حداً، فأقمه عليَّ. . فلم يسأله النبي عنه، فحضرتِ الصلاة، فصلى مع النبي ﷺ، فلما قضى النبي الصلاة، قام إليه الرجل، فأعاد عليه قوله، فقال له النبي: أليس قد صليتَ معنا؟ قال الرجل: نعم، فقال له النبي ﷺ: (فإن الله قد غفر لك ذنبك). .

* عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**التائب من ذنب كمن لا ذنب له**»، أخرجه الطبراني في الكبير وهو في صحيح الجامع: 6679.

وهكذا نجد في القرآن والسنة إمكانية إسقاط الحدود، إلا أن الملاحظ على القضاء عندنا أنه يبالغ في أحكام التعزير بالسجن بالسنوات والجلد بالآلاف وهي عقوبات شديدة تضر بأسر المذنبين وتقضي على مستقبلهم في بعض الحالات، وهي أحكام تجاوزت السقف الأعلى للحدود في بعض الأحكام القضائية، وتتجاهل المقاصد السامية للاسلام من العقوبات، وهي إصلاح المنحرفين، وليس تعويق مصالحهم وإلحاق الأذى بأزواجهم وأبنائهم جراء الحكم بسجنهم مدداً طويلة دون مراعاة لظروفهم الاجتماعية، وقد أحسن ولي الأمر صنعاً حينما أمر في الأسبوع الماضي بحفظ قضية الأستاذ بجامعة أم القرى في مكة المكرمة المتهم بالخلوة لأنه قابل أمرأة أمام الناس في مطعم عام، ولم يأخذها إلى منزله ولم ينفرد بها، ورغم ذلك صدر الحكم بسجنه لمدة ثانية أشهر، وجلده مائة وخمسين جلدة، وإبعاده عن التعليم.

فإذا كانت الحدود تسقط بالشبهات أو بالتوبة فمن الأولى إسقاط الأحكام التعزيرية القاسية في مواجهة أخطاء بشرية تدخل في دائرة اللمم، وإبدالها بعقوبات أخرى مثل التشهير، أو إلزامه بقراءة بعض الكتب المفيدة التي ترفع ثقافته الدينية، أو فرض تبرعات توزع على الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل والمرضى والجمعيات الخيرية، أو تنظيف الشوارع، أو تعلم مهنة، أو مهارة معينة، أو التجنيد الإجباري، ويمكن أن يكون التعزير بالتوبيخ والزجر والوعظ والتخويف وما شابه ذلك.

نشر في: 25/ 8/ 1499هـ
الموافق: 26/ 8/ 2008م

المكتبة العربية فقيرة إلى الكتب التي تعالج القضاء في العالم الإسلامي ذلك القضاء الذي عاش وما زال يعيش حالة من الفوضى في أحكامه لعدم تقنينها وصياغتها في مواد قانونية بحسب المذاهب الإسلامية، وما زال كل قاض يصدر حكماً مختلفاً عن بقية زملائه في المذهب في قضية واحدة، وما زال بعض القضاء يصدر أحكاماً جائرة ليس لها أساس من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف. .

يلعب القضاء دوراً أساسياً في تحقيق العدالة بين الأطراف المتخاصمة، إلا أن الدكتور صبحي بن يحيى بن صالح الحارثي قدم للمكتبة العربية بحثاً قيماً عن: «دور القضاء السعودي في الإصلاح التربوي في المملكة العربية السعودية». .

حينما أدخل مكتبة تجارية لأبحث عن كتب مفيدة عن (القضاء) مثلاً، أقرأ أولاً وقبل كل شيء فهرست الكتاب لمعرفة محتوياته، لأن عناوين بعض الكتب خداعة تغري القارئ بشرائها، وبعدما يشتريها ويبدأ في قراءتها، يكتشف بأنها هزيلة لا تستحق الثمن المدفوع فيها، وبعضها في غاية الأهمية والجودة، بحيث إنها تساهم في زيادة ثقافة القارئ وتطوير آرائه ومواقفه. .

وكم كنت أود تطبيق هذا الأسلوب في اختيار الكتب على هذا الكتاب لولا أن فهرسه طويل يدل على أنه كتاب عام في التعريف بالقضاء بشكل عام، ويضم بحثاً عن دور القضاء في الإصلاح التربوي، وهو موضوع جديد لم يكتب عنه غيره من الباحثين، وهو في الوقت نفسه موضوع يستحق الدرس. .

يقول المؤلف بأن الأخلاق القرآنية تعلم الفرد وتبني الأسرة وتطور المجتمع وتعلمهم جميعاً كيف يتخلقون بالأخلاق الحسنة، وإذا ما تخلق المجتمع بهذه الأخلاق تنخفض الجريمة، ومن ثم ليس من عقوبة يتحفز لها القاضي مع كراهته لاستخدامها، لأن المجتمع قد ارتقى إلى مستوى الأخلاق، وأصبح يتنكر لكل منكر، ويمقت كل رذيلة ويحارب كل أنواع التخلف التي لا تتفق مع مبادئ ذلك الإنسان الذي يتحلى بفضائل الأخلاق. .

ويضيف المؤلف قائلاً: إن رقي المجتمع تربوياً يؤدي إلى الوقاية من الجريمة، ويحول دون كثير من التجاوزات الدعوية، ويخفف مساحة القضاء في كثير من تراكم قضايا المطالبات الحقوقية والمدنية والتجارية وغيرها، وبالتالي يتجه رجال القضاء إلى مهام أساسية تخدم القضايا الإنسانية، وتبني مفهوماً جديداً في مسيرة القضاء نحو إرساء قيم المجتمع حتى يؤكد القضاء الشامخ دوره العظيم في حراسة المجتمع المدني وتطوره إلى الأفضل. .

صحيح أن هذه المقدمة عن دور التربية في الوقاية من الجريمة لا تعبر عن دور القضاء في الإصلاح التربوي، وإنما تؤكد دور التربية الأساسي في غرس القيم الأخلاقية في النفس الإنسانية، فإذا آمن بها الشخص وطبقها سلوكياً، فإنه يصبح مواطناً صالحاً يبني ولا يهدم، يتسامح ولا ينتقم، يعفو ولا يؤذي، ومتى كان الإنسان كذلك يستريح القاضي. .

إلا أن المؤلف صحح التعبير عن هدفه حينما قال: (وفي المملكة العربية السعودية كجزء من العالم، تتيح له ـ أي تتيح للقاضي ـ الفرصة تلو الفرصة في تقوية دوره القضائي بشكل عام والتربوي الإصلاحي بشكل خاص من خلال

ممارسته لأحكامه القضائية، فيطور مفهوم العقاب التعزيري وفق تصوره التربوي الإصلاحي وفي الحدود الممكنة الإصلاحية، فيستبدل بعقوبة السجن التي هي أفشل الوسائل الاجتماعية والنفسية المستخدمة في التعامل مع الجريمة من حيث الأهداف أو من حيث الوسائل والتجهيزات داخل تلك المؤسسات، يستبدل بها البدائل التي تؤدي إلى المنفعة الإصلاحية، فيجعل من باب الصلح باباً واسعاً يقرب الفجوة بين المتداعين ويحل مشكلة المتنازعين، كما تجعل من الغرامات المالية وتطبيق الأعمال الدينية من حفظ للقرآن واعتكاف في المسجد، أو قيام بعمل خيري، أو خدمة إلزامية في جمعية خيرية، أو إقامة جبرية في منزله، أو إخراجه من البلاد إذا كان أجنبياً، وقد يكلف المتهم عقابياً بالقيام ببعض الأنشطة الإسعافية، أو الكشافية، أو المرورية، أو حتى الخدمية، أو يقوم بعمل لمصلحته بالنهار يتكسب منه، ويعود للسجن ليلاً، وقد يكون العفو من بين تلك البدائل، خصوصاً أن الفقهاء يتفقون على جوازه في العفو من بين تلك البدائل، خصوصاً أن الفقهاء يتفقون على جوازه في العقوبة التعزيرية، وليس إيقاف العقوبة بعد الحكم على المتهم في بعض القضايا التعزيرية ببعيد عن المصلحة ما دام القاضي من خلال نظرته التربوية البعيدة يرى أن الماثل أمامه من صغار السن ودون العشرين هو حدث هذا اليوم، وهو رجل الغد، وتوظيف تخفيف العقوبة أو إيقافها أو العفو عنها أو استبدال خير منها بها هو توظيف مثمر على المدى القريب والبعيد، لأن من استدرك سلوكه في أول نشأته لا شك في أن التقويم له بالأسلوب الاحتوائي الجيد سيصونه مستقبلاً بحول الله. .).

كما أتمنى أن يكون ما ذكره المؤلف الدكتور صبحي يحيى صالح الحارثي صحيحاً، فما زال القضاء لدينا متمسكاً بالسجن والجلد في أحكامه التعزيرية، ويطبق عقوبة الإعدام على الأحداث ممن هم تحت سن 18 سنة من العمل. .

ثم انتقل المؤلف لمعالجة موضوعات أخرى عن القضاء، فقصر في إعطاء هذا الموضوع حقه من البحث والدراسة، ولذلك يعد اسم الكتاب: «دور

القضاء السعودي في الإصلاح التربوي في المملكة العربية السعودية» من باب إطلاق اسم الجزء على الكل. . . .

ومن ناحية أخرى، فإني لست مع المؤلف الكريم في مسحة المجاملة الطاغية على أسلوبه في معالجة الموضوعات التي بحثها، بينما كنت أتوقع أن يكون المؤلف محايداً إن لم يكن في استطاعته أن ينتقد بعض الأوضاع السائدة في القضاء مما يحتاج إلى الصراحة لتطوير هذا المرفق المهم في حياتنا. .

إزالـة الغموض عن نظام مكافحة جرائم المعلوماتية

في يوم 2/ 8/ 1429هـ نشرت جريدة: (الوطن) مقالاً للمحامي والمستشار القانوين الأستاذ يحيى محمد الشهراني بعنوان، (حتى لا يكون هنالك تداخل بين نظامي المطبوعات وجرائم المعلومات).

ولعل الفقرة التي عَبَّرَتْ عن رأيه في تطبيقات نظام مكافحة جرائم المعلوماتية هي التي قال فيها: (كما قنن النظام جهة الاختصاص في مرحلتي التحقيق والمحاكمة، حيث أسند التحقيق ورفع الدعاوي العامة إلى هيئة التحقيق والادعاء العام، كما أسند إلى المحاكم الجزئية مسألة الفصل في تطبيق العقوبات)..

بالإضافة إلى فقرة أخرى قال فيها: (إن الطرح الإعلامي الورقي الخاضع في أحكامه لنظام المطبوعات والنشر لن يكون في غنى عن المساءلة والمعاقبة وفقاً لأحكام نظام جرائم المعلومات بعد طرحه وتداوله عبر أوعية المعلومات)..

ثم أورد مثالاً على التفريق بين مفهوم المطبوعات وحوافظ المعلومات الحالية أو المستحدثة حينما نشأت إشكالية جديدة، إذ قام موظف في وزارة

الثقافة والإعلام يتصور أن جريدة قد أساءت إليه حينما نشرت في مطبوعتها الورقية وفي موقعها الإلكتروني مقالاً شوه سمعته، فقدم شكوى إلى جهتين في آن واحد:

الأولى: إلى وزارة الثقافة والإعلام على اعتبار أنها المسؤولة عن التحقيق في قضايا النشر حسب المادة: (37)، من نظام المطبوعات والنشر..

الثانية: إلى هيئة التحقيق والادعاء العام على اعتبار أنها المسؤولة عن التحقيق في القضايا ذات العلاقة بنظام مكافحة جرائم المعلوماتية، على أساس أن تحال إلى المحاكم الجزئية بعد ذلك لتقوم بتطبيق النظام على المتهم.

وهكذا أصبح رئيس تحرير الجريدة متهماً ومطلوباً من جهتين بسبب الغموض الذي جاء في بعض مواد نظام مكافحة جرائم المعلوماتية..

فإذا تم تطبيق نظامي المطبوعات والنشر ومكافحة جرائم المعلوماتية، فإن رئيس تحرير الجريدة سيواجه عقوبتين في آن واحد.

وأنا شخصياً كنت وكيلاً شرعياً عن الأستاذ رائف بدوي المتهم بإنشاء موقع إلكتروني على الشبكة العنكبوتية تسيء إلى الإسلام، حيث طلب الادعاء العام من المحكمة الجزئية معاقبته بالحبس لمدة خمس سنوات وتغريمه ثلاثة ملايين ريال، إلا أن فضيلة القاضي الناظر لهذه القضية رفض قبولي وكيلاً عن المتهم بحجة أني لا أحمل رخصة محام، بينما وجدت في نظام المحاماة أنه يجوز لغير متخصص في المحاماة مثلي أن يترافع في ثلاث قضايا في وقت واحد..

إلا أني المواطن الذي لم يدرس الشريعة ولم يحصل على شهادة في القانون وجدت أن المحاكم الشرعية غير مختصة في تطبيق نظام مكافحة جرائم المعلوماتية، وكنت مستعداً لأن أقول:

إن سبب الغموض الذي قد يؤدي إلى تنازع السلطات هو أن نظام مكافحة

جرائم المعلوماتية لم يذكر صراحة اسم الجهة المختصة بمحاكمة المتهمين في الجرائم الالكترونية، وإنما اكتفى بالإشارة إليها بعبارة غامضة هي: (المحكمة المختصة)، في حين أنه كان واضحاً جداً في ذكر الجهة التي تتولى التحقيق فيها عندما نصت المادة الخامسة عشرة من النظام على أن تتولى هيئة التحقيق والادعاء العام التحقيق والادعاء في الجرائم الواردة في النظام.

ومن أجل إزالة هذا الغموض، يجب قراءة نظام المطبوعات والنشر ونظام مكافحة جرائم المعلوماتية ولوائحهما للوصول إلى رأي قانوني واضح.

حيث إن الفقرة التاسعة في المادة الأولى من نظام مكافحة جرائم المعلوماتية تقول: (الموقع الالكتروني: هو مكان إتاحة البيانات على الشبكة المعلوماتية من خلال عنوان محدد)..

وحيث إن الفقرة الرابعة في المادة الأولى من اللائحة التنفيذية لنظام المطبوعات تنص على أن أوعية المعلومات هي جميع أشكال المطبوعات سواء كانت مكتوبة من كتب وصحف، أو مسموعة، أو أفلام، أو صور، أو لوحات فنية، أو برامج حاسب آلي، أو أسطوانات مدمجة مسموعة ومرئية، أو ميكروفيلم، أو كتاب إلكتروني، وغيرها من حوافظ المعلومات الحالية أو المستحدثة)..

وحيث إن الموقع الإلكتروني يدخل ضمن حوافظ المعلومات المستجدة..

وحيث إن المادة الثانية من نظام مكافحة جرائم المعلوماتية تقول: (يهدف هذا النظام إلى الحد من وقوع جرائم معلوماتية).

وحيث إن المادة السابعة والثلاثين من نظام المطبوعات والنشر تقول: (تنظر في المخالفات لأحكام هذا النظام لجنة تشكل بقرار من الوزير برئاسة وكيل الوزارة المختص، لا يقل عددها من ثلاثة، يكون أحدهم مستشاراً

قانونياً، وتصدر قراراتها بالأغلبية بعد دعوة المخالف، أو مَنْ يمثله، وسماع أقواله، ويجوز لها دعوة مَنْ ترى الاستماع إلى أقواله، كما يجوز لها الاستعانة بمن تراه، ولا تصبح قرارات اللجنة معتمدة إلا بعد موافقة الوزير عليه). .

وبناء على ذلك، تكون اللجنة التي أشارت إليها المادة السابعة والثلاثون من نظام المطبوعات والنشر هي المحكمة المختصة بتطبيق أحكام نظام مكافحة جرائم المعلوماتية، وليس للمحاكم الجزئية التابعة لوزارة العدل أي علاقة بقضايا النشر الورقي والإلكتروني، لأن الأخبار والآراء المنشورة في الوسيلتين من طبيعة واحدة قانونياً وإن اختلفت في الشكل، وذلك حسب نظام المطبوعات والنشر.

وأنتهز فرصة إثارة هذا الموضوع لأطلب إلى معالي وزير العدل توجيه الجهة المختصة في فرع وزارة العدل في منطقة مكة المكرمة لكي تتوقف المحكمة الجزئية في جدة عن استكمال النظر في قضية رائف بدوي لعدم اختصاصها في الحكم عليها وإحالتها إلى اللجنة المختصة في وزارة الثقافة والإعلام. .

نشر في 11/ 8/ 1429هـ
الموافق 12/ 8/ 2008م

المحور الثاني

هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

متى يحاسب رجال الحسبة؟

قبل أسابيع محددة، أصدرت المحكمة العامة في مدينة الرياض قراراً بصرف النظر في قضية ورثة المواطن: سليمان الحريصي ضد اثنين من رجال الحسبة، كشف التقرير الطبي بأنه تعرض لضرب عنيف في رأسه، ما أدى إلى خروج عينه اليمنى من مكانها، وكسرت جمجمته كسراً بطول ستة سنتيمترات، وضرب ضربة أخرى في رأسه نتجت عنها فتحة في الجهة اليمنى أدت إلى سقوْط مخه منها، كما ضرب بعنف في أحشائه وجانب من بطنه، وركل ركلات عنيفة في جسمه باستثناء صدره، ولم يحدد التقرير آلة الضرب، وقد صرفت المحكمة الموقرة النظر في القضية، وأطلق سراح المتهمين من رجال الحسبة لأن المتوفى تعرض للضرب في رأسه بالقدم، فلا الآلة قاتلة ولا الموضع مقتل، فالرأس ليست من المقاتل إذا كان الضرب بلا آلة . .

إن مآل هذه القضية يشير إلى تعاطف المؤسسات الدينية مع بعضها على حساب حقوق الموطنين وكرامتهم باستخدام فتوى تقول بأن رجال الحسبة لا يحاسبون وهي فتوى تهدر حقوق الإنسان . .

ثم قرأنا في الأسبوع الماضي في موقع العربية نت الإلكتروني نقلاً من جريدة: (عرب نيوز) الصادرة يوم 5/ 2/ 2008م بأن سيدة أعمال سعودية أدخلت

السجن في الرياض بعد أن ضبطتها هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي تتناول فنجان قهوة مع زميل لها في أحد فروع ستاربكس في الرياض. .

وبناء على ما نشرته الجريدة السعودية، واستناداً إلى ما نشره موقع: (تايمز أون لاين) الإلكتروني، واعتماداً على أقوال زوج تلك السيدة، تكوَّن في ذهني صورة عامة لما حصل. .

خلاصة الحادثة المستهجنة أن السيدة «يارا» وهي متزوجة وأم لثلاثة أبناء، فوجئت حينما سافرت من جدة إلى الرياض في رحلة عمل بأن الكهرباء مقطوعة في فرع شركتها في الرياض حسبما أخبرها زميلها في العمل السوري الجنسية، فقرر الطرفان قضاء بعض الوقت في أحد فروع سلسلة ستارباكس الأمريكية الواقع تحت مقر فرع الشركة، وارتادا القسم المختلط في المقهى الذي كان حافلاً بعدد من الرجال والنساء.

وفجأة، دخل المقهى عنصر من هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستدرج السيدة يارا إلى سيارة أجرة، وطلب إليها الجلوس على مقعد سيارة الأجرة لكي توقع على بعض الأوراق لكي يحق لها الانصراف بعد ذلك، وما إن جلست السيدة يارا على المقعد الخلفي للسيارة حتى ضغط رجل الهيئة على ساقها بباب السيارة، فاضطرت إلى رفع ساقيها إلى داخل السيارة لكي لا تجرح، حدث ذلك أثناء قيامها بتوقيع الأوراق، الأمر الذي سوف يؤدي إلى إخلاء سبيلها فوراً في أسلوب غير مقبول شرعاً وعقلاً، وكم سمعنا سابقاً بأن بعض رجال الحسبة يطلبون من المتهم بالتوقيع على إقرار بارتكاب التهمة كالخلوة مثلاً، ويقولون له: (وَقّعْ تخرجْ من هذا الباب)، من دون تحديد المقصود من كلامهم، لأنهم يقصدون خروج المتهم من باب الغرفة التي يتم فيها التحقيق إلى باب آخر هو باب السجن في الغرفة المجاورة، كما أن استخدام سيارة أجرة في هذه العملية يدل على عبقرية بعض رجال الحسبة التي تفتقت، وقادتهم إلى استخدام سيارات أخرى غير سيارات هيئة الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر للتمويه وإخفاء تحركاتهم على الآخرين، وهو نوع من أنواع وأساليب التجسس المنهي عنها دينياً . .

ثم نقلت السيدة يارا بعد ذلك إلى سيارة جيب رسمية، وألقي بها في صندوق السيارة، وبعد حوالى ساعتين من اللف والدوران في الشوارع في سرعات هستيرية أدت إلى حدوث رضوض في جسمها، لعدم وجود مقاعد لجلوس ركاب في تلك السيارة المستخدمة في نقل تلك السيدة . .

ومن الجدير بالذكر أنه فور القبض عليها في المقهى، سُحبت منها شنطتها اليدوية وجوالها لكي لا تستنجد بأحد، وأسمعها رجل الحسبة في أثناء رحلتها في صندوق الجيب إلى السجن بعض العبارات في ذم زوجها، واتهامها بأنها قد ارتكبت خطأ لا يغتفر، ولم يشفع لها قولها لرجل الحسبة بأنها سعودية، رغم أنها أمريكية الأصل، ولم تصرح بأنها أمريكية خشية أن يكون المحتسب ممن يكرهون الرئيس الأمريكي فينكل بها، ولو كانت تعلم أن أصولها الأمريكية تؤدي إلى هروب المحتسب من المكان لفعلت ذلك . .

وفي السجن النسائي، أدخلت إلى الحمام لتفتيشها حيث جردت من ملابسها التي وقعت على الأرض القذرة، ثم اضطرت إلى ارتداء الملابس النجسة ثانية لعدم وجود البديل النظيف . .

ولم تخرج المرأة من السجن إلا بعد تدخل بعض كبار المسؤولين . .

وهذا يعني أننا ما زلنا إزاء ممارسات مرفوضة من بعض رجال الحسبة الذين يطبقون مفاهيمهم الشخصية في عملهم، فما زالت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تخلط بين الخلوة والاختلاط، وتضفي حكم الخلوة على الاختلاط المباح، بينما هناك فرق كبير جداً بين الخلوة والاختلاط، لأن الخلوة هي أن يجتمع رجل وامرأة في مكان مغلق لا يراهما فيه أحد، ولا يريان أحداً غيرهما، وأما الاختلاط فهو اجتماع الرجال والنساء في أماكن العبادة في الطواف والسعي والشوارع والسيارات والمعارض والأسواق التجارية . .

وما زال بعض المحتسبين يوهمون مَنْ يرون بأنهم مخالفون لمفاهيمهم الشخصية أن التوقيع على بعض الأوراق التي فيها إدانة واعتراف بارتكاب أعمال منكرة، سوف يساعدهم على الإعفاء من المساءلة، بينما هي اعترافات تدينهم. .

وتشير هذه الواقعة إلى أن الشرطة تسجن المتهم اعتماداً على الاعترافات غير الشرعية المصاحبة للمتهم، وهي إقرارات مأخوذة قسراً أحياناً وتضليلاً في أحيان أخرى، بينما المفروض أن تنتبه الشرطة لذلك. .

وهذا يعني أن هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تتهم الناس بارتكاب محرم حينما يجتمع رجال ونساء في مكان واحد، وتفرض رؤيتها وفهمها على المجتمع، كما يعني أنها تستخدم أساليب بوليسسية للتخفي عن الأنظار بعدم استخدام سيارات الحسبة والهجوم فجأة على الصيد وتحتال على المتهمين لكي يقوموا بالتوقيع على اعترافات بأنهم ضبطوا أثناء قيامهم بأعمال منكرة، ثم يسجنون، ويحكم عليهم القضاء باعترافاتهم المفروضة عليهم. .

يقول البعض: متى يحاسب رجال الحسبة على أخطائهم ومتى يتم تصحيح أساليبهم في العمل؟

إلا أني أدعو مجلس الشورى الموقر إلى وضع نظام جديد للحسبة يحترم الحقوق الشرعية للمواطنين، ويضع حداً لممارساتها المبنية على مفاهيم خاطئة باستخدام أساليب مرفوضة تماماً وعقلاً ونقلاً. .

نشر في: 4/ 2/ 1429هـ
الموافق: 11/ 2/ 2008م

كلمة حق في دراسة لصالح الحسبة!

نشرت معظم الصحف المحلية نتائج دراسية ميدانية أجراها معهد الملك عبد الله للبحوث والدراسات الاستشارية بالتعاون مع جامعة الملك سعود لصالح هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأسفرت الدراسة عن عدد من الحقائق، كان بعضها معروفاً، ونعرف بعضها لأول مرة، واحتوت على نقد عابر ذكر على استحياء شديد، وانتهت ببعض التوصيات والمطالب التي اعترض على بعضها مجلس الشورى في السابق، وأرادت الدراسة إحياءها، لأن الدراسة كانت على حساب الهيئة ولا بد بالتالي من تبني مطالبها..

وهناك بعض النتائج والمطالب والتوصيات التي تستدعي مناقشتها، أذكر كلاً منها على حدة، أو أذكر بعضها مع أخرى، ثم أتناولها بالتحليل والنقد، ومن أهمها:

أولاً: أن 55٪ من العاملين في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحملون شهادة الثانوية العامة فما دونها..

ثانياً: أن 9٪ منهم يحملون شهادة إتمام المرحلة الابتدائية فقط..

إننا إزاء حقيقة مرة، وهي أن أكثر من نصف العاملين فيها من ذوي المؤهلات الدراسية المتدنية، بينما يستدعي العمل فيها أن يكون العاملون فيها من ذوي المؤهلات الدراسية الجامعية على أقل تقدير ثم نالوا شهادة أو دورة متخصصة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالإضافة إلى كونهم من المشهورين بطلب العلم المستمر، أي ينبغي أن يكون المحتسب ذا ثقافة عالية تؤهله للتعامل مع كل المستويات الفكرية والسلوكية التي يواجهها في الميدان بما لديه من علم وثقافة وحكمة، لأن التجاوزات التي حصلت من بعض موظفي الحسبة إنما كانت بسبب محدودية ثقافتهم، وهو الأمر الذي أدى إلى اتهام بعض المواطنين الأبرياء بالاعتماد على حديث: (ما اختلى رجل بإمرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما) وهو حديث إخباري، ليس فيه أمر أو نهي، ولم يقرر فيه النبي عليه الصلاة والسلام عقوبة لطرفي الخلوة، ولأنهم حسب ثقافتهم الدينية وحسب أعرافهم يخلطون بين الخلوة والاختلاط، وهو الأمر الذي أدى إلى تشويه سمعة الأبرياء..

ومن الفقرات التي انتقدت بعض الممارسات فيها، وجاءت على استحياء شديد ما يلي:

أولاً: الاندفاع الذي يتمتع به أفراد الهيئة أثناء مزاولة أعمالهم الميدانية..

ولا شك بأن هذا الاندفاع في التنقيب عن المنكرات، إنما هو بسبب مفاهيمهم الخاطئة للدين، وهو الأمر الذي أدى إلى الخلط بين الخلوة والاختلاط، فحرموا الاختلاط بين الرجال والنساء وهو أمر مباح شرعاً، وفرض كثير منهم على النساء أن يغطين وجوههن رغم أنه من الأمور الخلافية التي لا يجوز الإنكار فيها...

ثانياً: التقصير في الأمر بالمعروف..

ثالثاً: التركيز على النهي عن المنكر..

لم تستعن الدراسة بالقرآن والحديث في إقناع موظفي هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأن هناك تقصيراً في الأمر بالمعروف وتعسفاً في النهي عن المنكر، ونيابة عن معدي الدراسة أقول:

قال الله عز وجل: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ لأن الابتعاد عن الحكمة في القول والعمل هو الذي يوتر الجو بين موظفي الهيئة والمواطنين المساكين، ويؤدي إلى الخروج عن آداب الحوار، وخلق روح الانتقام والاتهام.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ يأمرنا الله جل وعلا في هذه الآية بتنفيذ ثلاث آليات في حياة المسلمين:

الأولى: ممارسة الأعمال الخيرية، ولها صور كثيرة، منها: كفالة الأيتام، ورعاية الأرامل، والتبرع لمعالجة المرضى المعدمين، ومساعدة المحتاجين مالياً، وتحسين أحوال الفقراء، ومحو الأمية، ومحاربة الجهل والفقر والمرض، ومكافحة الظلم، وللأسف الشديد فإن هذه الآلية الإنسانية التي أمرنا الله بتطبيقها معطلة، ولا يعيرها أحد من موظفي الحسبة اهتمامه كأنها غير مطلوبة وغير واردة بصيغة الأمر الإلهي. . .

الثانية: الأمر بالمعروف، وأشعر بأن الكثيرين من موظفي الحسبة لا يدركون معنى كلمة: (المعروف)، فهي تعني المألوف والسائد والشائع بين الناس في أمور الدنيا، وجمعها: (أعراف)، فالناس الذين يقطنون الصحاري يأكلون لحم الإبل، والذين يعيشون في السواحل يتناولون السمك، والعرب يلبسون الثياب والغربيون يرتدون البناطيل، وبعض النساء يغطين وجوههن حتى على أزواجهن، وهناك أبناء لم يروا وجوه أمهاتهم طول حياتهم. .

وكل تلك الأمور من الأعراف السائدة بين الناس تختلف عن بعضها

بحسب المكان الذي يعيشون فيه، وليس لها علاقة من قريب أو بعيد بالدين، ولكن بعضهم يضفي على عاداتهم وتقاليدهم ثوباً دينياً لكي يحميها وينشرها بين الجهلة، ولو كان الأمر بالمعروف هو المعروف الديني، لنص عليه القرآن الكريم، والسنة النبوية، وما تركه لاجتهاد البشر . . .

الثالثة: النهي عن المنكر، والمنكر هنا هو عكس المعروف في المعنى، ويحسن أن أستعين بمثال واقعي لتوضيح الأمر، فأقول حينما يرى بعض رجال الحسبة قيام بعض الشباب والمراهقين بقص شعر رأسهم بأسلوب فني كأن يكون مصفوفاً بطريقة معينة، أو مصبوغاً بالألوان، يأخذونهم إلى أقرب حلاق ليحلق لهم شعرهم بالموسى لأن ذلك من المنكر حسب أعرافهم، بينما هو أمر ليس له علاقة بالدين، وهم حينما يمنعون المراهقين من ممارسة مراهقتهم بقوة السلطة إنما يقومون بتأجيلها إلى حين، لأنها تعود إلى الظهور في مرحلة متأخرة من أعمارهم، وهي التي نطلق عليها عبارة: «عودة الشيخ إلى صباه» . . .

ومن نتائج هذه الدراسة التوصية بما يلي:

أولاً: المطالبة بزيادة الحوافز المادية التي يتقاضاها موظفو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو إنشاء صندوق تنمية موارد يعود ريعه لهم تصرف للعاملين المميزين في الميدان . . .

وقد حاولت الحسبة تمرير فكرة زيادة رواتب وعلاوات المميزين في الميدان من رجال الحسبة عن طريق مجلس الشورى، فرفض المجلس الفكرة، لأن ذلك سيرفع من نسبة الأخطاء في أعمالهم الميدانية حينما يندفعون في ممارساتهم حتى في حالات الظن، مما يلحق الضرر بالأبرياء، ولماذا لا يقنع رجال الحسبة بالأجر والثواب من عند الله؟ ولماذا يبحثون عن وسخ الدنيا؟

ثانياً: المطالبة باقتناء أجهزة لاسلكية ووضع كاميرات مراقبة في الأسواق . .

وهذا يدل على مدى الحرص على التجسس على الناس، والبحث عن أسرع الطرق للقبض على الفرائس. .

ثالثاً: تزويد موظفي الحسبة بمرافقين عسكريين من حقهم حمل السلاح. .

إن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي لا تكون باستخدام العصا أو السلاح أو بالجلد أو السجن، وإنما تكون بالكلمة الطيبة والحوار والإقناع، لأن ديننا دين الرحمة والتسامح والعفو والستر، وليس دين التنقيب عن الأخطاء ونشر الفضائح، وجلد الناس. . .

صورة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحسبة، والموعظة، والنصيحة، والوصية، والنقد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أسماء متعددة لشيء واحد، لم يكتشف المسلمون حتى اليوم كنوزه الثمينة، وأبعاده الحقيقية، وأهدافه السامية، ولم يتوصلوا إلى فهمه فهماً مناسباً لمقاصد الإسلام. .

وكل من يقرأ تراثنا وتاريخنا يجد فيهما صوراً عديدة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيقف احتراماً لأسلافنا لأنهم استخدموا هذه الآلية الإسلامية في الإصلاح بما يحقق لها الأهداف السامية المرجوة منها. .

يروى أن سليمان بن عبد الملك، مر بالمدينة، وهو في طريقه إلى الحج، فقال: هل بها رجل أدرك بعض الصحابة؟

قالوا له: نعم، فيها أبو حازم.

فأرسل إليه، فلما أتاه قال له سليمان بن عبد الملك: ما هذا الجفاء؟

قال أبو حازم: وأي جفاء رأيتَ مني يا أمير المؤمنين؟

فأجابه سليمان: أتاني وجوه الناس، ولم تأتني.

فقال أبو حازم: والله ما عرفتني قبل هذا، ولا أنا رأيتك، فأيّ جفاء رأيت مني؟

فالتفت سليمان بن عبد الملك إلى أحد الحاضرين، وقال له: أصاب الشيخ، وأخطأتُ أنا.

ثم استدار سليمان نحو الشيخ، وقال له: ما لنا نكره الموت؟ فأجابه أبو حازم قائلاً: عَمَّرْتم الدنيا، وخَرَّبتم الآخرة، تكرهون الخروج من العمران إلى الخراب.

قال سليمان: صدقت يا أبا حازم، وماذا لنا عند الله غداً؟

قال أبو حازم: أعرض عملك على كتاب الله..

فسأله سليمان: وأين أجده من كتاب الله عز وجل؟

أجابه أبو حازم: تجده في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾..

سأله سليمان: فأين رحمة الله؟

قال أبو حازم: (قريب من المحسنين)..

فقال سليمان: ليت شعري، كيف العرض على الله عز وجل غداً؟

قال أبو حازم: المحسن كالغائب يَقْدِمُ على أهله، وأما المسيء فكالآبق يُقْدَمُ به على مولاه..

فبكى سليمان بن عبد الملك حتى علا نحيبه، واشتد بكاؤه، وقال: يا أبا حازم: كيف لنا أن نَصْلُحَ؟

فقال أبو حازم: تَدَعُ عنك الصَّلف، وتقسمُ بالسوية، وتعدلُ في القضية...

قال سليمان: فكيف المأخذ من ذلك؟

قال أبو حازم: تأخذه بحقه وتضعه في أهله..

فقال سليمان لأبي حازم: هل لك أن تصحبنا؟

قال أبو حازم: كلا..

قال سليمان: ولِمَ يا أبا حازم؟

قال أبو حازم: إني أخافُ أن أركن إليك شيئاً قليلاً، فيذيقني الله ضعف الحياة، وضعف الممات.

فقال سليمان: ارفع إليَّ حاجتك..

قال أبو حازم: هل لك أن تدخلني الجنة، وتخرجني من النار؟

فقال سليمان: ليس لي ذلك؟

فقال أبو حازم: مالي حاجة سواها.

فقال سليمان: فادع الله لي يا أبا حازم.

قال أبو حازم: اللهم إن كان سليمان من أوليائك، فيسِّرْه لخير الدنيا والآخرة، وإن كان من أعدائك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى..

وفي ختام اللقاء، قال سليمان بن عبد الملك: هذه مائة دينار أنفقها، ولك عندي أمثالها كثير..

فقال أبو حازم: والله ما أرضاها لك، فكيف أرضاها لنفسي، إن كانت هذه الدنانير عوضاً مما قد حَدَّثْتُكَ، فالميتة في حال الاضطرار أَحَلُّ، وإن كانت من مال المسلمين، فلي فيه شركاء..

ثم خرج رحمه الله كما دخل..

نشر في: 8/ 4/ 1429هـ
الموافق: 14/ 4/ 2008م

رجال الحسبة خارج السيطرة

في يوم 30/ 1/ 1429هـ قرأت خبراً في جريدة: (الحياة) تحت عنوان: «الغيث: معاملة خاصة للدبلوماسيين المخطئين» نقلت فيه الجريدة المذكورة نصوصاً من حديث الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الشيخ إبراهيم الغيث من كلمة له في مناسبة اختتام دورة الأداء المتكامل للمديرين في الرياض..

وقد لفتت اهتمامي في الخبر فقرة من حديث الرئيس العام للهيئات هذا نصها بالحرف: (وأقول لإخواني رجال الهيئة: نحن لا نطلع على أعمالكم، ولكن الله وحده هو العالم بها، فاتقوا الله سبحانه) ا. هـ.

أعلم علم اليقين أن رجال الدوريات في الأمن العام يستقبلون شكاوي المواطنين، إلا أنهم لا يتحركون لمباشرة التحقيق في أي واقعة أو أي جريمة قبل استقبال توجيهات رؤسائهم، وهذا يعني أن رجال الأمن العام عناصر منضبطة تمام الانضباط، وأن رؤساءهم على علم كامل بممارساتهم..

وحديث الرئيس العام للهيئات جعلني أقف مذهولاً عند هذه الفقرة التي اعترف فيها لمن كان يخاطبهم في الاحتفال بأن لا يطلع على أعمالهم الرسمية

في الهيئات، وأنهم يمارسون أعمالهم بشكل خفي، بحيث لا يطلع عليها حتى رئيسهم العام، وأنهم مطلقو اليد، ولا يتقيدون بشيء غير مفاهيمهم الشخصية، ولذلك فهو يأمرهم أن يتقوا الله سبحانه وتعالى. .

إن هذا الاعتراف التلقائي بعدم سيطرة رئاسة الهيئات على عناصرها المنتشرين في كل مكان قد ذكرني بما نشرته مجلة: «المعرفة» التي تصدرها وزارة التربية والتعليم في عددها الصادر في شهر رمضان من عام 1423هـ في مقابلة صحفية مع الرئيس السابق لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الدكتور عبد العزيز السعيد، اعترف فيها هو الآخر ببعض الأخطاء التي كانت تصدر في عهده عن العاملين الذين يصرون على العنف في ممارسة أعمالهم وبالتجاوزات التي يمارسونها باسم الدين حينما قال بالحرف:

«في أثناء عملي بالهيئة، وجدت بعض التجاوزات التي لا تستند إلى نص شرعي، فعملتُ على تلافيها، ووجدت ممانعة من بعض الناس، لأنهم منذ زمن وهم على ذلك، ولم يُلاحَظْ عليهم شيء. . . وأسوأ شيء، أنه قد تتم تجاوزات باسم الدين، والدين منها براء».

وهذا الاعتراف من رئيسين للهيئات، وهما الرئيس السابق الدكتور عبد العزيز السعيد، والرئيس الحالي الشيخ إبراهيم الغيث يدل على شجاعتهما في الاعتراف بالواقع المر لرجال الحسبة، وأنهم يعملون بشكل جعلهم موقع تذمر من رئاستهم العليا. . وأضيف بأن تذمر الرأي العام منهم بلغ درجة عالية من الاستنكار. .

فهم يلجأون إلى العنف في ممارسة أعمالهم إلى حد أن بعض المواطنين والمقيمين قد ماتوا تحت وطأة قسوتهم وخشونتهم في الرياض وجدة وتبوك، وهم يدبرون الحيل في الحصول على توقيع المتهمين بأنهم قد ارتكبوا عملاً من الأعمال المحرمة شرعاً، بدعوى أن التوقيع يعني قفل ملف المخالفة، بينما هو إدانة ذاتية بارتكاب المخالفة أو الجريمة، وبناء على ذلك التوقيع المأخوذ

بأسلوب من أساليب الحيلة أو التضليل، يؤخذ الموقع على الاعتراف إلى السجن أولاً، وبناء عليه تحكم عليه المحكمة بعقوبة مناسبة. .

وللقضاء على ممارسات بعض رجال الحسبة بشكل أهدر حقوق الإنسان، وشوَّه سمعة المملكة العربية السعودية في العالمين، تم إلزام رجال الحسبة على إلغاء التحقيق والسجن الموقت في غرف فروع هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصار من واجبهم تسليم المتهمين إلى الشرطة من دون المرور على فروع الهيئة، وصار من حق المتهمين الامتناع عن دخول تلك الغرف. .

إلا أن بعضهم صار ينصب الأفخاخ للمتهمين بطلب التوقيع على بعض الأوراق بحجة أنها تؤدي إلى قفل الملف وحفظ الموضوع، بينما هو توقيع على اعتراف مكتوب باسم المتهم بارتكاب الجريمة أو المخالفة الشرعية التي تستوجب عقاباً شرعياً لا فكاك منه. .

ولذلك كله، أطالب بمنع هؤلاء من أخذ أي توقيع على أي ورقة أو أي إقرار أو أي اعتراف من أي متهم، وأن يقتصر دورهم على تسليم المتهمين للادعاء العام ليتخذ بحقهم الإجراءات القانونية. .

نشر في: 11/ 2/ 1429هـ
الموافق: 18/ 2/ 2008م

دفاع عن أخطاء رجال الحسبة!

لمن لم يقرأ قبل هذا الموضوع شيئاً عن قضية السيدة: (يارا) التي سافرت من مقر عملها الرئيس في جدة إلى الرياض لمتابعة عملها هناك، حيث وجدت تيار الكهرباء مقطوعاً عن فرع عملها، فاضطرت أن تدخل مقهى من مقاهي ساربكس تحت العمارة التي يقع فيها الفرع، وكان معها أحد العاملين معها، وما إن جلست وأخذت تتصفح ما يخص عملها في جهاز الكمبيوتر المحمول الذي يعينها في تنظيم أعمالها، وتناقش ترتيبات العمل مع زميلها في العمل حتى فاجأها أحد منسوبي هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بطلب التوقف عن الاستمرار في جلسة العمل بدعوى أنها ارتكبت مخالفة، وأمرها بالخروج من المكان للتوقيع على تعهد بعدم تكرار ذلك، فامتثلت سيدة الأعمال، وأثناء خروجها خطف رجل الحسبة حقيبتها اليدوية وجوالها، ومنعها من الاتصال بزوجها، واستدرجها إلى سيارة أجرة بحجة التوقيع على بعض الأوراق، وأن توقيعها سيؤدي إلى حفظ القضية ضدها، ولما رفضت هددها بالسجن، وفور اقترابها من سيارة الأجرة، فتح بابها لكي توقع على إقرار بأنها كانت في خلوة مع رجل بينما هي جالسة في مقعد سيارة الأجرة، وما إن جلست على طرف المقعد حتى ضغط رجل الحسبة الباب على ساقيها، فاضطرت المرأة أن ترفع

رجليها إلى داخل السيارة لكي لا تصاب بأي أذى، وما إن قفل عليها باب السيارة حتى انطلقت إلى أحد فروع هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث نُقِلت هناك إلى جيب الهيئة ووضعت في صندوقه الذي ليس فيه كراسي للجلوس، وسُلّمت: (يارا) لسجن الملز للنساء، ومعها توقيعها على بعض الأوراق التي تدينها، لأنها وقعت على إقرار بأنها كانت في خلوة مع رجل، وهو توقيع يعتبر اعترافاً منها بأنها ارتكبت مخالفة شرعية يجيز سجنها موقتاً، ثم جلدها وسجنها بموجب حكم قضائي، وبمجرد دخولها السجن تم تجريدها من ملابسها في أحد الحمامات القذرة لتفتيشها ربما بحثاً عن مخدرات بحوزتها، ثم ارتدت: (يارا) ملابسها التي وقعت على أرض الحمام المبلل بماء نجس وعفن..

وفي يوم 12/ 2/ 1429هـ نشرت جريدة: (الوطن) دفاعاً متهافتاً لمدير عام فرع الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمنطقة الرياض عن رجال الحسبة الذين اشتركوا في إلقاء القبض على السيدة «يارا» بتهمة الخلوة رغم أنها كانت في مكان عام، ومما جاء فيه: (أسفنا وأسف كل مسلم ما طالعتنا به صحيفتا: «الوطن» و«عكاظ»:

الأولى تحت عنوان: (مَنْ اختطف يارا؟) للكاتب عبد الله العلمي.

الثانية تحت عنوان: (الاهتمام بسمعة الوطن) للكاتب عبد الله أبو السمح.. وحز في نفوس القراء من أهل هذه البلاد المسلمة والمقيمين فيها وخارجها من أهل الإسلام ما ذهب إليه الكاتبان من إقرار للمنكر، وإنكار للمعروف.. (لم يذكر مصدر هذه المعلومة).

فقد أقرا بأن تلتقي المرأة مع الرجل وهو غير محرم لها في قسم العائلات المخصص للمحارم، وأقرا سفرها وحدها من جدة إلى الرياض بدون محرم وعملها في شركة مع الرجال، وأنكرا على رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنكارهم على «يارا» هذا الوضع المخالف للشرع)..

في هذه المحاولة اليائسة للدفاع عن أخطاء رجال الحسبة الذين قاموا بإلقاء القبض على السيدة «يارا» وإيداعها السجن، تجاهل مدير عام فرع الحسبة في منطقة الرياض المخالفات التي ارتكبوها، وهي:

أولاً: استخدام سيارة أجرة في عملهم بهدف إخفاء شخصياتهم على الناس، وهو أمر يجعلهم في حالة تجسس، وكلا الأمرين مرفوض شرعاً، ويستدعي محاسبتهما على هذا الأسلوب في أداء واجبهم. . .

ثانياً: اللجوء إلى الخدعة في أخذ توقيع السيدة «يارا» على أوراق تعترف فيها بالخلوة وتدينها، بحجة أن توقيعها يؤدي إلى قفل قضيتها وإخلاء سبيلها. .

ويزعم مدير عام فرع الحسبة في منطقة الرياض بأن جلوس تلك المرأة مع رجل في المقهى محرم شرعاً، كأنه يريد أن يقول إن جلوسها مع الرجل خلوة، والخلوة محرمة شرعاً، بينما هي لم تكن في خلوة مع أحد، وإنما كانت تجلس مع عامل معها في مكان عام، وهو هنا مثل آخرين من منسوبي الحسبة يخلطون بين الخلوة والاختلاط، ويستميتون في الدفاع عن مفاهيمهم وأعرافهم وينسبونها إلى الدين. .

ويزعم مدير عام فرع الحسبة في منطقة الرياض أيضاً بأن سفر السيدة «يارا» من جدة إلى الرياض محرم شرعاً اعتماداً على حديث منسوخ نسخه حديث آخر للنبي ﷺ يقول فيه لعدي بن حاتم الطائي: (لعلك يا عدي، إنما يمنعك من دخول هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم، حتى لا يوجد منْ يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه، ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا يخاف) اهـ، ويعني هذا الحديث أن الأمن سوف يستتب في الأرض بسبب انتشار دين الإسلام، ويزول الخوف من المجرمين والسراق والمغتصبين، فتسافر المرأة وحدها دون وجل من القادسية إلى مكة، لكن رجال الحسبة المتنطعين يتجاهلون الرخص ويتمسكون

بالممنوعات، لأنهم يميلون إلى أعراف سيطرت عليهم تحت ستار ديننا السمح . .

ويزعم المسؤول أيضاً بأن عمل المرأة مع الرجال محرم أيضاً، لأنه يؤدي إلى اختلاط الطرفين ببعضهما، بينما هو أمر مباح كما أوضحت قبل قليل . .

خلاصة الأمر، هو أن الحسبة تفرض فهمها للإسلام على المجتمع كله كما هو حاصل في دفاع مدير عام فرع الحسبة في منطقة الرياض وتنسبه إلى المسلمين كلهم، بدليل أنه نسب مشاعره الشخصية إزاء ما نشرته الصحف بقلم بعض الكتاب من نقد لممارسات رجال الحسبة في قضية: (يارا) إلى المسلمين في داخل البلاد وخارجها، بينما هو يعبر عن مشاعره ومشاعر زملائه . .

وأنتهز هذه الفرصة لأكرر دعوتي لمنع رجال الحسبة من أخذ أي توقيع من المتهمين، لأنه يتم تحت الضغط والتهديد أحياناً ويتم بالخديعة أحياناً أخرى، إذ يؤدي توقيعهم إلى توريطهم في مخالفات شرعية تستوجب الجلد والسجن، بينما هم أبرياء مما نسب إليهم . .

نشر في: 18/ 2/ 1429هـ
المو افق: 25/ 2/ 2008م

أخبار «الهيئة» في جريدة عالمية

الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آلية إسلامية للإصلاح منحها الله للمسلمين لتقويم ما اعوج في حياتهم، ليس من مصلحة أي مجتمع مسلم أن يستغني عن هذه الآلية، وقد أكد على ذلك صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز في إحدى المناسبات التي اجتمع فيها بخطباء الجمع على ما أذكر . .

إلا أن التجاوزات والأخطاء الجسيمة التي ارتكبها بعض منسوبي هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الآونة الأخيرة، شوهت صورة هذه الآلية الإسلامية للإصلاح، ووصلت أخبار بعض تلك الممارسات المعوجة إلى الخارج، فقد نشرت جريدة: (فايننشال تايمز) يوم 5/ 6/ 2007م خبراً تقول فيه:

(ووفقاً لما نشرته الصحف اليومية السعودية والمدافعين عن حقوق الإنسان هناك أربع حالات تخضع الآن للتحقيق على امتداد المملكة، وذلك نتيجة لاتهامات ومزاعم استخدام العنف بوساطة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن ضمن الحالات حال رجل في العاصمة الرياض تعرض للضرب حتى الموت نتيجة اتهامه بعد اقتحام منزله بتهمة التعامل في الخمر.

وفي المنطقة الشمالية الغربية في تبوك توفي رجل، وحسب مزاعم السلطات بسبب نوبة قلبية أصابته، في حين أنه كان موقوفاً من قبل الشرطة الدينية لاتهامه بإركاب امرأة أجنبية عنه، لا تَمُتُّ له بصلة القرابة في سيارته، وهي تهمة يعاقب عليها القانون في المملكة، وتطالب أسرته بتشريح الجثمان متهمة تعرضه لإيذاء جسدي مسبباً لوفاته..

وفي الأسبوع الماضي سقطت امرأة من الطابق الرابع بمبنى في مدينة جدة عندما هاجمت الشرطة الدينية المبنى..

ويوم أمس أوردت جريدة عكاظ اليومية أن تحقيقاً يجري في مدينة نجران في جنوب البلاد عندما زعم أحد الطلاب أنه تعرض للضرب من قبل الشرطة الدينية، لأنه يحمل صوراً غير لائقة في حقيبته..

وفي تقريرها عن الشهر الماضي، انتقدت الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان تصرفات الشرطة الدينية وسلوكها، موردة التهم بممارسة الضرب وعدم التقيد بالقانون ومراعاة الأنظمة، «وهناك شعور بأنهم يتجاوزون الحدود وأنهم يقومون بتنفيذ أشياء بدون أمر من الحكومة»، هذا ما قاله أحد مسؤولي حقوق الإنسان..

ومع ذلك، يشك هذا المسؤول في اتخاذ إجراء حاسم لكبح جماحها، مشيراً إلى القيود التي فرضت بعد اشتعال النيران عام 2002م في مدرسة للبنات راح ضحيتها 14 طالبة فقدن حياتهن، حينما رفض المطوع خروج الطالبات من المبنى بحجة عدم تحجبهن بدرجة كافية..).

أما أنا فأقول: يصعب على أي إنسان مهما كان أن يدافع عن مثل هذه الأخطاء الجسيمة التي تشوه صورة الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعطي الإعلام الخارجي فكرة غير صحيحة عن المملكة العربية السعودية.

ولا يحل المشكلة في نظري غير إعداد نظام جديد لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن نظامها القديم ولائحتها السارية المفعول حتى اليوم غير صالحين على الإطلاق، لأنهما أعدا بعد حادثة الحرم عام 1400هـ التي فتحت الأبواب للقوى المتشددة المعروفة باسم: (الصحوة) لفرض مدرستها الفكرية الإقصائية الأحادية على كثير من نواحي الحياة في بلادنا..

وأكرر، نحن متمسكون بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتخليصها من الشوائب عن طرق نظام جديد لهذه الآلية الإسلامية الجميلة..

نشر في: 10/ 6/ 1428هـ
الموافق: 25/ 6/ 2007م

محاولـة لتحريم الاختلاط!

نشر ملحق: «الرسالة» لجريدة: «المدينة» يوم الجمعة الموافق 27/ 11/ 1428هـ خبراً مفاده أن الرئاسة العامة لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد وقعت عقداً مع الجمعية السعودية للدراسات الدعوية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بمبلغ 695,000 ريال (ستمائة وخمسة وتسعون ريالاً) لكي تقوم الجمعية المذكورة بموجب العقد بدراسة ظاهرة الاختلاط.

وقالت جريدة: «الشرق الأوسط» يوم الخميس الموافق 26/ 11/ 1428هـ بأن الشيخ إبراهيم الهويمل وكيل الرئاسة العامة لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قد برر اهتمام الهيئة بموضوع الاختلاط كونه: «سبباً لكثير من المشكلات الاجتماعية والأخلاقية».

وقالت الجريدة نفسها بأن مشروع الدراسة سيتناول: «بيان مفهوم الاختلاط، وأحكامه في الإسلام، وآثاره على المجتمعات وتحليل ودراسة الأنظمة السعودية المتصلة بالاختلاط، واستقراء مظاهره وميادينه، والتعرف بآثاره السلبية، وموقف المجتمع منه» أ.هـ.

المعروف أن الفكر الديني المتشدد يحاول عامداً متعمداً الخلط بين معنى

الاختلاط ومعنى الخلوة، ويضفي على الاختلاط حكم الخلوة، فيحرم الاختلاط حسب فهمه المستقى من الأعراف التي ما أنزل الله بها من سلطان، أو يحرم الاختلاط بالاستعانة بنظرية: «سد الذرائع» الفقهية على اعتبار أن الاختلاط يؤدي بشكل أكيد إلى المحرمات، وهي نظرية فقهية وضعت لحماية العادات والتقاليد التي ليس لها علاقة بالدين، ونشر المفاهيم المتشددة باسم الدين..

وكان ديدن رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر القبض على حالات الاختلاط التي تحدث في الأسواق والمطاعم والمتاجر والطرقات العامة على أساس أنه عمل محرم شرعاً في نظرهم!! والاختلاط ليس محرماً، لأنه ليس خلوة، والخلوة تعني اجتماع رجل وامرأة في مكان مغلق لا يريان فيه أحداً غيرهما، ولا يراهما أحد بأي شكل من الأشكال، وهو الأمر الذي ربما يقود إلى ارتكاب جريمة أخلاقية تستوجب الحد، ورغم ذلك كله لم ينص حديث «الخلوة» عن معاقبة طرفي الخلوة بعقوبة معينة، وبناء عليه يعتبر الحديث نوعاً من أنواع التحذير منها من باب سد الذرائع.

أما الاختلاط بالشكل الذي نراه الآن في الحرم المكي أثناء الطواف والسعي وفي الشوارع والمحلات التجارية والمطاعم، فليس من الأعمال المحرمة، ولا علاقة له بالمنكرات التي تحاربها هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

ولعل من المناسب لهذا الموضوع نقل فقرات من مقال بقلم السيدة دلع المفتي نشره موقع: «منبر الحوار الإلكتروني»، تحت عنوان: «700 ألف ريال لمنع الاختلاط»، تقول الكاتبة: (موضوع يثير التساؤلات ـ للذين يتساءلون ـ كيف ستجري الدراسة؟ ومن أين ستكون العينة المختلطة التي سيجرون الدراسة عليها؟ ثم لو كانت الهيئة مقتنعة سلفاً بأن الاختلاط سبب كثير من المشكلات الاجتماعية والأخلاقية، فلماذا الدراسة من ذات أصلها؟).

وللإجابة عن سؤال الكاتبة أقول وبالله التوفيق: بما أن هيئة الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر لم تجد مستنداً شرعياً تعتمد عليه في منعها للاختلاط، ولم تجد في القوانين الحكومية ما يؤيد عملها التعسفي، فإنها لجأت إلى هذه الخطوة لعلها تجد فيها نصيراً لممارساتها المثيرة للجدل وتلجم المعارضين لهذا المنع..

وأخيراً، أسأل هيئتنا الموقرة لماذا تصرفون تكلفة هذه الدراسة بينما حكم الاختلاط معروف شرعاً منذ مئات السنين؟ فإذا كان لديكم فائض في الميزانية، فاصرفوه في الأعمال الخيرية بمساعدة الفقراء والأرامل والأيتام والمرضى فهي من صميم أعمال هيئتكم، حيث يقول المولى عز وجل: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ لماذا تعطلون الجزء الأول من الآية الكريمة الذي يأمر المسلمين بأن تعمل مجموعة في الدعوة إلى الخير؟ والخير هنا بمعنى العمل الخيري، مثل كفالة الأيتام ورعاية الأرامل ومعالجة المرضى ومساعدة الفقراء والمنكوبين، وتكتفون بتفعيل الجزء الثاني والثالث من الأوامر الإلهية، وهما: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟! فهل تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعضه؟

نشر في: 29/ 12/ 1428هـ
الموافق: 7/ 1/ 2008م

هناك فرق بين المطعم والديسكو

نعم، هناك فرق دائماً بين الأشياء وأضداها . .

فهناك فرق بين الماء والثلج . .

وهناك فرق بين المطعم والديسكو . .

وهناك فرق بين الاختلاط والخلوة . .

وهناك فرق بين الاعتراف الذاتي بالذنب والاستدراج للحصول عليه . .

وهناك فرق بين الحلال والحرام والمباح . .

ولكن هناك جهات لا يفرق المنتسبون إليها بين تلك الأمور لأسباب أيديولوجية في الغالب لإثبات تفوقهم في الصراع الديني السياسي الاجتماعي . .

أقول ذلك بمناسبة أني قرأت ما نشرته جريدة: (الوطن) يوم 12/ 9/ 1428 هـ، بعنوان: (إجبار النساء على الإفطار وقوفاً في أسواق البلد بجدة) الخبر الآتي:

(أجبرت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر النساء المتسوقات في الأسواق الشعبية بحي البلد في جدة على تناول طعام إفطارهن واقفات بجوار بسطات وأكشاك الكبدة الشعبية التي تنتشر في الحي، ويحمل أصحابها رخصاً من أمانة مدينة جدة بعد أن استأجروها بآلاف الريالات قبل شهر رمضان . .

ومع أن غالبية هؤلاء النسوة كبيرات في السن، وأخريات يحملن أطفالاً،

إلا أن أعضاء الهيئة منعوهن من الجلوس على الموائد الخلفية المعدة للأكل في تلك المطاعم الشعبية وبسطات الكبدة الرمضانية مبررين ذلك بالاختلاط، ووجود الشباب بكثرة أمام تلك المطاعم وعدم نظامية هذه الطاولات التي لم تصرح لها الأمانة أساساً..

من جانبه، أوضح رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمحافظة جدة أن الهيئة لديها تعليمات تحتم عليها اتخاذ أي إجراء تقتضيه الحاجة، مُرجعاً سبب الإجراء بأنه يأتي درءاً للشبهات، وخصوصاً إذا كانت بعض هؤلاء النساء متبرجات، وذلك منعاً للاختلاط الذي يحدث في مثل هذه الحالات، وهو لا يجب أن يُقَرّ، وشرعنا يرفضه) اهـ.

وفي يوم 8/ 3/ 1429هـ نشرت جريدة: (الحياة) وكذلك موقع: (العربية نت) خبراً مماثلاً لما حدث في شهر رمضان من العام المنصرم جاء في أحدهما ما يلي:

(تحدت عائلات سعودية رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مركز تجاري بمدينة الرياض، بينما فَضّل آخرون الانصراف من المكان بعد مطالبتهم بالخروج من مساحات المطعم فوراً، لعدم وجود فاصل بين العائلات، وأصر آخرون على إكمال عشائهم على الأرض متحدين رجال «الهيئة» التي رأى مسؤول فيها أن الإجراء صحيح..)

وقال أحد الحاضرين بأن (رجال الهيئة لم يميزوا بين طفل وامرأة ورب عائلة، فسحبوا الكراسي من تحتهم، وسط ذهول الموجودين، مؤكداً أن عدداً من الزبائن فضلوا ترك وجبة العشاء، بينما أصر كثيرون على تناول الوجبات على الأرض، وسط صيحات استهجان، مشدداً على أن المكان لم يشهد أي مشكلة أو مضايقة حتى يتصرف موظفو الهيئة بهذا الشكل..).

ومن جهته، اعتبر وكيل مركز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حي الروضة أن الإجراء الذي اتخذه موظفو الهيئة صحيح، وقال بأن أمير منطقة الرياض الأمير سلمان بن عبد العزيز وَجّهَ رجال الهيئة بعدم السماح بالاختلاط في

الأسواق والمجمعات التجارية، وأن التوجيهات صريحة بوضع حواجز بين الرجال والنساء، وتكون كل عائلة في جلسة خاصة مستقلة. .) اهـ.

بالمقارنة بين الواقعتين نلاحظ ما يلي:

أولاً: أن إحداها حصلت في مدينة الرياض هذا العام 1429هـ، وأن الأخرى وقعت في مدينة جدة في عام 1428هـ.

ثانيا: أنهما حصلا في أماكن محترمة تقدم الأكل، وليست في استديوهات للديسكو أعدت للغناء والرقص. .

ثالثاً: أن رواد تلك الأماكن العامة رجال ونساء اجتمعوا في المطعم للأكل. .

رابعاً: أن النساء في تلك الأماكن منعن من الجلوس على الكراسي، فاضطررن إلى الجلوس على الأرض أو الوقوف لمواصلة الأكل. .

خامساً: أن حجة رجال الحسبة الذين نفذوا العمليتين هي أن رواد تلك المطاعم كانوا مختلطين يضمون رجالاً ونساء. .

سادساً: أنهم كانوا يحتجون على سلامة وصحة ممارساتهم بأنهم يطبقون توجيهات أميري المنطقتين. .

سابعاً: أن الحادثتين متشابهتان إلى حد بعيد، رغم الفاصل الزمني بينهما، والبعد المكاني بينهما. .

ثامناً: أن الفكر الديني الذي يجمع بينهما هو إيمانهم بأن الاختلاط محرم يجب منعه. .

تاسعاً: أن رجال الحسبة الذين قاموا بالعمليتين يريدون عزل أفراد المجتمع عن بعضهم لجعلهم يعيشون في جزر منفصلة متنافرة، وهذه العزلة التي يفرضها هؤلاء بتفريق بين الجنسين هي الأرضية التي أنبتت الفكر الانعزالي الإقصائي، ونمت فيها كراهية الآخرين. .

إن هاتين الواقعتين تدلان على أن معظم رجال الحسبة إن لم يكن كلهم

يتصورون بأن الاختلاط محرم، بينما هو من الضرورات الدينية التي نراها في الطواف والسعي والصلاة، وهو أيضاً من لوازم الحياة الاجتماعية التي لا يمكن اجتنابها، مثل ركوب المرأة مع سائق سيارتها أو سيارة الأسرة، وشراء لوازمها ولوازم أسرتها من المتاجر الأمر الذي لا يتم من دون التقاء بعض الباعة ببعض النساء وجهاً لوجه، وهو ما يحصل حينما تمرض المرأة، فتذهب إلى طبيب طلباً للعلاج الطبي. .

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: 3] ولا يحق لأحد كائناً من كان، أن يحرم الاختلاط الذي سكت عنه الشارع، وهو الأمر الذي يجعله مباحاً، فإن فعل أحد ذلك، فكأنه يقول بأن الإسلام ناقص، لأنه لم يحرم الاختلاط.

ولا أود أن أختتم هذا المقال قبل أن أتوقف قليلاً عند تصريح وكيل مركز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حي الروضة بأن أمير منطقة الرياض الأمير سلمان بن عبد العزيز وَجَّهَ رجال الهيئة بعدم السماح بالاختلاط في الأسواق والمجمعات التجارية.

فأقول بأن صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض هو أحد الأركان الأربعة للحكومة في بلادنا، وهو مثقف ثقافة دينية تفوق ثقافة كثير من أعضاء الحسبة بدون جدال، ولا أعتقد بأنه أمر الحسبة بمنع الإختلاط في الأسواق والمجمعات التجارية.

وأغلب الظن أن بعض رجال الحسبة يسيئون القراءة كما أساءوا قراءة بعض النصوص الدينية بتأويلها لمصلحة أعرافهم وتقاليديهم، وليس ببعيد أنهم لم يحسنوا فهم توجيهات سموه الكريم،ولكي نعذرهم يحسن أن يشركونا في قراءة تلك التوجيهات، ونعرف بالتالي كيف يقرؤون النصوص. . .

نشر في: 23/ 3/ 1429هـ
الموافق: 31/ 3/ 2008م

هل يشترك المتهم في التحقيق؟

إذا ارتكبتُ جريمة في حق المواطنين هل يحق لي أن أشترك أو يشترك أحد أفراد أسرتي أو أحد أصدقائي في التحقيق الذي تقوم به الشرطة؟!

الجواب معروف جداً، هو أن ذلك ممنوع منعاً باتاً في كل الظروف، ولكن من حق المتهم أن يوكل محامياً يدافع عنه بالطرق الشرعية والقانونية.

يوم الجمعة الماضي الموافق 15/ 6/ 1428هـ حينما كنت أقرأ جريدة «المدينة» من الإنترنت، لأني كنت حينها في رحلة علاجية في الخارج، قرأت مما قرأت فيها خبراً بعنوان: (لجنة رباعية للتحقيق في سقوط سيدة من الدور الرابع بمنزل داهمته الهيئة) وجاء في ذلك الخبر:

«وجه صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة مكة المكرمة بتشكيل لجنة عاجلة مكونة من أربع جهات هي:

1 ـ الأمارة...

2 ـ هيئة التحقيق والادعاء العام...

3 ـ هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

4 ـ الشرطة...

ووجهت الأمارة بالتحقيق في الحادثة بعدما رفعت شرطة جدة برقية عن الحادثة وقيام الهيئة بالمداهمة، وتعرضت إحدى السيدات لإصابات خطيرة، منها كسر أحد قدميها، ويديها الاثنين، وأسنانها بالكامل بعد سقوطها من الدور الرابع من العمارة. . .».

أقدر لصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة مكة المكرمة حرصه الشديد في هذا التوجيه بتشكيل لجنة رباعية هدفها عدالة التحقيق والوصول إلى الحقيقة التي تكشف أسباب سقوط المتهمة من الدور الرابع من العمارة.

إلا أني كنت أتمنى على سموه الكريم أن تستبعد هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من لجنة التحقيق في هذه القضية، لأن الخبر المنشور يوحي أن سقوط المرأة كان أثناء قيام الهيئة بمداهمة المنزل الذي تقيم في الدور الرابع من العمارة، وهو الأمر الذي أدى إلى إصابة تلك المرأة بعد سقوطها بإصابات بالغة سوف تعاني منها بقية عمرها. .

نعم كنت أتمنى أن لا تكون هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهة من الجهات التي تقوم بالتحقيق في القضية، لكي لا يكون لها أي تأثير محتمل على مسار التحقيق وعملاً بقواعد التحقيق التي تمنع المتهم من القيام بأي دور في التحقيق. .

إن المجتمع لا يريد أن تكون هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موضع اتهام جنائي، ولكنه يريد أن يعرف: لماذا سقطت المرأة من الدور الرابع في العمارة التي سقطت منها؟ ويريد أن ينال المتسبب الجزاء الذي يستحقه. .

نشر في: 25/ 5/ 1428هـ
الموافق: 11/ 6/ 2007م

تــباً للمطـاردات

صرح الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الشيخ إبراهيم الغيث لجريدة: «عكاظ» بأن المطاردة ممنوعة، وأن هناك تعاميم وتعليمات وقع عليها جميع منسوبي الهيئة الذين تجاوز عددهم خمسة آلاف شخص لأن أضرارها أكثر من نفعها، ففيها إزهاق لأرواح المطاردين... إلخ.

ويبدو أن بعض رجال الحسبة يظنون بأنهم فوق القانون، وبخاصة بعدما بُرِّىءَ بعضهم من تهمة القتل بفضل قيام القضاء بتطبيق فتوى باطلة تدعي بأن رجال الحسبة لا يحاسبون، فاعتبر هؤلاء المحتسبون أن ذلك تصريح قضائي لهم بأن يتصرفوا كما يشاءون، وأن القضاء سوف يبرئهم ويحميهم من العقوبة حتى لو كانت التهمة الموجهة إليهم تهمة القتل.

وبناء عليه، قرأنا في صحفنا عن مقتل بعض المتهمين على يد بعض رجال الحسبة، وتمت تبرئتهم في القضاء، فتأكد لهم بأن فتوى رجال الحسبة لا يحاسبون أصبحت قانوناً مطبقاً في المحاكم...

ورغم أن كل رجال الحسبة البالغ عددهم 5000 محتسب قد وَقَّعوا بالعلم بأن المطاردة بالسيارات ممنوعة، إلا أن بعضهم ما زال يتجاوز التعليمات،

ويمارس المطاردة التي انتهى بعضها في الآونة الأخيرة بموت المطاردين المتهمين عن طريق سوء الظن بمن حمل معه امرأة في سيارته. .

ففي شهر واحد مات ستة أشخاص نتيجة الأعمال البطولية التي قام بها بعض رجال الحسبة بمطاردة سيارة تقل شاباً وفتاة في تبوك، حيث تفحمت جثة الشاب السائق، ولم يبق منها غير العظام، وفصلت فيها رأس الفتاة عن جسدها، كما قام بعض أبطال المطاردة في الحسبة بمطاردة سيارة أخرى في المدينة المنورة كانت نتيجتها مقتل شابين وامرأتين. .

وقد صرح مدير مرور المدينة المنورة العقيد سراج بن عبد الرحمن كمال في تصريح له لجريدة عكاظ يوم 24/ 3/ 1429هـ بأن الدلائل الأولية لأسباب الحادث وبشهادة شهود العيان، تشير إلى أن وراء الحادث مطاردة من جيب الهيئة للسيارة التي كان بداخلها أربعة أشخاص.

إن بعض رجال الحسبة لا يتجاوزون أوامر رئاستهم فحسب، بل إنهم باسم حراسة الفضيلة يشوهون الإسلام حينما يتجاهلون سنة رسول الله ﷺ التي سجلتها وروتها كتب الحديث النبوي الشريف.

ولعل من أشهر الأحاديث النبوية حديثاً أن رجلاً يدعى هزال استأجر شخصاً يدعى ماعز بن مالك ليرعى غنمه، فوقع ماعز على جارية لهزال، ثم أخبر النبي ﷺ بما كان منه مع الجارية، فأمر النبي عليه السلام برجمه، فهرب ماعز من الرجم، إلا أن صحابياً لحق به وقتله، وعاد ليخبر النبي ﷺ بإنجازه القتل في حق ماعز فقال له عليه الصلاة والسلام: (ويلك يا هزال: لو كنتَ سترته بثوبك كان خيراً لك). .

وتروي كتب الحديث بأن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، وقال له: أصبتُ حداً. . .

فصمت الرسول حتى قامت الصلاة، وبعدها أعاد الرجل كلمته، فقال عليه الصلاة والسلام: (ألم تُصَلِّ معنا؟ إن الحسنات يذهبن السيئات). .

ويروي لنا التاريخ بأن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب كان يجوب شوارع المدينة ليلاً، فسمع صوت رجل وامرأة، فَتَسوَّرَ الحائط، فوجد زقاً عند رجل وامرأة، فقال عمر للرجل:

ـ يا عدو الله: أكنتَ ترى أن الله يسترك وأنتَ على معصية؟

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين: أنا عصيت الله في واحدة، وأنت في ثلاث: يقول الله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾، وأنت تجسست علينا، ويقول الله: ﴿وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ﴾ وأنت تسلقت الجدار، ويقول أيضاً: ﴿لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ﴾ وأنت لم تفعل ذلك. .

فقال عمر: هل عندك من خير إن عفوتُ عنك؟

قال الرجل: نعم، والله لا أعود. . .

فقال عمر: لقد عفوت عنك. . .

لقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه معروفاً بالشدة والصرامة والحزم إلا أنه تراجع عن معاقبة الرجل، لأنه أدرك بأنه ارتكب أخطاء عدة لا يجوز لحاكم أن يُقدم عليها. .

والحقيقة التي لمستها بعدما حصل من تجاوزات خطيرة لبعض موظفي الحسبة أدت إلى مقتل عدد من المواطنين نتيجة للمطاردة المبنية أساساً على سوء الظن بالناس، أن الرأي العام متذمر بشكل كبير من هذه الأخطاء الجسيمة التي أدت إلى إزهاق بعض الأرواح البشرية، وينتظر وقفة حازمة من ولي الأمر تجاههم. . .

ولا حل عندي لمثل هذه الممارسات المبنية على مفاهيم خاطئة للإسلام إلا إصدار نظام جديد لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكون نصوصه واضحة خالية من الجمل الهلامية التي يمكن تفسيرها بأوجه عدة، وتوضع فيه عقوبات، صريحة رادعة لأي تجاوز يهدر كرامة المواطنين وحقوقهم، ويمنعهم من استدارج المتهمين بالتوقيع على محاضر يعدّونها تحت ستار الإعفاء في حالة التوقيع عليها، بينما هي اعترافات لذنوب لم يرتكبوها، يستحقون بموجبها العقوبة حينما تحال أوراقهم إلى المحاكم. . .

نشر في: 1/ 4/ 1429هـ
الموافق: 7/ 4/ 2008م

شتان بين المتابعة والمطاردة

الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آلية إسلامية للإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لم تطبق كما ينبغي لأسباب أيدولوجية.

إن الخلل الذي يعتري تطبيقات هذه الآلية الدينية العظيمة جاء نتيجة لسوء فهم لمقاصدها الشرعية، وكثيراً ما انتقدتُ بعض الممارسات والمفاهيم الخاطئة من باب حرصي على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عملاً بقوله ﷺ: «**من رأى منكم منكراً، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**».

إلا أن بعض منسوبي هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبعض أعضاء المؤسسات الدينية لم يعجبهم النقد الموجه لبعض رجال الحسبة الذين ارتكبوا أخطاء قاتلة، لأنهم يتصورون أن موظفي هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فوق النقد وفوق القوانين، ولا يجوز استنكار تجاوزاتهم التي تسيء إلى الدين الإسلامي قبل أن تسيء إلى سمعة المملكة. . .

ولذلك كتب فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان يوم 7/ 3/ 1429هـ مقالاً

نشرته جريدتا: «البلاد» و«الجزيرة» تحت عنوان: (أقلوا عليهم لا أباً لأبيكم). . وهو شطر بيت من الشعر قاله الشاعر الحطيئة الذي كان بذيء اللسان، يهجو نفسه إن لم يجد مَنْ يهجوه، وهو الذي قال:

(أَقلوُّا عليهم لا أباً لأبيكم من اللوم، أو سدُّوا المكان الذي سَدُّوا)، وفي عنوان المقالة دعاء على الكُتَّاب الذين انتقدوا تجاوزات بعض موظفي الحسبة، وهو دعاء لم يتوقعه أحد على الإطلاق من شيخنا المحترم صالح الفوزان. . .

ولمناقشة آرائه، سوف أقوم بنقل أهم فقرات مقاله فقرة فقرة، وأعلق على كل منها على حدة. . .

قال الشيخ: «قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ في هذه الآية الكريمة الوعيد الشديد على من نشر الفاحشة المنكرة الواقعة في المجتمع المسلم، فكيف بمن يتهم الأبرياء من المسلمين؟ فكيف بمن يتهم مَنْ لهم مكانة، ويقومون بمسؤولية في المجتمع، ويدرأ الله بهم الفساد، ويدفع الله بهم الهلاك عن المسلمين، وهم رجال الحسبة؟».

لم يوفق الشيخ في استخدام هذه الآية التي تتوعد الذين يحبون أن تنتشر الفاحشة في المجتمع بأن لهم عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة في مكانها المناسب، إذ ليس بين مَنْ انتقدوا الأخطاء الجسيمة لبعض رجال الحسبة مَنْ يعمل على نشر الفاحشة، بدليل أن الشيخ نفسه لم يأت بنص يؤيد كلامه. .

وقال الشيخ الفوزان بأن العذاب الشديد ينتظر أولئك الذين يعملون على نشر الفاحشة، وهو مقال فيه اتهام للمسلمين الأبرياء الذين كتبوا ينتقدون الممارسات المستنكرة لبعض موظفي الحسبة، وأقول للشيخ الموقر بأن إيقاف سيارة تحمل رجلاً وامرأة ومساءلة كل منهما على حدة لمعرفة العلاقة التي تربطهما ببعض، واقتحام المقاهي والمطاعم والقبض على رجل وامرأة مجتمعين

في مكان عام أمام الناس وليس في خلوة لا يراهما فيها أحد، ألا يعد هذان العملان اتهاماً صريحاً وواضحاً لأبرياء لم يرتكبوا فاحشة؟ إن الفاحشة لا ترتكب في السيارات التي تمشي في الشوارع والأسواق، ولا تُقترف في المقاهي والمطاعم، فالفاحشة تتم في أماكن مغلقة يستحيل على موظفي الحسبة معرفتها من دون أن يكون هناك تجسس على الناس . .

وقال الشيخ: «إن من يقع فيهم ـ يعني رجال الحسبة ـ فعقوبته أشد لفضلهم وحصانتهم الرسمية، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ في هذه الآية الكريمة، إن الوقائع التي تهم المجتمع في دينهم وأمنهم يتولى النظر فيها أولو الأمر، وهم العلماء والأمراء، على ضوء ما جاء عن الرسول ﷺ، وأن ذلك خير للمسلمين في حل مشاكلهم، وأحسن مآلاً من أن يتولى النظر في ذلك دهماء الناس، ومن ليس من شأنه النظر في قضايا المسلمين، أو لا يحسن النظر فيها، فإن ذلك شر وأسوأ عاقبة، وقال النبي ﷺ: «**يا معشر مَنْ آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن مَنْ تتبع عورات المسلمين، تتبع إليه عورته، يفضحه في عقر بيته**» . . .

أقول للشيخ الموقر بأن المقصود بأولى الأمر في الآية الكريمة هم الحكام، وليس علماء الدين كما تقول، والحكام وحدهم هم المسؤولون عن النظر في مشاكل الناس وخصوماتهم، بينما ينظر فيها القضاة حينما تحال إليهم من الحكام إذا رأوا أن من المصحلة العامة تحويل بعض القضايا للحاكم.

وجاء في الحديث الذي استشهدت به قوله عليه الصلاة والسلام: (ولا تتبعوا عوراتهم، فإن مَنْ تتبع عورات المسلمين تتبع إليه عورته، يفضحه في عقر بيته)، فهذا النهي عن تتبع عورات المسلمين الذي جاء على لسان النبي ينتهي إلى أن الله عز وجل سوف يتتبع عورات الذين يبحثون عنها . . .

وقد أحسنت أيها الشيخ بنقل نص هذا الحديث النبوي، فمن المناسب تعليقه على الجدار أمام أعين رجال الحسبة، لأن بعضهم قد دأب على تتبع عورات المسلمين والبحث والتنقيب عن أخطائهم. .

وقال الشيخ: «أقول هذا بمناسبة ما ينشر في بعض صحفنا المحلية من تهم تلصق برجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن إلصاق التهم بهم في قضايا قتل أو مطاردة للعصاة والمخالفين من دون أن يتثبت كاتب المقال من صحة التهمة. .» ثم تساءل قائلاً: ألا يدل هذا على معاداة رجال الهيئة والحقد في صدور هؤلاء عليهم؟

أقول للشيخ: إن كل الكتاب الذين انتقدوا الأخطاء الجسيمة لبعض رجال الحسبة الذين أهدروا حقوق الإنسان، هم مواطنون مسلمون ويفقهون المقاصد الشرعية السامية للحسبة، ولذلك هم ينتقدون الممارسات القائمة على مفاهيم خاطئة للدين، وهؤلاء النقاد ليسوا من حشو البشر.

وتساءل الشيخ فقال: وهل يشترط في رجل الهيئة أن يكون معصوماً لا يخطئ لو قُدِّرَ أنه وقع منه خطأ؟

أقول للشيخ: يكفي ضحايا الأخطاء التي ارتكبها بعض رجال الحسبة هذا الاعتراف منك، بأن رجال الهيئة بشر يخطئون. . فهل المطلوب من الكُتّاب الذين يمثلون ضمير المجتمع أن يغضوا الطرف عن الأخطاء القاتلة؟ فإذا كنت أنت راضياً عن تلك التجاوزات المرفوضة، فهو من شأنك وحدك. .

وقال الشيخ: «ثم قضية المطاردة لأصحاب الجرائم، الواقع أنها متابعة، وليست مطاردة».

أقول للشيخ: إن هذه الفقرة من كلامك تدل على أن المطاردات كانت مطاردات للمجرمين، فكيف عرفت أن هؤلاء المطاردين الذين ماتوا مجرمون؟ وما هو دليلك على ذلك؟

وتذكرني هذه الفقرة أيضاً بأولئك الذين أطلقوا على الهزيمة النكراء اسم: (النكسة)، لأنك سميت المطاردة متابعة، وهذه محاولة واضحة للدفاع عن بعض موظفي الحسبة الذين عذبوا المتهم سلمان الحريصي في الرياض في فرع الهيئة حتى أنقذه الله من العذاب بالموت، إني أرجون أن لا تقول بأن هؤلاء الذين حطموا جمجمته فخرج منها مخه مما أدى إلى وفاته أنهم أبرياء، وأن كل مَنْ كتب عن هذا الاعتداء يعتبر عدواً للإسلام وأنه يحقد على الهيئة..

إن المطاردات تدل على أنها تمت بناء على سوء الظن بالمواطنين، بينما قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ الآية: 28 من سورة النجم، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾، فسوء الظن بالمسلمين عمل مستنكر بكل المقاييس.

ومن الأسئلة التي طرحها الشيخ: «ثم لو كان صاحب السيارة المشتبه فيه بريئاً، لِمَ يهرب؟».

أقول للشيخ: ألا تعلم أن بعض رجال الحسبة حينما يستوقف سيارة تسير في شارع أو في مكان عام يستقلها رجل وامرأة يخضعانهما للتحقيق، بسؤال كل منهما على انفراد، فإذا كانا أجنبيين عن بعضهما، توجه إليهما تهمة الخلوة التي نهى عنها رسول الله ﷺ، مع أن جلوس أو اجتماع رجل وامرأة في سيارة في الشارع أو مطعم أو مقهى ليس خلوة، وإنما هو أمر مباح شرعاً، نعم يهرب صاحب السيارة، لأنه يتوقع أن توجه إليه تهمة باطلة تنتهي به إلى السجن والجلد..

نشر في: 22/ 4/ 1429هـ
الموافق: 28/ 4/ 208م

أكاديمي في المصيدة!

في يوم 18/ 2/ 1429هـ قرأت الخبر الذي نشرته جريدة: «المدينة» عن الحكم الذي صدر بحق أكاديمي تربوي يعمل في إحدى كليات جامعة أم القرى بسجنه لمدة ثمانية أشهر وجلده 150 جلدة، لأن رجال الحسبة اتهموه بأنه كان في حالة خلوة مع امرأة في مقهى!!

وجاء في الخبر على لسان محامي ذلك الأكاديمي المستشار القانوني عبد الله السنوسي بأن القضية مرتبة لعضو هيئة التدريس، لأنه كان يعلِّم عدداً من رجال الحسبة في إحدى الدورات، إذ دار بينه وبينهم نقاش مطول حول أهمية التعامل الحسن لرجال الحسبة، علاوة على أن بعضهم رسب في الاختبار، ما كَوَّن حالة عدائية ضد ذلك الأكاديمي الذي كان يعلمهم. . .

وأضاف المحامي بأن الأكاديمي تلقى اتصالاً من فتاة تخبره بأن لديها مشكلة، وأن ذلك يستدعي أن يتقابلا، فوافق الأكاديمي شريطة حضور شقيقها معها حينما تحضر إلى المقهى الذي ترتاده عشرات الأسر، وأن الأكاديمي فوجئ عند وصوله للمقهى بوجود الفتاة وحدها، ولما سألها عن شقيقها أخبرته بأنه لم يحضر، ثم فوجئ بعدد من رجال الحسبة يحيطون به من كل جانب،

ويقيدونه بالسلاسل، ويحيلونه إلى الشرطة ومنها إلى هيئة التحقيق والادّعاء بتهمة الخلوة.

ثم قال المحامي بأن هيئة التحقيق والادعاء العام أعادت أوراق القضية لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة المكرمة لعدم ثبوت تهمة الخلوة على الأكاديمي، لأنه كان مع الفتاة في مكان عام، إلا أن فرع الحسبة في مكة المكرمة رفع أوراق القضية للرئيس العام للهيئات الذي وجه بإحالتها إلى المحكمة التي أصدرت بحقه ذلك الحكم!

وفي اليوم التالي الموافق 19/ 2/ 1429هـ نشرت الجريدة ذاتها رد مدير عام فرع هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي قال فيه بأن اتهام المحامي للهيئة بتلفيق القضية لا أساس له من الصحة، وأنها تحركت حينما تلقت شكوى من إحدى المواطنات عن تعرضها لبعض المضايقات من الأكاديمي، وسجلت عليه بعض المكالمات، وتم القبض عليه وهو في خلوة غير شرعية مع المرأة، وأن الهيئة قدمت الأدلة والمستندات كافة لهيئة التحقيق، والادعاء العام التي تولت التحقيق وأدانت الأكاديمي بالخلوة والمضايقة..

وفي يوم 30/ 2/ 1429هـ نشر خالد الحسيني تقريراً عن القضية بناء على اطلاعه على صورة الصك الذي يضم الحكم على الأكاديمي بعض الحقائق الغائبة عن الرأي العام تحت عنوان: «أسئلة صادقة لفضيلة قاضي أستاذ الجامعة» من ذلك:

* أن الأكاديمي المتهم أخبر المرأة أنه لا يستطيع مقابلتها إلا ومعها محرم، فأبدت موافقتها، وقد ألحت عليه كثيراً بأن يحضر إلى المطعم لحل مشكلتها، وأن الأكاديمي ذهب إلى المكان معتقداً وجود محرم معها، ولما دخل المطعم «نادته» فوجدها من دون محرم، وسألها عنه، فذكرت له بأنه سيأتي بعد قليل، فلما هَمَّ بالجلوس، إذا برجال من الهيئة يدخلون المطعم حيث تم القبض عليه.

* وقال الأكاديمي بأنه تعرض لوضع «الكلبشة» في يديه وركلوه بأرجلهم. . .

* جاء في الصك بأن أعضاء الهيئة الذين شهدوا أمام القاضي بعد أن حضروا مع المدعي العام بقولهم: «تلقينا اتصالاً هاتفياً من أحد الغيورين على حرمات الله، يفيد بأن هناك رجلاً مختلياً بامرأة لا تحل في إحدى الجلسات العائلية بمطعم. . . تدور بينهم حركات مريبة، وأن المرأة دخلت المطعم من باب، والرجل من باب».

وقد طرح خالد الحسيني أثناء قراءته لصورة الصك الذي يضم الحكم الصادر بحق الأكاديمي المتهم عدداً من الأسئلة الجوهرية من أهمها:

* ورد في الصك بأن التحقيق انتهى إلى توجيه الاتهام للمدعى عليه بالاتصال على فتاة ومحاولة مقابلتها، وبالبحث عن سوابقه، لم يعثر له على أي سوابق مسجلة، ثم ورد في الصك ما يشير إلى أن المحكمة أخذت بسوابق قديمة، فكيف وردت هذه العبارة، وأنه لا سوابق له، بمعنى أن العبارة لم تكتب إلا بعد التأكد من خلوه من السوابق؟!

* كيف عرف الغيور الذي اتصل بالحسبة هاتفياً بأن المرأة لا تحل للرجل الذي رآها معه؟ وكيف شاهد الحركات المريبة؟ رغم أن عضوي الهيئة اللذين قبضا على المتهم قالا بأن المكان جلسة خاصة لها باب من الستارة؟

* جاء في الصك بأن الهيئة ضبطت شريط التسجيل من المرأة، وتعليقاً على هذه الفقرة تساءل خالد الحسيني: هل سمع الادعاء العام مضمون الشريط إذا كان النظام يجيز الأخذ به؟ وهل سمع القاضي أو اطلع على محتويات الشريط، فقد طلب وكيل الأكاديمي المتهم أن يتم سماع مضمون الشريط لأن ما سجل به خلاف ما ذكر الشاهدان. . ولماذا لم يؤخذ به دليلاً قوياً ضد الأكاديمي، أو تكون من أدلة البراءة للمتهم، هذا إذا عرفنا أن لدى الأجهزة الأمنية خبراء في تمييز الأصوات ومطابقتها لأصحابها الأصليين؟

* طلب وكيل الأكاديمي المتهم بإحضار المرأة صاحبة الشكوى لسماع أقوالها فلماذا لم يتم ذلك؟ ولماذا لم يتم إحضار صواحب الإخباريات الأخرى اللائي تقدمن بعدة إخباريات أخرى مقيدة لدى أحد مراكز الهيئة؟ ما هي تفاصيل هذه الاتصالات والادعاءات ومدى صحتها؟ ولماذا وردت في الصك من دون توضيح بإحضار صاحباتها وتسجيل ما لديهن وما يؤيد أقوالهن؟

والحقيقة أن هذه القضية التي حكم فيها القضاء بسجن الأكاديمي مدة ثمانية أشهر، وجلده 150 جلدة، قد أثارت موجة من الغضب لدى الرأي العام، فكلما دخلت مجلساً وجدت أعضاءه يتحدثون في تذمر واضح عن التهمة الباطلة والعقوبة التي صدرت بحق الأكاديمي، ومن التعليقات الموجزة المعبرة عن وجهة نظر بعض المواطنين:

* أكاديمي في المصيدة. . .

* الراسبون ينتقمون من معلمهم. .

* مؤامرة ضد أكاديمي. .

* مكيدة دبرها بعض رجال الحسبة ضد أكاديمي. .

أما أنا فإني أتوكل على الله فأقول:

أولاً: لوحظ أن المؤسسات الدينية تصر على تحريم الاختلاط بإطلاق اسم الخلوة عليه في خلط واضح بين الحالتين، لاتخاذه ذريعة لمعاقبة مَنْ يجلس مع امرأة في مكان عام، عن طريق فرض مفاهيمها بقوة السلطة التي بين أيديهم، بينما حَرَ الرسول عليه السلام من الخلوة، ومعناها أن يجتمع رجل وامرأة في مكان مغلق بحيث لا يريان غير نفسيهما، ولا يراهما أحد ولم ينص حديثه عن الخلوة بمعاقبة طرفيها، أما الاختلاط فهو أن يجتمع رجل وامرأة في الأماكن العامة، مثل ركوب السيارات، والمستشفيات، والمتاجر، وأماكن العمل، فإذا طبقنا الحكم المستجد الذي ابتدعته «الصحوة» بتحريم الاختلاط،

فإن السجون لن تكفي المتهمين، ولن يتمكن رجال الشرطة من تنفيذ عقوبة الجلد بحقهم، ما يستوجب استقدام عمال أجانب للقيام بهذه المهمة، وأصر على أن التهمة الموجهة للأكاديمي باطلة شرعاً، وما بني على باطل فهو باطل أيضاً، لأنه لم يرتكب عملاً محرماً. .

ثانياً: لم أجد فيما نشر عن القضية شيئاً عن التحقيق مع المراة التي استدرجت الأكاديمي، ما يدل على سوء نيتها بالخطاب الذي كتبته للأكاديمي، ويلزم إحضارها وأخذ أقوالها لمعرفة الحقيقة هذا إذا كانت أقدمت على عمها بدافع ذاتي، ولم يحرضها أحد على ذلك. .

ثالثاً: إذا صح ما جاء على لسان محامي الأكاديمي من أن بعض رجال الحسبة الذين كان الأكاديمي يعلمهم في إحدى الدورات قد رسبوا في الامتحان، فإن ذلك قد يكون من دواعي الحفرة التي حفرها بعض رجال الحسبة بالتعاون مع امرأة للانتقام من الأكاديمي. .

رابعاً: تسجيل المكالمات الهاتفية يحتاج إلى موافقة الجهة المختصة، ولا يُعتد بها إن كانت بدون إذن. . .

خامساً: وضع القيد على يدي الأكاديمي وركله بالأرجل في تهمة باطلة شرعاً يدل على رغبة في إهانته، لأن رجلاً مثل الأكاديمي لن يهرب منهم، فهو معروف لديهم، ويعتبر إهداراً لحقوق الإنسان، الذي كرمه الإسلام، ومنع احتقاره حتى بكلام قبيح. .

سادساً: الحكم بسجن الأكاديمي لمدة ثمانية أشهر وجلده 150 جلدة، كان حكماً اجتهادياً شابه الخطأ، لأنه جعل الاختلاط أمراً محرماً، وما هو كذلك شرعاً. .

إن هذه القضية تدل على سيادة بعض المفاهيم الدينية الخاطئة التي تسيطر على بعض المؤسسات الدينية، وهي مفاهيم تؤدي إلى إهدار حقوق الإنسان

ومعاقبة بعض المهتمين من دون ذنب جنوه، وهو الأمر الذي يدعو إلى تقنين العقوبات التعزيرية للمحافظة على سمعة القضاء في بلادنا، ويدعو للمطالبة بالحد من قيام بعض المؤسسات الدينية بتجاوز القوانين المنظمة لأعمالها. . .

وأخيراً: أقول بكل صراحة، لقد حان الوقت لإصلاح الخلل في بعض المؤسسات الدينية بوضع أنظمة جديدة تحدد صلاحياتها وتحمي حقوق المواطنين من تجاوزاتها. .

نشر في: 2/ 3/ 1429هـ
الموافق: 10/ 3/ 208م

نظرات في دراسة لصالح الحسبة

نشرت معظم الصحف المحلية في الأسبوع الماضي نتائج دراسة ميدانية أجراها معهد الملك عبد الله للبحوث والدراسات الاستشارية بالتعاون مع جامعة الملك سعود لصالح هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأسفرت الدراسة عن عدد من الحقائق، كان بعضها معروفاً، والآخر نعرفه لأول مرة، واحتوت على نقد عابر ذكر على استحياء شديد، وانتهت ببعض التوصيات والمطالب التي اعترض على بعضها مجلس الشورى في السابق، وأرادت الدراسة إحياءها، لأن الدراسة كانت على حساب الهيئة ولا بد بالتالي من تبني مطالبها.

هناك بعض النتائج والمطالب والتوصيات التي تستدعي مناقشتها، وأذكر كلا منها على حدة، أو أذكر بعضها مع أخرى، ثم أتناولها بالتحليل والنقد، ومن أهمها:

أولاً: أن 55٪ من العاملين في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحملون شهادة الثانوية العامة فما دونها.

ثانياً: أن 9٪ منهم يحملون شهادة إتمام المرحلة الابتدائية فقط..

إننا إزاء حقيقة مرة، وهي أن أكثر من نصف العاملين فيها من ذوي

المؤهلات الدراسية المتدنية، بينما يستدعي العمل فيها أن يكون العاملون بها من ذوي المؤهلات الدراسية الجامعية على أقل تقدير ثم نالوا شهادة أو دورة متخصصة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالإضافة إلى كونهم من المشهورين بطلب العلم المستمر، أي ينبغي أن يكون المحتسب ذا ثقافة عالية تؤهله للتعامل مع كل المستويات الفكرية والسلوكية التي يواجهها في الميدان بما لديه من علم وثقافة وحكمة، لأن التجاوزات التي حصلت من بعض موظفي الحسبة إنما كانت بسبب محدودية ثقافتهم، وهو الأمر الذي أدى إلى اتهام بعض المواطنين الأبرياء بتهم ليست محرمة شرعاً، لأنهم حسب ثقافتهم الدينية وحسب أعرافهم لا يفرقون بين الخلوة والاختلاط، وهو الأمر الذي قاد إلى تشويه سمعة الأبرياء.

ومن الفقرات التي انتقدت بعض الممارسات فيها، وجاءت على استحياء شديد ما يلي:

أولاً: الاندفاع الذي يتمتع به بعض أفراد الهيئة أثناء مزاولة أعمالهم الميدانية... ولا شك بأن هذا الاندفاع في التنقيب عن المنكرات إنما هو بسبب مفاهيمهم الخاطئة للدين، وهو الأمر الذي أدى إلى الخلط بين الخلوة والاختلاط، فحرموا الاختلاط بين الرجال والنساء وفرض كثير منهم على النساء أن يغطين وجوههن رغم أنه من الأمور الخلافية التي لا يجوز الإنكار فيها..

ثانياً: التقصير في الأمر بالمعروف..

ثالثاً: التركيز على النهي عن المنكر..

لم تستعن الدراسة بالقرآن والحديث في إقناع موظفي هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأن هناك تقصيراً في الأمر بالمعروف وتعسفاً في النهي عن المنكر، ونيابة عن معدّي الدراسة أقول:

قال الله عز وجل: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ لأن

الابتعاد عن الحكمة في القول والعمل هو الذي يوتر الجو بين الطرفين، ويؤدي إلى الخروج عن آداب الحوار، وخلق روح الانتقام والاتهام. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ يأمرنا الله جل وعلا في هذه الآية بتنفيذ ثلاث آليات في حياة المسلمين:

الأولى: ممارسة الأعمال الخيرية، ولها صور كثيرة، منها: كفالة الأيتام، ورعاية الأرامل، والتبرع لمعالجة المرضى المعدمين، ومساعدة المحتاجين مالياً وتحسين أحوال الفقراء، ومحو الأمية، ومحاربة الجهل والفقر والمرض، ومكافحة الظلم؛ وللأسف الشديد فإن هذه الآلية الإنسانية التي أمرنا الله بتطبيقها معطلة، ولا يعيرها أحد من موظفي الحسبة اهتمامه كأنها غير مطلوبة وغير واردة بصيغة الأمر الإلهي..

الثانية: الأمر بالمعروف، وأشعر بأن بعض موظفي الحسبة لا يدركون معنى الكلمة: «المعروف» فهي تعني المألوف والسائد والشائع بين الناس في أمور الدنيا، فالناس الذين يقطنون الصحاري يأكلون لحم الإبل، والذين يعيشون في السواحل يتناولون السمك، والعرب يلبسون الثياب، والغربيون يرتدون البناطيل، وبعض النساء يغطين وجوههن حتى على أزواجهن، وهناك أبناء لم يروا وجوه أمهاتهم طوال حياتهم.. وكل تلك الأمور من الأعراف السائدة بين بعض الناس تختلف عن بعضها بحسب المكان الذي يعيشون فيه، وليس لها علاقة من قريب أو بعيد بالدين، ولكن بعضهم يضفي على عاداتهم وتقاليدهم ثوباً دينياً يحميها وينشرها بين الجهلة، ولو كان الأمر بالمعروف هو المعروف الديني لنص عليه القرآن الكريم والسنة النبوية، وما تركه لاجتهاد البشر...

الثالثة: النهي عن المنكر، والمنكر هنا هو عكس المعروف في المعنى، ويحسن أن أستعين بمثال واقعي لتوضيح الأمر، فأقول: حينما يرى بعض رجال الحسبة قيام بعض الشباب والمراهقين بقص شعر رأسهم بأسلوب فني كأن يكون مصفوفاً بطريقة معينة، أو مصبوغاً بالألوان، يأخذونهم إلى أقرب حلاق ليحلقوا

لهم شعرهم بالموسى، لأن ذلك من المنكر حسب أعرافهم، وليس له علاقة بالدين. . . وهم حينما يمنعون المراهقين من ممارسة مراهقتهم بقوة السلطة إنما يقومون بتأجيلها إلى حين، لأنها تعود إلى الظهور في مرحلة متأخرة من أعمارهم، وهي التي تطلق عليها عبارة: «عودة الشيخ إلى صباه».

ومن نتائج هذه الدراسة التوصية بما يلي:

أولاً: زيادة الحوافز المادية التي يتقاضاها موظفو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو إنشا صندوق تنمية موادر يعود ريعه لهم تصرف للعاملين المميزين في الميدان.

وقد حاولت الحسبة تمرير فكرة زيادة رواتب وعلاوات المميزين في الميدان من رجال الحسبة من طريق مجلس الشورى، فرفض المجلس الفكرة، لأن ذلك سيرفع من نسبة الأخطاء في أعمالهم الميدانية حينما يندفعون في ممارساتهم حتى في حالات الظن، مما يلحق الضرر بالأبرياء، ولماذا لا يقنع رجال الحسبة بالأجر والثواب من عند الله؟ ولماذا يبحثون عن وسخ الدنيا؟

ثانياً: المطالبة باقتناء أجهزة لاسلكية ووضع كاميرات مراقبة في الأسواق. . وهذا يؤدي إلى التجسس على الناس، والبحث عن أسرع الطرق للقبض على الفرائس. .

ثالثاً: تزويد موظفي الحسبة بمرافقين عسكرين من حقهم حمل السلاح. . . إن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي لا تكون باستخدام العصا أو السلاح، أو بالجلد والسجن، وإنما تكون بالكلمة الطيبة والحوار والاقناع، لأن ديننا دين الرحمة والتسامح والعفو والستر، وليس دين التنقيب عن الأخطاء ونشر الفضائح وجلد الناس. .

نشر في: 5/ 6/ 1429هـ
الموافق: 9/ 6/ 2008م

الشيطان لا يغلب كل إنسان

أصدقاؤنا موظفو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عقدوا اجتماعاً في الغرفة التجارية الصناعية بجدة لمناقشة موضوع «الاختلاط» المثير للجدل، من دون أن يحضره النساء، إلا أن سعادة وكيل الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إبراهيم الهويمل قال بأنه لا مانع من حضور السيدات في اللقاءات القادمة، وهذا تطوير كبير في المفاهيم القديمة التي كانت تتمسك بها الحسبة، وأدت إلى تشويه سمعة الناس وسجنهم وجلدهم، وآمل أن يتم تصحيحها على أرض الواقع قريباً جداً. . .

إذ أن هناك فرقاً شاسعاً بين الخلوة والاختلاط، ولولا ذلك لما رأينا خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز وولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز، ومعهما ثلة من أصحاب السمو الملكي الأمراء الكرام الذين رعوا احتفال مدينة الملك عبد العزيز الاقتصادية الذي شاركت فيه مجموعة من النساء من دون أن تكون هناك حواجز بين الرجال والنساء، إنهم حفظهم الله بحكم ثقافتهم الدينية، ومعرفتهم لأحكام الشريعة، وإدراكهم بأن هناك فرقاً كبيراً جداً بين الخلوة والاختلاط يرسلون رسالة واضحة وضوح الشمس لكل أولئك الذين يخلطون بين الخلوة التي هي عمل سري لا

يُرى فيها الرجل والمرأة المجتمعان في مكان مغلق، وبين الاختلاط الذي يكون علناً أمام عيون الناس، بأن الاختلاط مباح، فقد قال النبي ﷺ: «**ما اختلى رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما**» وهذا يعني أن الشيطان الرجيم هو الذي يوسوس للإنسان ويزين له الخروج على الدين والأخلاق ويغريه على فعل الفاحشة إذا كان ضعيف الإرادة والإيمان، مع العلم بأن الشيطان لعنه الله، لا يستطيع أن ينتصر على كل إنسان، فيعود مدحوراً مذموماً، ولو كان الشيطان قادراً على غواية كل البشر، لأعلن عليه الصلاة والسلام عن ذلك لأمته، وليس في حديث الخلوة أمرٌ أو نهي، ولا ينص على معاقبة طرفيها.

وأنتهز هذه الفرصة لألفت النظر إلى بعض الأحاديث والروايات:

* قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يدخلن رجل على مغيبة إلا ومعه رجل أو اثنان**» وهذا الحديث يجيز دخول أكثر من رجل على المرأة، فإذا دخل رجلان على امرأة من دون أن يكون معها زوجها، لا يجوز أن نتهمهم بارتكاب عمل محرم شرعاً. . .

* قال عبد الله بن عمر: كنا نتوضأ نحن والنساء من إناء واحد على عهد رسول الله ﷺ».

* قال أسامة بن زيد الليثي عن سالم بن النعمان عن أم حبيبة الجهنية أنها قالت: «اختلفت يدي ويد رسول الله ﷺ في إناء واحد في الوضوء».

نستخلص من الروايتين أمرين اثنين:

الأول: اجتماع الرجال والنساء في مكان واحد بهدف الوضوء. . .

ثانياً: إن وجوه النساء كانت مكشوفة أمام الرجال، لأن الوضوء يستدعي كشف وجوه النساء. . .

* روى ابن عباس عن أبي الجوزاء بأن امرأة حسناء كانت تصلي خلف النبي ﷺ، وكان قوم بين المصلين يتقدمون إلى الصفوف الأولى لكي لا يروها،

وكان آخرون يتخلفون ويتأخرون للصلاة في الصف الأخير للرجال ليروها، فإذا ركعوا جافوا أيديهم، لينظروا من تحت آباطهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾.. وتدل هذه الرواية بأن المرأة كانت تحضر الصلاة مع الرجال في الصفوف الأخيرة، ولم يكن هناك فاصل يفصل بينهما كما نفعل اليوم في مساجدنا من فصل للنساء عن الرجال، وهو الأمر الذي يؤدي إلى بطلان صلاة النساء، لأن صفوف المصلين يجب أن تكون متصلة، وتدل أيضاً على أن المرأة كانت كاشفة الوجه أثناء صلاتها مع الرجال..

ورغم وضوح النصوص الدينية بإباحة الاختلاط بين الرجال والنساء، إلا أن بعض علماء الدين الرجال الدين ينشرون الأعراف القبلية البائدة تحت ستار قاعدة فقهية صنعوها تدعى: (سد الذرائع) هدفها حماية العادات والتقاليد حتى لو أدى ذلك إلى تحريم المباح والحلال...

ينبغي الانتباه للحيل الشرعية التي يلجأون إليها لفرض مفاهيمهم الخاطئة للدين وحماية أعرافهم التي ليس لها علاقة بالإسلام...

منع من النشر

لا بد من نظام جديد للحسبة...

إذا قرأنا سبحانه وتعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ نجد أنها تأمر المسلمين بتحقيق ثلاثة أركان في وقت واحد، وهي:

الركن الأول: الدعوة إلى الخير، أي دعوة المسلمين إلى ممارسة الأعمال الخيرية مثل: معالجة المرضى، وكفالة الأيتام، ورعاية الأرامل، والإحسان إلى الفقراء، وإيواء المحتاجين، ورفع الأذى عن الطرقات، وغير ذلك من الأعمال الخيرية.

الركن الثاني: الأمر بالمعروف والمعروف هو المشهور. فمن المعروف عند أهل الرياض ممارسة الرحلات البرية، ومن المعروف عند أهل مدينة جدة ممارسة الرحلات البحرية، ومن المعروف على مستوى العالم ممارسة لعبة كرة القدم، على أن تكون تلك الأعمال معروفة في الوقت الحاضر، وليس إرغام الناس على ممارسة ما كان يمارسه الأموات، فالزمان قد تغير، فما كان مطلوباً في الأزمان الغابرة، قد يكون مرفوضاً في هذه الأيام، وبناء عليه، لا يجوز إلزام الناس في هذه الأيام بممارسة العادات والتقاليد البالية باسم الدين، أو تحت ظل الادعاء بأنها من أعراف أسلافنا.. وكذلك لا يجوز إجبار الناس على الإلتزام

بالأمور الخلافية دينياً، ولا يجوز إرغامهم على ممارسة بعض الأعمال البشرية الدينوية التي اختلف العلماء حول حكمها.

الركن الثالث: النهي عن المنكر الذي ثبت أنه منكر في الكتاب والسنة باتفاق العلماء، فلا يحق على الإطلاق استنكار المسائل الخلافية التي في ممارستها بأكثر من صورة توسيع على المسلمين.

والتطبيق الحالي لهذه الآية الكريمة تطبيق مبتور، لأن ممارسة الأعمال الخيرية، وهي الركن الأول المطلوب من المسلمين في هذه الآية غير حاصل أبداً..

وتدخل الثقافة الشخصية في ممارسة الأمر بالمعروف، وتسيطر الأعراف الجغرافية على أعمال بعض موظفي الهيئة، فيسعى إلى تطبيقها بالقوة، لأن تلك الأعراف التي يؤمن بها من الدين في وجهة نظره، بينما هي أعراف اجتماعية سائدة في منطقة معينة، ولا علاقة لها بالدين بأي شكل من الأشكال، وكثيراً ما يدخل التعسف في تفسير بعض الآيات والأحاديث في محاولة من الكثيرين من الآمرين بالمعروف لحشر الأعراف الاجتماعية في خانة الدين.

وكثير من الممارسات التي تمارس على أنها من باب النهي عن المنكر تدخل في باب المنكرات التي يجب النهي عنها. يؤكد ذلك الأخبار الصحفية التي تروي المنكرات التي يقدم عليها بعض الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، لعل آخرها إن كان لها آخر، ما نشرته مجلة «سيدتي» في عددها الصادر في الأسبوع المنصرم تحت عنوان «سيدتي في سجن النساء بجدة».

فقد سألت كاتبة ذلك التحقيق الصحفي السجينة سمية التي تبلغ من العمر 43 سنة، وهي متزوجة، ولها خمسة أبناء أكبرهم يبلغ من العمر 16 سنة سؤالاً هذا نصه: ما هي قضيتك؟

قالت السجينة: لا أعرف، وسأروي لك الحكاية: منذ سنة تقريباً طرق

بابي أفراد الهيئة ـ أي هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ وطلبوا مني التعاون معهم ولكني رفضت ذلك وقلت لهم: إن زوجي في السجن، فقالوا إنك كنت مغربية، وأصبحت الآن سعودية، ويجب أن تتعاوني معنا، ولكني رفضت، فتركوا لي ورقة بأسماء بعض الفتيات يريدون مني الاتصال لكي أوقع بهن. ومع الورقة خمسمائة ريال، ثم استمروا في الاتصال بي يسألونني: ماذا فعلت بالأرقام؟ أخبرتهم أن الفتيات لا يتقبلن مني الكلام، وهكذا استمروا يتصلون بي لأكثر من شهرين أو ثلاثة، ثم توقفوا عن الاتصال، وخلال الشهر الماضي. وفجأة وجدت الباب قد فتح بالقوة مع أنهم في المرة السابقة طرقوا الباب.

توقفت السيدة عن الحديث وانخرطت في البكاء تندب حال أطفالها الذين يعيشون وحدهم وليس لهم معيل.وقالت: إن ابنها أخبرها في زيارته أنهم يأكلون من حاويات القمامة.

نلاحظ من حديث السجينة ما يلي:

* أن بعض منسوبي الهيئة طلبوا منها التعاون معها للإيقاع ببعض الفتيات مقابل أجر قدره خمسمائة ريال.

إني أتساءل أولاً فأقول: هل يوجد في القرآن الكريم أو السنة النبوية نص يجيز إغراء بعض الناس بالمال من أجل توريط بعض الفتيات لممارسة منكر من المنكرات.

السؤال لا يحتاج إلى جواب، لأن جوابه معروف عند كل مسلم مثقف ثقافة دينية محدودة أو عميقة بأنه غير موجود، بل إن هذا العمل من الأعمال التي تستوجب الإنكار.

ومن أحدث الأعمال التي قام بها نفر من هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتستوجب الإنكار، الخبر الذي نشرته جريدة «الحياة» يوم 26/ 8/ 2006م

على لسان المرأة المتضررة وتقول فيه: «قبل ثلاثة أعوام خرجت من منزلنا غرب الرياض برفقة ابنتي «22 عاماً» والخادمة، بالإضافة إلى طفلي «12 عاماً» وابن شقيقي «11 عاماً» قاصدين منزل جدة أولادي لوالدهم «شرق الرياض» وقبل أن نصل إليه أنزلنا الطفلين في مدينة ترفيهية ورافقتهما ابنتي التي عادت وحدها للسيارة بعدما قطعت للطفلين التذاكر. ثم اتجهنا إلى منزل جدتها.

وأضافت المرأة المتضررة قائلة: بعدما انتهينا من زيارتنا العائلية، خرجت وابنتي والخادمة من بيت الجدة برفقة السائق إلى منزلنا. ومررنا في طريقنا على المدينة الترفيهية لآخذ الطفلين، ولكن ما إن شرعنا في الدخول إلى مواقفها نحو الساعة 11,30 مساء حتى فوجئنا برجال يرتدون ملابس مدنية يركضون ناحيتنا».

وأشارت المرأة المتضررة إلى أن أحدهم أنزل سائقها من السيارة قبل أن يصفعه وسط فزعهن وصراخهن، ليتولى بعدها قيادة السيارة ويركب بجانبه شخص آخر «كانا ملثمين» مبينة أنهن حاولن النزول إلا أنهن لم يستطعن، إذ إن الشخص الذي تولى القيادة سارع إلى ضغط زر الأمان لإغلاق الأبواب.

وتتذكر المرأة كل تلك اللحظات المؤلمة فتقول: دخلت في نوبة بكاء شديد، والخادمة كذلك. وحاولت الأولى كسر النافذة وهي تصرخ في محاولة لإيجاد من ينقذنا، بعدما انتزع الرجل هاتفها الجوال من يدها عنوة، حينما حاولت الاتصال بوالدها.

ثم تقول المرأة: أثناء ذلك عرفنا أنهما من الهيئة العامة، مع العلم أنهما لم يخرجا ما يثبت ذلك، وسألتهما عن سبب الاختطاف، فرد عليها أحدهما بقوله: اسكتي يا زانية يا فاجرة، ستعرفين لاحقاً.

وواصلت المرأة رواية الخبر قائلة: في هذه الأثناء كان السائق يقود السيارة بطريقة جنونية، ويقطع الإشارات المرورية التي يمر بها. ويقفز فوق الأرصفة حتى بدأت الأدخنة تنبعث من مقدمة السيارة رغم أنها كانت سيارة حديثة.

المهم في هذه الحكاية الغريبة أن المرأة لجأت إلى المحكمة الإجرائية في الرياض، وعرضت الأمر عليهما، فأصدر القاضي حكمه بعدم حق المدعيتين فيما تدعيانه من تأديب حيال المدعى عليه، وذلك بعد سرد عدد من النقولات وفتوى صدرت قبل أكثر من 40 عاماً ترى أن رجل الحسبة لا يمكن محاسبته أو ملاحقته قضائياً بسبب خطأ ارتكبه أثناء ممارسته لمهام وظيفته.

وهكذا أفلت هؤلاء النفر من منسوبي هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذين اتهموا المرأة بالزنا واختطفوها بأسلوب لا يليق برجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أفلتوا من العقوبة. ومن أمن العقوبة أساء الأدب.

وبناء على ذلك وهو: كون الدعوة للخير معطلة، مما يعني أن التطبيق مشوب بنقص ركن من أركان هذه الفريضة الإسلامية، وبناء على الممارسات السائدة التي يستدعي بعضها الاستنكار، وبناء على نظام هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي صدر في عام 1400هـ وهو العام الذي استهل بهجوم جهيمان وزملائه على الحرم المكي وتعطيل الصلاة فيه أياماً عدة، فكان هذا العام الذي بدأت فيه سيطرة الغلاة على الأوضاع، وصدر فيه نظام الهيئة الذي جمع بين السلطات التنفيذية والقضائية بصلاحيات كبيرة جعلها هيئة مقدسة ترفض النقد وتطلق يدها بشكل جعلت من ينتقدها كمن يحارب الدين.

لذلك كله أعتقد أن الوقت المناسب قد حل لإعداد نظام جديد لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قبل مجلس الشورى الموقر يحدّ من بعض ممارسات الهيئة التي دخلت باب المنكرات بشكل يجعلنا نرفع صوتنا بالاستنكار.

نشر في: 11/ 8/ 1427هـ
الموافق: 4/ 9/ 2006م

المحور الثالث

هموم فكرية دينية عامة

تحذيرات نبوية لعلماء الدين

جاء في الأثر أن العلماء ورثة الأنبياء، أي أن علماء الدين هم الذين يحملون مشاعل النور والهداية للبشر بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو الأمر الذي يترتب عليه أن يكونوا المثال الذي يحتذى بهم والقدوة للآخرين في أقوالهم وأعمالهم.

وحيث إن علماء الدين بمختلف تخصصاتهم بشر يصيبون ويخطئون وربما تكون أخطاء بعضهم أكثر من حسناتهم بدليل أنه ﷺ قال عن فئة القضاة من العلماء: «**قاضي في الجنة وقاضيان في النار**». .

لذلك كان عليه الصلاة والسلام يحذرهم من الوقوع في بعض المسالك المهلكة خوفاً على سمعتهم التي تتأثر بشكل خطير في حالة مخالطتهم للحكام ومجاملتهم من أجل الحصول على دنيا يعيشون في ظلال ترفها ومباهجها تكون في الغالب على حساب الحق وضد مصلحة الضعفاء. .

ومن أجل حرصه ﷺ على تعزيز مكانة علماء الدين من الحكام والمحكومين وبقائهم على الحياد بين الطرفين، كان حريصاً كل الحرص على انتهاز المناسبات لتحذيرهم من بعض الأعمال التي تهز صورتهم عند الناس. .

ومن اللائق في هذا الموضوع سرد بعض التحذيرات النبوية الشريفة لعلماء الدين:

* أخرج الحاكم في تاريخه والديلمي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من عالم أتىٰ صاحب سلطان طوعاً، إلا كان شريكه في كل لون يعذب به في نار جهنم**»...

* أخرج الحسن بن سفيان في مسنده والحاكم في تاريخه، وأبو نعيم والعقيلي والديملي والرافعي في تاريخه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**العلماء أمناء الرسل على عباد الله، ما لم يخالطوا السلطان، فإذا خالطوا السلطان، فقد خانوا الرسل، فاحذروهم، واعتزلوهم**»...

* أخرج أحمد في مسنده، والبيهقي بسند صحيح عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَمَنْ أتىٰ أبواب السلطان افتتن، وما ازداد أحد من السلطان قرباً، إلا ازداد من الله بعداً**».

* أخرج الترمذي والنسائي، قال رسول الله ﷺ: «**سيكون بعدي أمراء، فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس مني، ولستُ منه، وليس بوارد عليّ في الحوص وَمَنْ لم يدخل عليهم، ولم يعنهم على ظلمهم، ولم يصدقهم بكذبهم، فهو مني، وأنا منه، وهو وارد عليّ الحوص**»...

* أخرج الديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة، فاعلم أنه لص**»...

* أخرج ابن ماجة بسند رواته ثقاة عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن أناساً من أمتي سيتفقهون في الدين، ويقرأون القرآن، ويقولون نأتي الأمراء، فنصيب من دنياهم، ونعتزلهم بديننا، ولا يكون ذلك كما لا يجتبىٰ من القتاد إلا الشوك، كذلك لا يجتبىٰ من قربهم إلا الخطايا**»...

وتنفيذاً لتحذيرات النبي عليه الصلاة والسلام حرص بعض علماء الدين على البعد عن الحكام والسلاطين والولاة تحوطاً، وكان أبو حنيفة النعمان أكثر العلماء الأجلاء حرصاً على العمل بالتحذيرات النبوية الشريفة إلى حد أنه رفض أن يتولى العمل قاضياً، لأنه لم يكن يريد أن يحقق رغبة الولاة في عصره بأن يقوم بإصدار الأحكام التي يريدها هؤلاء الحكام، وصبر على أذاهم حتى خلده التاريخ بأسطر من نور، بينما مات الولاة الظالمون بعد أن لطخوا تاريخهم الحقير بالمظالم والمفاسد. . .

منع من النشر

الإرهاب ليس من الإسلام

إن كلمة الإرهاب مشتقة من الفعل المزيد: (أرهب) يقال: أرهب فلان فلاناً، أي: أخافه وأفزعه، وهناك اتفاق في معاجم اللغة العربية بأن الإرهاب يعني التخويف.

قد يكون الإرهاب في كلمة أو عبارة أو جملة، كقول أحدهم للآخر: يا كلب، وقد يأتي الإرهاب في شكل فعل حينما يستخدم شخص عصاة غليظة يضرب بها آخر، وقد يتطور إلى شكل بشع حينما يستعمل شخص سلاحاً لقتل آخر.

بينما ديننا دين الإسلام دين السلام والحب والرحمة والحوار والتسامح يدعو إلى اعتناق كل القيم الأخلاقية الإنسانية الجميلة التي تجعل البشر يعيشون في مودة وسلام ووئام بدون مشاكل أو صعوبات.

فالإسلام يدعو إلى إماطة الأذى عن الطريق الذي جاء على لسان الرسول ﷺ في قوله: «**إماطة الأذى عن الطريق صدقة**».

والإسلام يعالج نوازع الشر التي تؤدي إلى التخويف والترويع والإرهاب بغير حق، يدل على ذلك بعض أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، ومنها:

* «**لا يحل لمسلم أن يُرَوِّعَ مسلماً**» رواه أبو داود.

* «**مَنْ أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي، وإن كان أخاه لأبيه وأمه**» رواه مسلم.

* في الحديث الذي رواه النعمان الذي يشير إلى أنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مسير ـ أي سفر ـ فخفق رجل على راحلته ـ أي نام ـ فأخذ رجل سهماً من كنانته، فانتبه الرجل ففزع مرتاعاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يحل لرجل أن يُرَوِّعَ مسلماً**» رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقاة.

* «لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار» رواه البخاري ومسلم:

نستخلص من تلك الأحاديث النبوية الشريفة ما يلي:

1 ـ أن الترويع حرام.

2 ـ أنه لا يجوز للإنسان أن يخيف آخر حتى لو كان ذلك بحديدة مؤذية، حتى لو كان التخويف من أخ لأخيه الشقيق لأمه وأبيه، فإن الملائكة الكرام تلعن الشخص الذي يخوف الآخر حتى يتوقف عن عمله...

3 ـ نهى رسول الله ﷺ عن الإشارة والتهديد بالسلاح ولو كان على سبيل المزاح سداً للذريعة وحسماً لمادة الشر التي قد تؤدي إلى القتل.

والعمليات الإرهابية التي أزهقت أرواح الأبرياء ابتداء من الهجوم بالطائرات المدنية على برجي التجارة في نيويورك يوم 11/ 9/ 2001م وحصدت أرواح حوالى ثلاثة آلاف شخص بريء، ومروراً بالعمليات الإرهابية في بعض مدن المملكة التي أزهقت أرواح العشرات من الأبرياء، وانتهاء بما يجري في العراق وأفغانستان والصومال، حيث يجد فيها الإرهاب بيئة مناسبة للنشاط لضعف قوات الأمن في تلك البلدان، ويسقط فيها كل يوم عشرات الأبرياء

بأيدي إرهابية جاءوا للعراق من كل مكان، وبلغ الأمر حداً كبيراً من السوء حتى صار العراقي يقتل أخاه العراقي بفعل الفكر الإرهابي الذي لا يرحم ولا يعرف غير القتل وذبح الأبرياء باسم الله الرحمن الرحيم. . لاحظ يا أخي القارئ كيف يستخدم الإرهابيون اسم الرحمن الرحيم في ذبح الأبرياء في عمليات وحشية لا تعرف الرحمة على الإطلاق. . .

إن العمليات الارهابية اعتداء وإزهاق للأرواح البريئة، وليس لها علاقة بالإسلام بأي شكل من الأشكال، لأن الإسلام لا يقبل الوصول إلى الغايات والأهداف المشروعة بوسائل خبيثة. . . يدل على ذلك بعض الآيات القرآنية:

* قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

* قوله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾.

* قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

ونستخلص من هذه الآيات ما يلي:

1 ـ النهي عن العدوان، وأن الله سبحانه وتعالى لا يحب المعتدين. .

2 ـ أن قتل شخص واحد بريء يعدل قتل سكان الأرض كلها، من باب تهويل جريمة قتل الأبريا.

3 ـ أن العقوبة تطبق على المذنبين وليس على الأبرياء، ولذلك لا يجوز الاعتداء على الأبرياء بأي حال من الأحوال. .

فاتني رصد تاريخ نشره

القسوة في المعاملة من أسباب الإرهاب

لفت نظري حوار صحفي نشرته جريدة: (الحياة) يوم 17/10/1427هـ الموافق 8 نوفمبر 2006م تحت عنوان: «سعودي كان يخطط لتفجير مواقع أمنية في الرياض يسلم نفسه طوعاً».

وجه المحقق الصحفي في الجزيرة فهد الغامدي مجموعة من الأسئلة الصحفية لمواطن سعودي عقد النية على تفجير بعض المواقع الأمنية في العاصمة الرياض، أنقل لكم في السطور الآتية، أهم تلك الأسئلة وأجوبتها:

* ما الأسباب التي دعتك إلى التفكير في التفجير والقتل؟

قال المواطن: «تعرضت خلال الفترة الماضية إلى بعض الظلم من بعض المحسوبين على رجال الأمن بالضرب في شرطة جازان، كما تعرضت إلى الإهانة والضرب من قبل أحد أفراد الدوريات الأمنية في الرياض وشرطة الملز».

* وما هي هذه القصة؟

أجاب المواطن عن هذا السؤال قائلاً: تقدمت ببلاغ عن شخص غير سويّ وصاحب سوابق، وتعرضت خلال إيقافي لبعض الإهانات والضرب من بعض المحسوبين على رجال الأمن من غير سبب اقترفته، حتى أنه تم وضع

الكلبشات في رجليَّ، وأفادني أحد الضباط أن النظام يقتضي ذلك، ما انعكس على اتجاهي الأمني من مواطن صالح يريد خدمة بلده إلى مواطن يحاول جاداً أن ينتقم من كل رجل أمن!!

* هل كنت تنوي جاداً التفجير؟

أجاب المواطن المسكين قائلاً: «نعم، كنتُ جاداً، ولو تيسَّرَ لي الأمر، لما توانيتُ عن القيام بالتفجير في تلك الفترة في أسرع وقت».

* إلى أيّ مرحلة وصلتَ؟

أجاب المواطن: «وصلت إلى مرحلة التجهيز المبدئي، حيث كنت أبحث من خلال الأنترنت وخفافيش الظلام عن المواد المتفجرة، ووصلت إلى أنه بالاستطاعة توفير ذلك خلال أسبوع».

يظهر من إجابات المواطن الذي ظهرت صورته في هذا الحوار الصحفي أنه مواطن يمكن أن نقول عنه بأنه مواطن صالح قَدَّم بلاغاً للجهات الأمنية عن شخص غير سوي وصاحب سوابق.

إلا أن التحقيق في القضية شمل صاحب البلاغ، وليس في هذه الخطوة أي خطأ مهني من أخطاء التحقيق.

غير أن القائمين بالتحقيق في شرطة جازان والرياض لجأوا لبعض الأساليب غير القانونية في عملية التحقيق، ومنها:

1 ـ الضرب..

2 ـ الإهانة..

3 ـ وضع القيود في رجليه..

وهذه القسوة في المعاملة التي أخذت أشكالاً عدة، منها العنف باستخدام الضرب، ومنها وضع السلاسل في رجليه لإذلاله، ومنها الإهانة بالكلام لتحطيم

نفسيته. . وكل تلك الوسائل المستخدمة في التحقيق إن تمّت، إنما هي وسائل تستهين بكرامة المواطن. وهي ممنوعة شرعاً وقانوناً.

وهذا العنف في التحقيق مع مواطن قدم بلاغاً للشرطة عن شخص غير سوي وصاحب سوابق من أسباب المعاناة التي يعيشها وطننا الغالي مع بعض المواطنين الذين تحولوا إلى حاقدين على الوطن بسبب القسوة في التعامل معهم من دون وجه حق.

إن هذا الحوار الصحفي الذي أجرته جريدة «الحياة» مع مواطن مستقيم قدم بلاغاً ضد شخص منحرف فتحول إلى متهم يستعمل معه العنف أثناء التحقيق، يكشف الغطاء عن أخطاء كبيرة يجب أن لا نستهين بآثارها السلبية على الوطن والمواطنين، ولعل الجهات المختصة في وزارة الداخلية تنظر إلى الأمر بكل جدية وتعاقب كل الذين ارتكبوا هذا العمل الذي ظهرت نتائجه في أن المواطن المظلوم عقد النية على تفجير بعض المواقع الأمنية انتقاماً من الذين ظلموه أثناء التحقيق.

وبكل صراحة، إن العنف في التعامل مع الآخرين يعشش في بعض البيوت وينتشر في المدراس حينما يستخدم المدرس العاجز عن ضبط الفصل باستخدام الضرب، ويُعْلَنُ عن امتداده إلى جهات أخرى، هو الذي يؤثر سلباً في سلوك بعض المواطنين فيعتنقون العنف أسلوباً للحياة في التعامل مع الآخرين، ومن السهل أن يتحول العنف إلى إرهاب ويتحول الشخص العنيف القاسي القلب إلى إرهابي قاتل لا يرحم أحداً.

منع من النشر

ليس في القرآن والسنة ما يدعو للإرهاب

يقول بعض الحاقدين الذين يجهلون الإسلام بأن هناك نصوصاً في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تحضّ أتباعه على استعمال العنف والإرهاب في التعامل مع بعضم، ويستشهدون في إلقاء هذه التهمة الباطلة بحديث وآية:

يقولون: قال نبيكم محمد ﷺ: «**مروهم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر**».

أقول لهم وبالله التوفيق: بأية الأحاديث المسنوبة إلى النبي ﷺ على درجات من الصحة حتى أن بعضها موصوف بالضعف فيترك ويهمل.

وأن المقياس لصحة الأحاديث المنسوبة للنبي عليه الصلاة والسلام هو القرآن الكريم سيد الأدلة والبراهين في دين الإسلام، فإذا كان الحديث متفقاً مع نصوص القرآن الكريم، فهو حديث صحيح ولا شك فيه على الإطلاق، وأما إذا كان الحديث يتعارض مع ما جاء في القرآن الكريم فهو حديث مزور بكل تأكيد.

ولذلك أقول بأن هذا الحديث الشائع بين الناس ليس حديثاً صحيحاً بالعقل والنقل..

ولعل أقوى ما ينفي صحة هذا الحديث قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي

ٱلدِّينِ﴾ ولم يقل «لا إكراه على الدين» أي أن نص الآية القرآنية ينهى عن استخدام أي أسلوب من أساليب العنف في إرغام المسلمين على ممارسة الواجبات الدينية.. وبالتالي يقول القرآن الكريم: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ وهذا الأسلوب التربوي في الدعوة يتفق ويتطابق مع النظريات والممارسات التربوية التي تعتمد على الشرح والإقناع لحث الأجيال الجديدة على ممارسة العبادات..

وبناء عليه أقول: إن الإسلام لا يطلب من أتباعه استخدام العنف في إرغام أولادهم وبناتهم على الصلاة استناداً على بعض آيات القرآن الكريم التي استشهدت بها..

وبالإضافة إلى ذلك، إذا لاحظنا أن العنف خطوة تقود فيما بعد إلى الإرهاب، وليس في دين الإسلام أي دعوة أو ممارسة للإرهاب. ويقول هؤلاء الجاهلون بالإسلام بأن القرآن يحض أتباعه على ممارسة الضرب في العلاقات الزوجية، ويستشهدون في هذه التهمة الباطلة إلى قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾، الآية: 34 من سورة النساء.. اي أن المرأة التي لا تطيع زوجها، ولا تدعه يمارس حقوقه الزوجية يمكن أن يضربها إن استمرت وأصرت على موقفها من الامتناع عن الزوج في المعاشرة الزوجية..

لهؤلاء قلت في كتابي: (إصلاح الفكر الديني أولاً) في بحث من بحوثه المختصرة تحت عنوان: «ضرب المرأة»:

إن هذه الآية القرآنية تعلم الأزواج كيفية التعامل مع أزواجهم في أسرهم، والحياة الأسرية لا تخلو من الخلافات الزوجية في العادة، وأن هذه الآية تعتبر توجيهاً إلهياً إلى الصورة الإسلامية في معاملة الأزواج لزوجاتهم في حالة التنافر بأن يكون التعامل مع هذه الحالة بالتدرج وحسب المراحل الآتية:

أولاً: الوعظ، وهو النصح والتذكير بالحقوق والواجبات والعواقب..

ثانياً: الهجر، وهو الابتعاد، ومنه: هجر الرجل زوجه، أي تركها، ولم يعد يقترب منها.

ثالثاً: الضرب: وللضرب في اللغة العربية معان كثيرة، ولكن ما هو الضرب المقصود في الآية الكريمة؟ لفهم الضرب المقصود فيها ألجأ إلى آية من القرآن لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً، فقد جاء فيه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي أن المرأة متساوية مع الرجل، فلها ما له، وعليها ما عليه، أي أنهما متساويان في الحقوق والواجبات، فكيف يجوز للرجل أن يضرب زوجه بيده أو بآلة؟ فقد قال الله عز وجل: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ أي أن المصالحة هي الأولى بالتحقيق في حالة الخلافات الزوجية لأن فيه خيراً للطرفين.. والضرب في الآية السابقة لا يعني الضرب المادي باليد أو بالعصا، وإنما هو بمعنى الإضراب، أي الامتناع عن معاشرة الزوجة، لكي يشعر الزوج زوجه، بأنه مُضْرِبٌ عن معاشرتها بإرادته، ولا يرغب في ممارسة الحب معها لزمن حتى تغير موقفها منه..

وأجد سنداً لهذا التفسير لمعنى الضرب في هذه الآية بقراءة بعض الأحاديث النبوية عن العلاقات الزوجية وهي:

* حديث: «لا يجلد أحدكم أمراته جلد العبد، ثم يجامعها في آخر اليوم»...
* حديث: «أما يستحي أحدكم أن يضرب امرأته كما يُضْرَبُ العبد، يضربها أول النهار، ثم يجامعها آخره؟».
* حديث: «استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك».

وهي أحاديث كما رأيتم تستنكر قيام الزوج بضرب زوجه، مما يؤيد

التفسير بأن الضرب المقصود في تلك الآية هو الإضراب عن المعاشرة والإعراب عن القدرة على ذلك من طرف الزوج لكي يكون وسيلة من وسائل الضغط عليها من دون استخدام الضرب المادي باليد أو العصا ضد الزوج المقاطعة..

لذلك أقول بكل اطمئنان بأن العنف غير وارد في الإسلام على الإطلاق لأن الإسلام دين الرحمة والمحبة والسلام. وهو دين تربوي يستخدم الحجة والدليل والحكمة والموعظة والكلمة الطيبة لإقناع أتباعه وغيرهم بأهدافه، لأنه يدرك تمام الإدراك بأن العنف في التعامل بين الناس هو المدرسة الأولى للإرهاب، فمن يضرب ابنه، أو يضرب زوجه اليوم، يستطيع غداً أن يستخدم الإرهاب في فرض أفكاره على الآخرين، ولا يتورع عن استعمال العنف المسلح بقتلهم حينما يرفضون آراءه.

نشر في: 19/ 12/ 1427هـ
الموافق: 8/ 1/ 2007م

نجحنا وفشلنا في معالجة الإرهاب

من دون شك نجحنا بامتياز في معالجة مشكلة الإرهاب بشكل تستحق عليه وزارة الداخلية الشكر والتقدير والإعجاب. . إن الإرهاب الذي سيطر على عقول بعض المراهقين عمرياً وفكرياً، وأخذ يطبق على أرض الواقع على شكل عمليات انتحارية بعد أن تم التغرير بهؤلاء المراهقين على أساس أن الهدف من عملهم هو القضاء على الكفر والكفار ليس عملاً سهلاً، ولا يتم إلا بالعمليات الانتحارية، وقد أقنع آباء الفكر الإرهابي هؤلاء المراهقين بأن ما يقومون به ليس انتحاراً، بل استشهاد في سبيل الله يجزى فاعله باستقبال حافل من الحوريات عند أبواب الجنة، بينما هم يحرقون أنفسهم ليس في سبيل الله وإنما من أجل مساعدة معلميهم من أهل الفكر الديني الأيدولوجي للوصول إلى السلطة والحكم، والغريب أن هؤلاء المراهقين فكرياً لم يسألوا معلميهم: لماذا لا يقومون هم أنفسهم بتلك العمليات الانتحارية إن كان فيها دخول الجنة بدون حساب؟ ولماذا لا يرسلون أبناءهم إلى الجهاد المزعوم؟

إذا تجاوزنا المعالجات الأمنية التي نجحت بكل المقاييس في حماية بلادنا من شرور الإرهاب ولله الحمد، فإني أود في هذا المقال أن أعترض بكل مودة

على أسلوب معالجة هؤلاء الإرهابيين الذين تم القبض عليهم الذي أخذ على حد علمي شكلين رئيسيين:

الأول: الاستعانة بمجموعة من علماء الدين تعرف بلجنة المناصحة تعمل على إقناع الإرهابيين المسجونين بأن فهمهم للدين ليس فهماً صحيحاً، وأن الصحيح هو أن ديننا دين الإسلام والمحبة والتعاون والتحاور بالكلمة الطيبة في الأمور التي قد نختلف فيها، وأن الإسلام يحرم قتل الآخرين بدون ذنب، وما إلى ذلك من إيضاح ضروري لكي تزول الغشاوة عن عيونهم، ولكن هذا الأسلوب لا ينفع مع كل الذين يحملون الفكر الإرهابي، فقد يتظاهر هؤلاء الإرهابيون بنبذ أفكارهم الظلامية القاتلة وأنهم آمنوا بالمفاهيم الدينية الصحيحة التي جاءتهم من طريق لجنة المناصحة من أجل الخروج من السجون.

الثاني: مساعدة هؤلاء الإرهابيين الموقوفين مالياً من أجل الزواج والسكن والعمل، والمادة في العادة تغري بعضهم للتظاهر بنبذ الفكر الإرهابي، ولكنها لا تنظف نفوسهم من المواد الفكرية الملوثة التي سيطرت على عقولهم ووجهت سلوكهم الشيطاني. إن التعامل بهذا الشكل مع هؤلاء الإرهابيين الذين يهددون الاستقرار والأمن في بلادنا يُعتبر تعاملاً ناعماً لا يستحقونه إذا ما قورنت أعمالهم بأعمال الذين يقومون بأعمال إجرامية فردية تنشأ نتيجة خلافات شخصية، وينالون العقوبة الشرعية التي يستحقونها.

والتعامل بهذا الشكل مع الإرهابيين يشجع أعضاء الخلايا النائمة من حملة الفكر الإرهابي على المضي قدماً في تنفيذ نواياهم الإرهابية طالما أن الدولة تعاملهم بشكل ناعم، وأخشى ما أخشاه أن يفسر هذا السلوك الرسمي مع الإرهابيين على أنه خوف منهم.

نشر في: 20/ 4/ 1428هـ
الموافق: 7/ 5/ 2007م

لن يختفي الإرهاب إلا بعد إصلاح الفكر الديني

لقد قامت وزارة الداخلية بجهود تاريخية تشكر عليها في محاربة الإرهاب إلى حد القيام ببعض العمليات الاستبقاية في القبض على عدد من الإرهابيين، ورغم كل ذلك، تصحو بين الحين والآخر بعض الخلايا الإرهابية النائمة لتعكر صفو الأمن والاستقرار الذي ننعم به في ظل حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، ولن ينجحوا في تحقيق أهدافهم الخسيسة في نشر الرعب والإرهاب في هذه البلاد الآمنة المطمئنة بإذن الله.

في الأسبوع المنصرم قام عدد من الإرهابيين بقتل أربعة من الفرنسيين الذين كانوا في زيارة سياحية لبعض الآثار التاريخية في مدائن صالح، بعد أن سألوهم عن جنسيتهم، فما إن علموا بأنهم فرنسيون حتى أطلقوا النار على رجال الفوج السياحي وقتلوا أربعة منهم، واتضح أنهم مسلمون فيما بعد، عليهم رحمة الله.

إن الفكر الذي يؤمن به هؤلاء الإرهابيون مبني على حديث منسوب إلى الرسول ﷺ يقول فيه: «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**» إن هذا الفكر يحض على قتل غير المسلمين في جزيرة العرب بينما يقول الحديث: «أخرجوا» ولم يقل: «أقتلوا» وهناك فرق بين القتل والإخراج.

وهذا الفكر الديني السائد بين الإرهابيين من شبابنا فكر سياسي هدفه زعزعة الأمن والاستقرار في بلادنا وإضعاف الحكومة من أجل السيطرة والحكم، وقد غرر بهم قادتهم في الفكر لاستغلال حماستهم الدينية بدعوى تطهير الجزيرة من المشركين عملاً بالحديث النبوي المذكور، وهو دليل قوي بأن هؤلاء الشباب المنخرطين في العمليات الإرهابية لا يقرأون ولا يفكرون وإنما هم جنود مجندون لعدد من الإرهابيين الذين يسعون إلى الزعامة تحت ستار الدين. .

إننا إذا راجعنا تاريخنا الإسلامي المجيد، نجد أن التعايش بين المسلمين وأهل الكتاب كان حقيقة واقعة منذ عهد الرسول ﷺ، فقد استأجر النبي عليه السلام عبد الله بن الأقرط وكان من المشركين لكي يدله وصاحبه أبا بكر على الطريق إلى المدينة التي هاجر إليها. وسامح الرسول الكريم أولئك الذين كانوا حرباً على الدعوة حينما دخل مكة فاتحاً، وقال لهم: «ما تظنون أني فاعل بكم؟» فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم: فقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». ودعا النبي ﷺ لمخالفيه من غير المسلمين عندما قدم الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه، فقالوا: يا رسول الله: إن دوساً قد كفرت وأبت، فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس ـ ظناً بأن النبي ﷺ إنما رفع يديه للدعاء عليها ـ فقال عليه الصلاة والسلام: «**اللهم اهد دوساً وأنت بهم**». وجاء الأنصار إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله: ادع على ثقيف. فقال: : «**اللهم اهد ثقيفاً**» قالوا: يا رسول الله: ادع عليهم: فقال: «**اللهم اهد ثقيفاً**» فعادوا، فعاد، فأسلموا، فوجدوا من صالحي الناس إسلاماً. . وكان منهم قادة وأئمة. . وكان اليهود يتعاطسون عند النبي ﷺ رجاء أن يقول لهم: يرحمكم الله، فلم يحرمهم من الدعوة بالهداية والصلاح، فكان عليه السلام يقول لهم: «**يهديكم الله ويصلح بالكم**» وكان ﷺ يقبل الهدايا من مخالفيه من غير المسلمين، إذ قبل هدية زينب بنت الحارث اليهودية التي أهدت له شاة مشوية وضعت فيها السم. وكان عليه

الصلاة والسلام يزور مخالفيه في منازلهم ومجالسهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد، إذ خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: «**انطلقوا إلى يهود**» فخرجنا معه حتى جئناهم، فقام رسول الله ﷺ فناداهم فقال: «**يا معشر يهود أسلموا تسلموا**» فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم. وضمن اليهود الرسول ﷺ اليهود الذين عاشوا بين ظهراني المسلمين بعهد وبقوا على عهدهم، وضمن لهم أن يحظوا بالدفاع عن حقوقهم فقال: «إلا من ظلم معاهداً، أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة»؛ وشدد النبي عليه الصلاة والسلام الوعد والوعيد على من هتك حرمة دمائهم، فقال: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وأن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً».

وهكذا نرى أنه يتم استغلال حديث أخرجوا المشركين من جزيرة العرب استغلالاً سياسياً، ويتم تأويله لمصلحة أهدافهم في السيطرة وإحراج ولي الأمر وإضعافه، حتى أنهم حولوا الدين الإسلامي من دين الرحمة والسماحة والحب إلى دين حرب وقتال، وجعلوا عدداً من المسلمين جنوداً همهم قتال غير المسلمين إن لم يقبلوا الدخول في الإسلام. .

وأثبتت الأيام أن الفهم السائد حالياً للإسلام على أنه دين قتال وحرب متغلغل في النفوس ما لم يتم القضاء عليه بخطة وطنية هدفها إصلاح منابع الفكر الإرهابي في المدارس الذي يبث من طريق بعض المعلمين المغالين، وفي بعض المساجد من طريق المواعظ والخطب، وفي بعض الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن والحديث باستخدام التفسير المنحرف للآيات القرآنية والأحاديث النبوية وفي بعض المخيمات الصيفية عن طريق الدروس الدينية السياسية.

لقد تأخرنا كثيراً في إصلاح الفكر المتطرف الذي انتشر بين بعض أبناء الجيل الجديد، وسوف نندم إن لم نبادر إلى التعامل مع الفكر الإرهابي بكل

جدية الآن وليس غداً، لأن العملية ليست سهلة وتحتاج إلى ما لا يقل عن ثلاثين عاماً من العمل الشاق، حتى ننظف عقول شبابنا من التلوث الذي أصابهم ونعيد بناء أولادنا وبناتنا على أسس دينية معتدلة تحب الحياة وتتعايش مع الآخرين في سلام.

نشر في 5/ 3/ 2007

نحن والإرهاب

حمدت الله عز وجل الذي أنجانا من كارثة إرهابية لا مثيل لها في تاريخ العمليات الإرهابية التي حدثت في بلادنا، لولا الحملات الاستباقية الناجحة التي قامت بها وزارة الداخلية وأدت إلى النتائج الآتية:

* القبض على 172 إرهابياً جديداً موزعين على خلايا موزعة بين مدن المملكة.
* أن بعض هؤلاء الإرهابيين قاموا بمبايعة زعيمهم أمام الكعبة على السمع والطاعة وتنفيذ جميع أوامره.
* التدرب على استعمال السلاح ورفع مستوى اللياقة البدنية لأفرادها وابتعاث بعضهم لدراسة الطيران تمهيداً لاستخدام الطائرات في تنفيذ عملياتهم الإجرامية.
* تمكنهم من جمع حوالى عشرين مليون ريال لتمويل عملياتهم الإرهابية.
* التخطيط لتنفيذ عمليات انتحارية ضد شخصيات عامة وضد بعض المنشآت النفطية والمصافي البترولية..

* العمل على اقتحام أحد السجون لإخراج الإرهابيين الموقوفين منهم. .

وبناء عليه، تستحق وزارة الداخلية والعاملين فيها وفي مقدمتها وزيرها صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز الشكر والتقدير لهذا الإنجاز الأمني العظيم الذي حمانا من كوارث قادمة لا سمح الله. .

إلا أن هذا العمل بكل عظمته لا يكفي على الإطلاق لمعالجة الإرهاب الذي بدأ أول ما بدأ باقتحام بعض رواد فكر الصحوة الحرم المكي ومنع المسلمين من أداء الصلاة فيها، وبكل أسف انطلت أفكارهم الفاسدة على من يهمه الأمر في بلادنا، لأن فكرهم كان يرتدي عباءة الإسلام، وبكل براءة تبنينا فكرهم الديني، وقدمنا الدعم اللازم لحمايته ونشره، حتى قام بعض أبناء هذه الصحوة، وليس لها من اسمها أي نصيب، قام هؤلاء الشباب المغرر بهم بأكبر العمليات الإرهابية في أمريكا في 9/ 11/ 2001م وقد أدت هذه العملية إلى قتل حوالى ثلاثة آلاف من البشر الأبرياء أثناء ممارساتهم لأعمالهم. .

وخوفاً من هذا الفكر الديني المتطرف، قامت بعض دول الغرب وبعض الدول العربية، بإغلاق المعاهد الدينية التابعة لإحدى الجامعات الدينية في بلادنا، كما منعت بعض الدول العربية تداول بعض الكتب الدينية المنسوبة لبعض حماة ذلك الفكر الديني خشية أن تؤثر في مواطنيها سلبياً. .

وقد حاولنا في خجل وفي تردد كبير محاربة الفكر الديني الغالي في مناهجنا الدراسية، وكنا نتقدم خطوة ونتأخر خطوتين، لأن للفكر الديني المتشدد جذوراً عميقة متغلغلة في كل مكان، ويعمل أصحابه على محاربة أي تطور محاربة حياة أو موت، لكي لا تتعطل مصالحهم. وتسحب الكراسي من تحتهم. .

لكي ننجح في مكافحة الإرهاب، يجب أن نعترف أولاً وقبل كل شيء

بأن الفكر الديني الذي كان سائداً في بلادنا منذ عام 1400 هـ هو سبب الكارثة الفكرية التي نعيشها، فقد كان لها أهداف سياسية خفية فألبسوها ثياباً دينية زاهية، فاعتنقها الناس بكل براءة وحسن نية، وتحت شعائر هذا حلال وذاك حرام سادت أفكارهم المريضة، وتحت ستار قاعدة: «سد الذرائع» جرى تحريم بعض الأمور المباحة شرعاً، وفي ظل هذه القاعدة انتشر كثير من العادات والتقاليد التي ما كان لها أن تنتشر لولا استخدام الدين لتجميلها وفرضها على الناس..

أمام أصحاب القرار في بلادنا الاقتناع أولاً وقبل كل شيء بأن الفكر الديني الذي ساد بلادنا منذ حادثة اقتحام الحرم في عام 1400هـ هو الذي يحرك كل العمليات الإرهابية، وأنه قدحان الوقت المناسب للعمل بشكل معلن وصريح لإصلاح الفكر الديني السائد حالياً، وإلا نكون كمن يحرث البحر.

نشر في: 13/ 4/ 1428هـ
الموافق: 30/ 4/ 2007م

جائزة محمد حسن فقي

تقدم مؤسسة يماني الثقافية الخيرية التي أسسها معالي الشيخ أحمد زكي يماني جائزتين كل عام:

الجائزة الأولى: لأحد المبدعين في الشعر العربي..

الجائزة الثانية: لأحد المبدعين في نقد الشعر..

وعند الحديث عن جائزة الشاعر الكبير محمد حسن فقي، يطيب الكلام على صاحبها معالي الشيخ أحمد زكي يماني ابن مكة البار الذي بدأ رحلته مع العلم والثقافة من المسجد الحرام ومدارس مكة المكرمة حتى أكمل دراساته العليا في جامعة نيويويك في القانون المقارن وفي جامعة هارفارد..

من أشهر المناصب التي تولاها منصب وزير البترول والمعادن، وكاد في ذلك الوقت أن يُقتل حينما اختطفه الإرهابي الدولي كارلوس ألبرتو بتحريض من أعداء المملكة، ولكن الله كتب له السلامة.. ومن أعظم إنجازاته حينما كان وزيراً إنشاء جامعة البترول والمعادن التي كانت وما زالت ضرورة ملحة ودائمة لبلادنا باعتبارها من أكبر البلدان للبترول.. لقد التحق معالي الشيخ أحمد زكي

يماني بالعمل الحكومي مدة طويلة ابتداء من عمله مستشاراً لرئيس مجلس الوزراء، ووزيراً للدولة وعضواً في مجلس الوزراء، حتى تولى منصب وزير البترول والمعادن، وبعد تقاعده من العمل الحكومي لم يخلد إلى الراحة وقضاء بقية عمره فيما لا يجدي، بل كرَّسَ حياته لبناء الإنسان وتنمية ثقافته، فأخذ يعمل لخدمة الفكر الإنساني بشكل يثير الإعجاب، ولذلك فإنه لا يقل شأناً عما كان عليه في أيام العمل الحكومي، وما زال نجماً ساطعاً في سماء الفكر الديني والسياسي والبترولي والأدبي، فاستحق أن يكون من كبار المفكرين المعاصرين في العالم بلا جدال . .

ولعل من المناسب هنا أن أروي أهم الإنجازات التي عمل على تحقيقها بعد تقاعده من العمل الحكومي، وهي:

* مركز دراسات مقاصد الشريعة.
* مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي . .
* مركز الطاقة العالمية . .
* موسوعة مكة والمدينة.
* مؤسسة يماني الثقافية الخيرية التي من أهم أهدافها رعاية الشعر والشعراء عن طريق منحهم جائزة سنوية باسم: «جائزة الشاعر محمد حسن فقي»، وهي جائزة أكاديمية ليس لها أهداف سياسية، مثل بعض الجوائز العالمية والعربية . . وتشرف عليها جامعة القاهرة العريقة التي بلغ عمرها الأكاديمي مائة عام، وهو الأمر الذي يؤكد خلوصها من الأغراض والأهواء والمجاملات.

وبهذه المناسبة، أتمنى على صاحب الجائزة معالي الشيخ أحمد زكي يماني أن يدرس فكرة تطويرها، لتصبح هذه الجائزة جائزة موسعة تشمل الإبداع

في عدد من فروع العلوم والآداب والفنون والإعلام، وأن يتم تعديل مسماها، لتصبح «جائزة مكة المكرمة».

وأخيراً، أقول لمعاليه، لقد كرمت وما زلت تكرم المبدعين، فمن يُكّرمك؟ إننا مقصرون جداً في حقك، فاختلق لنا الأعذار.. وسامحنا.

نشر في: 24/ 2/ 1429هـ
الموافق: 3/ 3/ 2008م

للذين أنعم اللّه عليهم

كلما جاء رمضان شهر الخيرات، تقفز إلى ذهني صورتان متناقضتان:

الأولى: صورة الفقراء الذين يعيشون حياة ضنكى . .

الثانية: صورة الأغنياء الذين أنعم الله عليهم بالخير . .

وأعرف من المترفين مَنْ يستطيع أن يشتري طائرة خاصة لكي يستخدمها في تنقلاته من دون أن تؤثر سلباً في ثروته، وأن يسكن في بيت لائق، وأن يأكل أحسن الطعام، ويلبس آخر الموديلات، وأن يحسن إلى السائل المحروم وبخاصة ذوي القربى إليه، إلا أنه بخيل جداً ليس على الآخرين بل على نفسه أيضاً، فقد رأيت في مغسلة الأيادي في منزله صابونة مكونة من بقايا الصوابين المستعملة، ويفرض شروطاً قاسية يجب أن تتوافر فيمن يتصدق عليهم، فهو يرفض مد يد العون للفقير إذا كان في بيته مكيف، أو جهاز تلفاز، أو طقم كنب! ولذلك يبدو لي أن بعض هؤلاء المترفين مثل أمين الصندوق الذي يحفظ الأموال في صندوق حديدي متين، ولكنه لا يستطيع أن يأخذ منها شيئاً.

ويبدو لي أيضاً أن بعض هؤلاء المترفين لم يفهموا الإسلام كما ينبغي فحرموا أنفسهم من الأجر والثواب الذي جعله الله أضعافاً مضاعفة في اليوم

الآخر، علاوة على الجزاء العاجل لهم في الدنيا. ولهؤلاء الذين أنعم الله عليهم، أهدي حديثاً شريفاً، قرأته في طفولتي، قال فيه النبي: «**للسائل حق وإن جاء على فرس**» رواه أحمد بن حنبل في المسند، والطبراني في الكبير: المناوي: فيض القدير: 5 أي أن من الواجب على الذي أنعم الله عليه، أن يشكر ربه على نعمه بأن يعطي هذا الذي جاءه سائلاً المساعدة حتى لو كان السائل يركب سيارة مرسيدس فاخرة.

إن هذا الحديث النبوي الشريف الذي لا يعرفه الكثير من المسلمين الذين أنعم الله عليهم يدل على أن الإسلام يريد أن يحمي المجتمع الإسلامي من السلبيات، وفي هذا الحديث خطوة أخلاقية متقدمة رائعة في ميادين العمل الإنساني، يقدمها الإسلام للمسلمين بطلب حُسْن الظن في السائل مهما كان مظهره الخارجي، وتغليب النية الطيبة على سوء الظن بالآخرين.. في هذا الحديث النبوي الشريف دعوة لهؤلاء البخلاء من الذين أنعم الله عليهم أن يلتزموا جانب المروءة والعطاء، وأن يطردوا الشيطان الذي يوسوس لهم ويقول لهم: كيف تعطون شيئاً من أموالكم التي شقيتم كثيراً من أجل جمعها لهؤلاء التنابلة؟ انظروا إلى أشكالهم وملابسهم وسياراتهم، إنهم لا يستحقون منكم العطف والشفقة.. نعوذ بالله من الشيطان الرجيم دائماً وأبداً. وأختم مقالي بحديث آخر للنبي ﷺ يقول فيه: «**اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غني، ومَنْ يستغن يُغْنه الله، ومَنْ يستعفف يعفه الله**» رواه البخاري وأحمد عن حكيم بن حزام..

نشر في: 19/ 9/ 1428هـ
الموافق: 1/ 10/ 2007م

السياسة الشرعية للسلف..

قامت السياسة الشرعية في الإسلام على أربع قيم هي:

أولاً: الحرية..

ثانياً: الشورى..

ثالثاً: المساواة..

رابعاً: العدالة..

ونجد هذه القيم السياسية الإسلامية واضحة قوية في صدر الإسلام وبالتحديد في عصر النبوة وفي عهد الخلفاء الراشدين، ولاشك أن القرآن الكريم هو الذي وَجَّه النبي ﷺ إلى ممارسة هذه القيم السياسية الإسلامية، وطبقها عليه الصلاة والسلام على أفضل صورة، وتبعه من بعده أصحابه الخلفاء الراشدون..

لعل من المناسب في هذا الموضوع أن أستهل حديثي هذا بحديث عن النبي ﷺ يقول فيه:

«ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان:

بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه..

وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه. . فالمعصوم من عصمه الله). .

وغني عن البيان بأن هذا الحديث النبوي الشريف لا يحتاج إلى شرح أو تعليق، ولذلك أنتقل بكم من عصر النبوة إلى عهد الخلفاء الراشدين، ومنه اخترت لكم فقرة من السياسة الشرعية لأول الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم:

* مما جاء في خطبة لأول الخلفاء الراشدين أبي بكر الصديق: «أما بعد أيها الناس: فإني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله. . . أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عيلكم».

* ومما جاء في خطبة للخليفة العباسي المنصور قوله: «ما أحوجني أن يكون على بابي أربعة نفر، لا يكون على بابي أعفّ منهم، إنهم أركان الملك، ولا يصلح الملك إلا بهم، كما أن السرير لا يصلح إلا بأربع قوائم. . أما أحدهم فقاض، لا تأخذه في الله لومة لائم، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي، والثالث صاحب خراج مستقص لي لا يظلم الرعية، فإني غني عن ظلمها، والرابع صاحب بريد يكتب خبر هؤلاء على الصحة».

من أهم ما يستفاد من النصوص السابقة ما يلي:

* أن صلاح الحاكم من صلاح حاشيته، وفساده من فسادها، وفاز منهم من أحسن اختيار معاونيه في أداء الأمانة. .

* أن الخليفة أبا بكر الصديق كان يطلب من الناس أن يساعدوه عندما يحسن عمله لكي يتقن عمله أكثر فأكثر، وكان يطلب منهم أن ينتقدوه إن أخفق في بعض أعماله لكي يتجنب الأخطاء. .

* المساواة في معاملة الناس فلا فرق عند أبي بكر الصديق بين القوي والضعيف.

* يضع أبو بكر الصديق قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ موضع التنفيذ بناء على رؤية فقهية لهذه الآية الكريمة، فطاعة أولي الأمر عنده مشروطة بطاعة ولي الأمر للأوامر الإلهية والتوجيهات النبوية، وإذا لم يطع ولي الأمر ربه ورسوله ﷺ، فليس من حقه أن يطالب الناس بطاعته.. أي أن ولي الأمر مطاع في حالة تنفيذه وتطبيقه للقيم الإسلامية السياسية وهي: الشورى، والحرية والعدل والمساواة.

* أما الخليفة العباسي فقد جعل لنجاح الحاكم أربعة شروط هي: قاض عادل، وقائم بأعمال الشرطة لا يفرق بين القوي والضعيف ويساوي بينهما، ومحصل للزكاة لا يظلم المكلفين ولا يطلب منهم إلا الزكاة الشرعية، وعيون تراقب العاملين معه وتنقل إليه أخبارهم لكي يحاسبهم في حالة التقصير..

نشر في: 25/ 10/ 1428هـ
الموافق: 5/ 11/ 2007م

موقف معبر عن السياسة الشرعية

إن من يدرس القرآن الكريم ويتأمل الحديث النبوي الشريف. ويقرأ سيرة النبي ﷺ. ويلاحظ تاريخ الخلفاء الراشدين يخرج بنتيجة فحواها أن السياسة الشرعية في الإسلام تقوم على أربعة أركان رئيسة، وهي:

1 ـ الشورى..

2 ـ العدل..

3 ـ المساواة..

4 ـ الحرية..

وقد عمل المسلمون بهذه القيم الإسلامية السياسية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. وكتب التاريخ بأحرف من ذهب حياة أولئك الخلفاء الذين اجتهدوا في تطبيق السياسة الشرعية الإسلامية. وكانوا علامات بارزة رائدة في تاريخ السياسة عند المسلمين.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أكثر الخلفاء في التاريخ الإسلامي تنفيذاً للسياسة الشرعية. أروي لكم هنا رواية عنه رواها أنس بن مالك الذي قال: «بينما كان عمر يعس بالمدينة، إذ رأى بيتاً من شعر لم يكن بالأمس. فدنا

منه. فسمع أنين امرأة. ورأى رجلاً قاعداً. فدنا منه وقال: من الرجل؟ قال: رجل من أهل البادية. جئت إلى أمير المؤمنين أصيب من فضله. قال: فما هذا الأنين؟ قال: امرأة تمخض. قال: هل عندها أهل؟ قال: لا. فانطلق عمر إلى منزله. وقال لامرأته أم كلثوم بنت علي: هل لك في أجر ساقه الله إليك؟ قالت: وما هو؟ قال: امرأة تمخض. وليس عندها أحد. قالت: إن شئت. قال: خذي ما يصلح للمرأة من الخرق والدهن. وجيئيني بلحم وشحم وحبوب. فجاءت به. فحمل عمر بن الخطاب الطعام. ومشت زوجه أم كلثوم خلفه. حتى انتهى إلى البيت. وقال لزوجه: ادخلي إلى المرأة. أما عمر فقعد إلى الرجل. وقال له: أوقد لي ناراً، ففعل الرجل. فأوقد تحت اللحم حتى أنضجه. وولدت المرأة. فقالت امرأته: يا أمير المؤمنين. بشر صاحبك بغلام. فلما سمع الرجل بأمير المؤمنين كأنه هابه، فجعل يتنحى عنه. فقال له عمر: مكانك كما أنت. وحمل عمر بن الخطاب الشواء. فوضعه على الباب. ثم قال: أشبعيها. ففعلت. ثم أخرجت الشواء فوضعته على الباب. فقام عمر، فأخذه ووضعه بين يدي الرجل. فقال: كل. ويحك. فإنك قد سهرت من الليل. ففعل. ثم قال لامرأته: اخرجي. وقال للرجل: إذا كان غداً. فأتنا نأمر لك بما يصلحك، فأتاه، فأجازه وأعطاه».

ذلكم هو عمر بن الخطاب الخليفة الذي نزهو به ونفخر مراراً وتكراراً كلما تحدثنا عن السياسة الشرعية، وهو الذي قال: «والله لو أن بغلة عثرت بشط الفرات لكنت مسؤولاً عنها أمام الله: لماذا لم أعبِّد لها الطريق؟».

رضي عنك وأرضاك يا عمر..

نشر في: 9/ 11/ 1428هـ
الموافق: 19/ 11/ 2007م

مقتل وزيرة برصاص معارض لعملها في السياسة

نشرت جريدة: «الشرق الأوسط» يوم 21/ 2/ 2007م خبراً بعنوان: «مقتل وزيرة باكستانية برصاص مناهض لعمل المرأة في السياسة» وأن مناهضاً لمشاركة المرأة في العمل السياسي أطلق الرصاص على وزيرة حكومة إقليمية بباكستان. فأرداها قتيلة على الفور، وأنه كان بهذا العمل يعبر عن معارضته لاشتغال المرأة في السياسة وفي شؤون الحكم.

إن هذا الرجل المعارض لعمل المرأة في السياسة واحتلال مناصب قيادية لم يستخدم قناة التعبير الشرعية المتاحة في بلاده. ولم يلجأ إلى منابر المعارضة عبر الأحزاب السياسية هناك. وإنما استعمل السلاح في فرض رأيه الديني السياسي فأزهق روحاً بريئة من دون وجه حق. وأصبح مجرماً تلزم محاكمته ومعاقبته بالقتل الذي يستحقه كل من يقتل نفساً بريئةً، كما نص على ذلك القرآن الكريم الذي يحكم بين المسلمين.

إن دليل هذا الرجل وأمثاله ممن يعارض عمل المرأة في مراكز قيادية حديث منسوب إلى النبي ﷺ منقول عن الحسن عن أبي بكرة أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «لا يفلح قوم ولوا امرأة عليهم».

والواقع أن هذا الحديث واحد من مئات الأحاديث المنسوبة إلى النبي ﷺ التي تزدري المرأة وتحط من قدرها قد حان الوقت لفحصها ودحضها.

إن التأكد من شخصية راوي الحديث من أول الأسس التي تقود إلى معرفة مدى صحة الحديث. فراوي الحديث يجب أن يكون معروفاً من ناحية نسبه ومعروفاً أنه ثقة حتى يؤخذ عنه حديث منسوب إلى النبي عليه الصلاة والسلام. فمن هو أبو بكرة؟

لا أحد يعرف جواباً لهذا السؤال المهم لأن نسبه مجهول.. ولا أحد يعرف والده أو أمه..

والسؤال الذي يليه: ماذا نعرف من سيرته؟!

الجواب هو أن الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أوقع عليه وعلى اثنين من رفاقه حد الجلد، وهم الذين شهدوا على الزنى بين المغيرة بن شعبة وأم جميل بالباطل، فاستحق هؤلاء الذين شهدوا بالباطل عقوبة القذف.

إن هذا الحديث يدل على عدم ثقة بالمرأة تحذف ورثه المسلمون من العصر الجاهلي. وقد قلت مثل هذا الكلام في كتابي الأخير: «إصلاح الفكر الديني أولاً».

ومن المفيد لمن يقتنعون بصحة هذا الحديث المنسوب زوراً وبهتاناً إلى النبي ﷺ أن يتذكروا رأي الإمام مالك بأن رواية الحديث وتلاوته علم قائم بذاته. لذلك يجب الانتباه إلى أولئك الذين يؤخذ عنهم، وكان من نصيب الإمام مالك أنه حينما دخل المدينة وجد فيها سبعين صحابياً يرددون بعض الأحاديث المنسوبة إلى النبي عليه السلام ولم يأخذ عنهم لأنهم اهتموا بأشياء لم يكونوا حاذقين فيها. ثم بين الإمام مالك الصفات التي يجب أن نتحقق من وجودها في شخصية الراوي، فلا نغفل بعض الأشياء التي قد تبدو بسيطة ولكنها مهمة جداً،

مثل علاقاته اليومية بالناس، لأنها تعطي الباحث فكرة جيدة عن أخلاقه وضميره. ثم قال:

«لقد استبعدت من رواية الحديث أشخاصاً ليس لأنهم كذبوا بصفتهم رجال علم في روايتهم لأحاديث كاذبة لم يقلها النبي ﷺ، وإنما لأني رأيتهم يكذبون في علاقاتهم اليومية التي كانوا يتعاملون بها مع الناس».

وكان الطبري في مقدمة الذين رفضوا الرواية عن أبي بكرة، فأسقطوا من اعتبارهم أهمية الأحاديث التي رواها وبخاصة تلك التي تتعلق بالسياسة.

والقرآن الكريم المرجع الأول للمسلمين يحكم على حديث: «لا يفلح قوم ولوا امرأة عليهم»، بأنه حديث باطل ومزور في قوله عز وجل: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۢ﴾ الآية: 71 من سورة التوبة وهي آية واضحة صريحة في أن الولاية تكون للمرأة كما تكون للرجل. فلماذا تحرم من حقها في العمل السياسي؟

لا شك أن ذلك الحديث المنسوب إلى النبي عليه السلام حديث موضوع له هدف سياسي واضح وهو إقصاء المرأة عن الحكم والسياسة ليبقى الرجل مسيطراً على عالم السياسة والقيادة.. بالإضافة إلى أن هذا الحديث يدل على عدم الثقة بالمرأة الذي ورثه المسلمون من العصر ا لجاهلي. وقد قلت مثل هذا الكلام في كتابي الأخير: «إصلاح الفكرالديني أولاً».

ومن ناحية ثانية. فقد صرح مفتي مصر الدكتور علي جمعة بأن الإسلام لا يمنع المرأة من تولي منصب خليفة المسلمين. وهو منصب من التراث الإسلامي القديم ولم يعد له وجود في الوقت الحالي على الساحة الدولية منذ سقوط الدولة العثمانية عام 1924م؛ وللنساء وفقاً للشريعة الإسلامية كل الحق في تولي منصب القضاء ومنصب رئيس المقاطعة أو الدولة. انظر جريدة «الوطن» ليوم 17/ 1/ 1428هـ.

إن هذا الحديث الذي يقول: «لا يفلح قوم ولوا امرأة عليهم» شائع بين المسلمين رغم أنه لا يقوى على الوقوف أمام قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ قد سيطر على عقول المسلمين نتيجة لسيطرة تراثهم الجاهلي الذي يحتقر المرأة. ويحاول أن يستمد التأييد لموقفه السلبي من المرأة بأحاديث منسوبة إلى النبي الكريم تزدري وتحتقر وتستهين بالمرأة. فحرم المسلمين من كثير من مواهب وطاقات وفكر المرأة في العمل السياسي والقيادي.

فمتى نخرج من سيطرة بعض النصوص التراثية المدسوسة على الأمة الإسلامية باسم الإسلام تارة وباسم النبي الكريم تارة أخرى؟ لقد حان الوقت المناسب لفحص الحديث وتمحيصه بمعرفة العلماء الذين وهبهم الله القدرة على البحث عن الحقيقة لكي تزول الغشاوة التي تؤثر في عيوننا وتمزق الحجب التي تمنع النور عن عقول المسلمين.

نشر في: 8/ 2/ 1428هـ
الموافق: 26/ 2/ 2007م

لماذا اختفى هذا الكاتب التنويري؟

هو الذي قال: (إن هؤلاء الذين يطلقون مصطلح: «غزوة منهاتهن» على جريمة «نيويورك» حتماً يعتبرون ما قامت به خلايا «القاعدة» في بلادنا: «غزوات»، فـ«القاعدة» تسميها كذلك في أدبياتها وبياناتها، و«الغزوات» في أدبياتنا وتاريخنا الإسلامي لها أسبابها ومدلولاتها المعروفة، ولعل هذا يفسر ما قالته إحدى المشاركات في هذه الجولة ـ شاركت في الجولة الأخيرة للقاء الخامس للحوار الوطني في منطقة الرياض ـ من «أن هناك كفاراً داخل المجتمع السعودي، أي أنهم مسلمون يحملون آراء كفرية، ونحن بحاجة أن نتحاور معهم»، فهي تتفق معهم من حيث وجود كفار سعوديين، لكن هذه الأخت تعتبر «منشقة» عن فكر أصحاب «الغزوات» عندما تقول: «نتحاور معهم» ولعلها بهذا «الانشقاق» قد أصبحت سبية مباحة لهم في أول «غزوة» يستطيعون الظفر بها فيها..

خلاصة القول: إن هذا الفكر المتطرف المفرخ للإرهاب ما زال موجوداً ومتغلغلاً في بلادنا في المدارس والجامعات والإدارات والمؤسسات، وبين الذكور والإناث، بل إنه يزداد انتشاراً وتغلغلاً.. فنحن لم نقم بما يجب حيال

تشخيص هذا الفكر، ونقض مصادره وحججه بصورة علمية وموضوعية مقنعة، ولم نعقد المؤتمرات المحلية والندوات العامة من أجله، وإذا استثنينا ما قامت به وزارة الداخلية مع من قبضت عليه من خلال لجنة المناصحة، فإن كل الكلام الذي قيل في مكافحة التطرف الفكري لا يتجاوز العموميات، ولا يفضي إلا إلى المزيد من التطرف وتفريخ المزيد من المتطرفين سراً وعلناً، ومع أن هناك من يستغرب مثل هذا ويستنكر، (إلا أن الجميع في مقاعد المتفرجين).

وهو الذي قال: (يا «أهل الزلفى» لقد سبقناكم كلنا، مدارسنا تبرأت ومساجدنا تبرأت، ووزاراتنا المعنية تبرأت، وهيئاتنا ومؤسساتنا تبرأت، حتى من اصطلحنا على تسميتهم بالدعاة تبرأوا، لستم وحدكم يا «أهل الزلفى» من يتبرأ، الكل تبرأ..

وعاظنا ودعاتنا، نحن وأنتم يا «أهل الزلفى» نعرف أن هؤلاء نتاج بيئة بدأ تكوينها منذ ثلاثين سنة، وتعاظم خطرها في العقد الأخير، وهي بيئة نشأت أمام أعيننا ـ حكومة وشعباً ـ وبدعمنا وتشجيعنا المادي والمعنوي، ونحن وأنتم يا «أهل الزلفى» رأينا وسمعنا، وغضضنا الطرف عن الشريط الإسلامي والمخيم الإسلامي، والرحلة الإسلامية، والحلاقة الإسلامية، والبقالة الإسلامية، والزواج الإسلامي، والعزاء الإسلامي، و...، و...، (وعرفنا أن الذين يروجون لهذا ينفون الإسلام عما عداهم، وأصبح التحريم لديهم هو القاعدة وسد الذرائع هو المنطلق، فبدأ تفسيق من لايقبل، حتى تطور الحال إلى التكفير الذي بدأ بأفراد ثم مجموعات حتى طال الحكومة ورموزها..).

وهو الذي قال: (بعد تأن طويل جداً، استمر لعدة عقود تقديراً لظروف اجتماعية معينة وبعد دراسات مستفيضة مكررة، وبعد تجارب مريرة مع تزوير الشخصية، وافقت وزارة الداخلية السعودية على إصدار بطاقة الأحوال المدنية للمرأة، وتركت أمر الحصول عليها اختيارياً، فمن شاءت من النساء حصلت

عليها، ومن لم تشأ لم يجبرها أحد وأقبل للحصول عليها كثير من النساء، وأحجم كثير، ولعل بين المحجمات هؤلاء من لم يكن لها خيار سوى الإحجام لوجود زوج أو أخ أو أب أو ابن يرفض مثل هذه البطاقة التي تتطلب صورة، ولعل هذا العذر المتدثر بعباءة الدين كان منفذاً لكثير من الرجال الذين يجدون في بقاء محارمهم من دون بطاقة هوية فرصة لتنفيذ مآرب دنيوية أخرى. . .

المهم الآن أن هناك نساء كثيرات يحملن بطاقة الهوية هذه، ولكن الطريف أن يكون هناك جهة حكومية ترفض التعامل مع هذه البطاقة، وتصر على النساء اللواتي يحملنها أن يقدمن بديلاً عنها، بطاقة العائلة مع شاهدين لإثبات شخصياتهن، هذه الجهة الحكومية هي المحاكم الشرعية أو لنقل بعضها، مثلما نشرت: «الوطن» عن محكمة الجبيل التي قام كاتب عدل فيها برفض قبول بطاقتي شقيقتين، واضطرهما إلى إحضار بطاقة العائلة، ولم يكتف بالرفض، بل سألهما عمن صورهما لاستخراج البطاقتين).

وهو الذي قال: (بمناسبة العام الدولي للفيزياء، قام معهد العالم العربي في باريس وجامعة انتر ديسبلن بتكريم الدكتورة السعودية المتميزة: ريم الطويرقي: وهذا التكريم لواحدة من متميزات وطننا لا شك يسعد ويبهج ويدعو للزهو والفخر، فالتكريم لا شك جاء لتميزها العلمي وبروزها في ميدان تخصصها، وهو تميز وبروز يعرفه المعهد والجامعة اللذان كرماها. . .

أما نحن هنا في الداخل، فمنذ تكريم الدكتورة الفاضلة، لم نستطع أن نتبين بوضوح كاف، ما هو إنجازها الذي تميزت به وبرزت فيه؟

ذلك لأن صحافتنا، والدكتورة تجاوبت بفعالية، انصرفت عن الجوهر إلى الشكل، وراحت تحدثنا عن عباءة الدكتورة ونقابها اللذين ظهرت بهما أثناء الاحتفال، وراحت أسئلة الصحفيين تتركز على الأصداء التي انعكست على الأوروبيين من العباءة السوداء والنقاب، وما هي انعكاسات هذا الشكل المحتشم

على سمعة المرأة المسلمة ومكانتها في العالم عامة وفي السعودية على وجه الخصوص، وكيف كان حجم المفاجأة على الأوربيين الذين اعتادوا رؤية المسلمة بحجابها الإسلامي الطبيعي.

ولم يخطر ببالهم أن أستاذة جامعية ستضيف النقاب إلى الحجاب، وكيف كانت ترد الدكتورة على من يسألها عن عباءتها ونقابها، وما هي الرسالة التي تتوخى إيصالها للعالم من هذا اللباس، وتبعاً لهذا راح بعض الكتاب والكاتبات السعوديين ينسجون المدائح، ويكيلون الثناء ليس للإنجاز العلمي الذي لم يتبينوه جيداً ولم يركزوا عليه، وإنما للعباءة والنقاب، وكأن الدكتورة دعيت لتبليغ رسالة النقاب، لا لنيل تكريم علمي عالمي، كأن كشف الوجه إحدى الكبائر والموبقات التي تجنبتها..).

وهو الذي قال: (لا أحد ينكر تجذر الفكر المتطرف في شتى مفاصل الحياة السعودية، في المدارس والجامعات والمراكز والمساجد والمناسبات الاجتماعية والمؤسسات الحكومية والأهلية، لقد نجح التيار «الصحوي» المسيس على مدار ثلاثة عقود تقريباً في استغلال كل الوسائل والآليات لنشر أفكار «التطرف والغلو» حتى أصبح أبناؤنا المراهقون يتصدرون المجالس والمناسبات، يفتون في الحلال والحرام، وما يجوز وما لا يجوز، ويكفرون المسلمين باسم الدين، ولم يستيقظ المجتمع السعودي من غفوته التي سميت «صحوة» إلا على دوي الرصاص والمتفجرات ودماء القتلى التي تولى كبرها نفر من أبنائه الضالين المغرر بهم دينياً الذين أصبحوا حطباً يوقده «المنهج الخفي» تطلعاً إلى «الحريق الأكبر» الذي يسعون لاستنبات «الخلافة» المزعومة من رماده..).

وهو الذي قال: (في ليلة عيد الفطر المبارك تداول بعض الناس في جدة خبراً مفاده أن هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمحافظة منعت أرباب بيع المأكولات والحلويات من الغناء بالأهازيج الشعبية الخاصة بفرحة العيد،

ولم أصدق، فأنا أعيش في جدة منذ أكثر من عشرين سنة، وأعرف أن هؤلاء الباعة وخاصة في المنطقة المركزية في جدة التاريخية وما حولها لا يكفون عن ترديد هذه الأهازيج في ليالي رمضان، ويضيفون إليها في الليالي الأخيرة ما يتناسب واستقبال العيد.

وهي أهازيج شعبية يرددها هؤلاء الباعة الذين يحرصون على ارتداء الزي الحجازي التقليدي للترويج لبضائعهم ولإحياء هذا التراث القديم، بل أصبحت هذه الأهازيج ومرددوها من لوازم هذه المنطقة التاريخية في مثل هذه الأوقات من كل عام، لدرجة أن هناك كثيرين يزورونها للفسحة والفرجة والترويح عن النفس، وليس للشراء بالدرجة الأولى، فما الذي يدعو الهيئة لمنعهم؟ لم أصدق الخبر، لكني وجدته متداولاً ـ أيضاً ـ على الشبكة العنكبوتية، فرأيت من المناسب سؤال أصحاب الشأن، وهم إدارة الهيئة بجدة، فإن كان الخبر شائعة تم الترويج لها، فلا بد أن توضح الهيئة وتكذبها حتى لا تكبر وتتضخم وتصبح كأنها حقيقة، إذ لا يدحض الشائعة إلا المعلومات المعلنة، وإن كان الخبر صحيحاً، فلا بد أن لدى الهيئة وجهة نظر يحسن تعريف الناس بها، وتنويرهم بالمنكرات التي أفضت إلى منع هذه الأهازيج..).

تلك هي بعض أقوال كاتبنا التنويري الأستاذ قينان الغامدي التي نشرها تحت عنوان مقالاته اليومية في جريدة (الوطن) وحاول فيها أن يحمل مشعلاً ينير به الطريق الذي لفه ظلام دامس طويل، وحاول أن يصحح بعض الأفكار الدينية المتطرفة السائدة في بلادنا..

إني واحد من قرائه الذين ينتظرون مقالاته في جريدة: (الوطن) كل صباح ليستفيدوا من آرائه الحضارية بعد أن أصبح رائداً من رواد التنوير في وطننا الغالي الذي يحتاج لقلمه في هذا الزمن الذي حول المتطرفون الحياة فيه إلى حياة تشبه حياة القبور إن كان لها حياة..

إلا أن مقالات كاتبنا القدير توقفت، ولم تعد جريدة «الوطن» تنشر له منذ يوم 30 نوفمبر 2006م لأسباب مجهولة، ولذلك أسأل ويسأل كل قرائه: لماذا اختفى كاتبنا التنويري الأستاذ قينان الغامدي؟

هذا السؤال موجه لجريدة «الوطن» ولكل من يهمه الأمر في هذا الوطن الكبير العزيز . .

منع من النشر

مُكَفِّرٌ جديد

ولد التكفير في تاريخ المسلمين في عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب من طريق الخوارج حينما كفروا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عندما وافق على التحكيم في صراعه مع معاوية بن أبي سفيان. .

ومنذ ذلك الوقت، استخدم التكفير سياسياً للقضاء على الخصوم والمعارضين والمنافسين، وقد ازدهر التكفير مؤخراً، فكان سبباً من الأسباب الرئيسة في انتشار الإرهاب في العالم الإسلامي وفي بلادنا على وجه الخصوص، مما أدى إلى حصول عدد لا يستهان به من العمليات الإرهابية التي أزهقت الأبرياء من المواطنين ومن الضيوف الذين استعنا بهم للعمل على إنجاز خططنا التنموية، وما زالت وزارة الداخلية ـ قواها الله ـ تكافح الإرهاب والإرهابيين بسبب سيطرة الفكر التكفيري على بعض الفقهاء والمنسوبين إلى العلم الشرعي، واعتناق أولادنا المراهقين لفتاوي التكفير. .

وهؤلاء المكفرون الذين ابتليت بهم بلادنا الحبيبة يؤولون بعض نصوص القرآن الكريم على أنها أحكام تقضي بتكفير بعض المسلمين الذين يختلفون معهم في فهم الإسلام، وتأويل هؤلاء المفكرين مجرد أوهام، وهم كما يقول الأستاذ فايز علي سهلب مؤلف كتاب: «التكفير والتكفير المضاد»:

(وهؤلاء يمكن الحكم عليهم بأنهم:

* قارئ جاهل، أو حافظ جاهل.

* قارئ متعصب: غَلّفَ الحقد والبغضاء قلبه، فمنعه ذلك من قراءة النص القرآني كما أراد الله.

* قارئ محتج يفسر النص القرآني كما يريد هو، لغايات ومصالح دنيوية باطلة، ولاعتبارات سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو فكرية).

وما إن هدأت أمواج تكفير الليبراليين حتى خرج علينا أستاذ للثقافة الإسلامية في جامعة الملك سعود بفتوى تحكم بأن كراهية الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من الكفر الأكبر، وذلك كماء جاء في جريدة: «عكاظ» ليوم الخميس الموافق 5/ 7/ 1428هـ فهو لم يكفر مَنْ ينكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على اعتبار أنه آلية من آليات الإصلاح والتقويم في الإسلام، وإنما كفر مَنْ يكرهون الآمرين بالمعروف والنهي عن المنكر..

والمعروف أنه لا يوجد في بلادنا مَنْ يكره هذه الآلية الإسلامية، وإنما يوجد هناك كثير من المفكرين الذين لاحظوا الأخطاء الجسيمة التي ارتكبها بعض منسوبي هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فانتقدوا أخطاءهم التي أدت إلى مقتل مواطنين اثنين مؤخراً وإصابة امرأة إصابات خطيرة قد تعوقها عن الحياة السليمة بقية عمرها، وللهيئة كما نعلم، تاريخ لا ينسى من مثل هذه الممارسات التي يرفضها الإسلام، وهو الأمر الذي دعا إلى المطالبة بإلزامها بتطبيق القوانين التي كانت وما تزال تتجاهلها بكل أسف.

أقول لهذا المكفر الجديد ولكل مَنْ يتجرأ على تكفير المسلمين: اتقِ الله يا رجل..

نشر في: 16/ 7/ 1428هـ
الموافق: 30/ 7/ 2007م

التكفير دعوة إلى القتل

الإفتاء مسؤولية عظيمة لا يقدم عليها كل منسوب إلى علوم الدين، وكان علماء الدين يتحاشون الإفتاء، حيث قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: «مَنْ أفتى الناس في كل ما يستفتونه فهو مجنون». وقال أبو حفص الأسدي: «إن أحدكم ليفتي في المسألة، ولو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر». وقال القاسم لمن جاء يستفتيه: «لا تنظر إلى طول لحيتي وكثرة الناس حولي، والله ما أحسنُ الفتوى». وقال مالك بن أنس: «مَنْ أجاب في مسألة، فينبغي من قبل أن يجيب فيها، أن يعرض نفسه على الجنة والنار، وكيف يكون خلاصه في الآخرة، ثم يجيب».

وأنا مثل أي مواطن، أحترم العلماء الذين يقومون بالإفتاء في بلادنا احتراماً كبيراً، إلا أني أقف مذهولاً أمام بعض الفتاوي التي تصدر هذه الأيام من بعض علمائنا الأعزاء وتنتهي بالتكفير.. فأذكر بهذه المناسبة قول الشيخ جواد الورد في كتابه: (الإيمان والكفر): «بعد أن ثبت بالكتاب والسنة الحكم بإسلام كل مَنْ نطق بالشهادتين وأن له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، وعدم جواز تكفيره وإشراكه، وحرمة دمه... وأنه يكتفى منه بظاهر الإسلام، ولا يُفتش عما

بطن من إيمانه، ثم إيابه إلى الله عز وجل، وحسابه عليه تعالى، فهو السميع العليم، والحكم العدل».

أقول ذلك بمناسبة قيام أحد الباحثين عن الفتنة بسؤال فضيلة الشيخ صالح ابن فوزان الفوزان سؤالاً هذا نصه:

«ما قول فضيلتكم في الدعوة إلى الفكر الليبرالي في البلاد الإسلامية؟ وهو الفكر الذي يدعو إلى الحرية التي لا ضابط لها إلا القانون الوضعي، فيساوي بين المسلم والكافر بدعوى التعددية، ويجعل لكل فرد حريته الشخصية التي لا تخضع لقيود الشريعة كما زعموا، ويحاد بعض الأحكام الشرعية التي تناقضه، كالأحكام المتعلقة بالمرأة، أو بالعلاقة مع الكفار، أو بإنكار المنكر، أو أحكام الجهاد.. الخ فهل يجوز للمسلم أن يقول: (أنا مسلم ليبرالي) وما نصيحتكم له ولأمثاله؟؟».

فإذا كان المستفتي قد مَهَّدَ لسؤاله الخبيث بإضفاء أوصاف على الليبرالية تقود إلى الحكم عليها بالكفر، فإنه كان من واجب المفتي الشيخ صالح الفوزان أن يدرس بنفسه معنى الليبرالية وتاريخها، لأن من أبسط واجبات المفتي العالم أن يبحث موضوع الفتوى بنفسه لكي لا يكون أداة للقتل، يستعملها صاحب السؤال الماكر، يدل على ذلك أنه اضطر إلى متابعة فتواه بتصحيح يبعدها عن إساءة استعمالها، وهو الهدف الواضح لواضع السؤال الذي أراد أن يحل قتل بعض المسلمين على لسان الشيخ صالح الفوزان الذي سارع حفظه الله إلى التوضيح.

أردت أن أقول إنه لا يحل لأي مسلم أن يكفر أخاه المسلم، لأن التكفير دعوة مبطنة للقتل وسفك الدماء..

نشر في: 9/ 7/ 1428هـ
الموافق: 23/ 7/ 2007م

حدث في غيابك أيها الأمير

يسجل التاريخ بأن صاحب السمو الملكي الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة أعاده الله بالسلامة إلى أرض الوطن بعد رحلة علاجية للخارج، كان أول الداعمين لعمل المرأة في المعارض التجارية في مدينة جدة، حينما أوقف المحاولات التي بذلها بعض المعارضين لعمل المرأة الذين حاولوا الاستعانة بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمحاكم الشرعية إحداهما أو كلتاهما لاستصدار قرار بمنع رجل الأعمال الشيخ أحمد حسن فتيحي من الاستمرار في فتح معرض تجاري للذهب والمجوهرات يعمل فيه نساء ترتاده العوائل. فلما علم سموه بذلك، وقف بجانب التاجر الرائد في تشغيل المرأة وأوقف المهزلة.

ولما سافر سموه الكريم في رحلة علاجية إلى الخارج، صدر قرار غريب كل الغرابة يقضي بتأليف لجنة في مدينة جدة تسمى: «لجنة الآداب» يوحي اسمها أن قلة الأدب في هذه المدينة الحضارية قد بلغ حداً عجزت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السيطرة عليها، وهو الأمر الذي استدعى تكوين لجنة تكون في حالة طوارئ لمكافحة قلة الأدب المزعومة. وما هذه اللجنة إلا نوع من المزايدة على حساب حرية الناس وانسيابية الحياة الطبيعية في

هذه المدينة الرائدة في الفكر والثقافة والفن والرياضة والأخلاق والثقافة والفن والرياضة والإنسانية.

وإلى أن يعود سموه إلى أرض الوطن بالسلامة عما قريب، فإني أود أن أكتب له هذه الرسالة المفتوحة عما أقدمت عليه لجنة الآداب خلال مدة غيابه.

إن مدينة جدة كما تعلم أيها الأمير المبجل مدينة مثل كل مدن المملكة يدين أهلها بالإسلام وتحتكم إلى الكتاب والسنة، مدينة ترفض العزلة والرأي الواحد. مدينة تعترف بكل المذاهب الإسلامية، ولا تهتم قليلاً أو كثيراً بالعادات والتقاليد البالية، وتميز بين الدين والأعراف. ولا يستطيع أحد أن يضحك عليها حينما يحاول أن يقدم لها الآراء البشرية على أساس أنها من الدين وما هي من الدين في شيء، وهي مدينة لا ترى في شوارعها سيارات محجبة، وإن وجد عدد منها أحياناً فإنما هي سيارات زائرة زيارة قصيرة للمدينة.

في غيابك أيها الأمير المبجل صالت وجالت لجنة الآداب فخربت أول الأمر صيف جدة لعام 1427هـ حينما ألغت الحفلات الغنائية من برامج النشاطات الصيفية، لأن الغناء محرم في رأيها، مع أنه من الأمور الخلافية التي لا يجوز إلزام الناس بالرأي الذي يحرمها، في الوقت الذي يوجد رأي آخر يجيز الغناء إذا كان خالياً من الأجواء الفاسدة ولا يدعو إلى الرذيلة. وليس هذا مجال البحث بالتفصيل في جواز الغناء.

في غيابك أيها الأمير العزيز قامت لجنة الآداب بإزالة لوحة إعلانية كبيرة منصوبة في أحد شوارع مدينة جدة التجارية عن صدور ألبوم غنائي جديد للفنان المعروف محمد عبده. وسبب منع هذه اللوحة الإعلانية هو سبب منع الحفلات الغنائية في صيف جدة المنصرم.

في غيابك أيها الأمير المحبوب تم قفل محلات القزاز التي تتاجر في العطور ولوازم المرأة للتجميل التي يعمل فيها النساء. وفصلن من العمل في تلك المحلات التجارية التي تستقبل النساء والعوائل. وأتاحت هذه العملية

للقزاز أن يتخلص من العمالة النسائية السعودية ليعود إلى تشغيل عمالة رجالية من بلد عربي معين يتعاطف معهم على حساب المواطنين.

في غيابك أيها الأمير كانت لجنة الآداب تقتحم بعض المطاعم التي ترتادها الأسر، وتفرض على أصحاب المطاعم وروادها بعض الشروط والترتيبات التي تتناغم مع ثقافتها البالية وأعرافها القديمة التي ترى أنها الصحيحة دون غيرها. . كانت ترغم الجميع على تنفيذ رؤيتها، لأنها بكل الأسف أعطيت صلاحيات تزعج بها الناس وتنغص بها عليهم أوقاتهم الجميلة.

إن مدينة جدة في انتظارك في انتظار عودتك مصحوباً بالعافية، لكي تزيح عن صدرها هذه اللجنة التي وضعت للمزايدة في الدين على حساب القيم الدينية المعتدلة السائدة في جدة عبر العصور.

نشر في: 18/ 7/ 1427هـ
الموافق: 13/ 8/ 2006م

هل عادت لجنة الآداب في جدة؟

أولاً وقبل كل شيء، أهنئ أبناء منطقة مكة المكرمة بتعيين صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أميراً لمنطقة مكة المكرمة وأبنائها الذين يعلقون آمالاً كبيرة على سموه في تنمية المنطقة الغربية وتطويرها. كما أهنئ نفسي بهذه المناسبة لما أراه في سموه الكريم من جوانب وملامح مميزة في مواهبه الإدارية والشعرية والفكرية التي ورثها عن أبيه جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز. ولعل من أعماله الثقافية العظيمة التي قام بها بمشاركة أشقائه جائزة الملك فيصل العالمية ومؤسسة الفكر العربي..

بعد ذلك، أعود إلى موضوعي، وأطرح السؤال بصيغة أخرى معدلة. فأسأل: هل عادت لجنة الآداب في جدة بثوب جديد بعد أن ألغيت؟

لا أدري حقيقة الجهة التي أنشأت لجنة الآداب في جدة في غياب أمير منطقة مكة المكرمة صاحب السمو الملكي الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز لمرضه رحمه الله. ولكن أعمالها كانت محل انتقاد، لأنها كانت نوعاً من أنواع المزايدة على أعمال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكانت ممارساتها توحي بأن سوء أخلاق سكان مدينة جدة يستوجب إنشاء لجنة للآداب إلى جانب هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وارتكبت هذه اللجنة بعض الأعمال

التي تدل على غلوها وحرصها على فرض مفاهيمها الخاطئة على سكان مدينة جدة. فكان من حسنات صاحب السمو الملكي الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز رحمه الله أمره بإلغاء هذه اللجنة. وكان من نصيبي بعض التهم الحاقدة التي تم التحقيق فيها بمعرفة وزارة الثقافة والإعلام وانتهت ببراءتي..

وفي فترة غياب صاحب السمو الملكي الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز عن عمله للمرة الثانية، عادت اللجنة بتشكيل جديد من غير اسمها السابق. وقامت بإغلاق جناح تعليمي كندي وآخر ماليزي بدعوى اقترافهما مخالفات شرعية وقانونية من دون تحديد لتلك المخالفات. وهو الأمر الذي كان محل نقد في أوساط المجتمع المحلي عموماً واستنكار في ماليزيا وكندا على وجه الخصوص. وليس من السهل على السفارة السعودية في أوتاوا الدفاع من هذه التصرفات المحرجة.

ومن جهة أخرى، قامت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمطالبة رئيس مجلس إدارة الغرفة التجارية والصناعية بجدة بمنع ما لوحظ من اجتماعات مختلطة بين الرجال والنساء داخل قاعة ابن زقر وقاعة محمد العوضي، مع ملاحظة أن النساء كن كاشفات عن وجوههن وبأكمل زينتهن، ويجلسن على طاولة واحدة مع الرجال.

وهذا العمل الذي قامت به الهيئة مع الغرفة التجارية الصناعية في جدة يدل على الأشياء الآتية:

إن كشف وجه المرأة أمام الرجل عمل محرم من وجهة نظرها وتريد أن تفرضه على المجتمع، بينما هو أمر مباح في رأي كثير من الفقهاء ولا يجوز كشفه في رأي آخرين، لذلك هو من الأمور الخلافية التي لا يستدعي استنكارها بأية حال من الأحوال.

إن الاختلاط عمل محرم في رأيها. وهي تخلط بذلك بين الاختلاط والخلوة، وتفرض فهمها للدين على المجتمع باستخدام سلطتها وقوتها.

هذان العملان اللذان يدلان على الغلو الذي يحكم بعض الجهات الرسمية في مدينة جدة التي تفرض رؤيتها وفهمها وثقافتها الدينية على الآخرين باستخدام سلطتها، أطرحهما على أنظار صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة مكة المكرم، آملاً أن يسود الاعتدال والوسطية ومراعاة الرأي الآخر بين الجميع في كل أنحاء المملكة وفي مدينة جدة على وجه الخصوص، لأن أهلها من المعرفة بمكان تجعلهم يفرقون بين الصحيح والخطأ. .

نشر في: 4/ 5/ 1428هـ
الموافق: 21/ 5/ 2007م

هكذا كان علماؤنا

كان علماء الدين في تاريخنا الإسلامي يخافون الله ويعملون على خدمة الدين بعيداً عن المصالح الدنيوية الفانية، سجل لهم التاريخ بمداد من ذهب مواقفهم القوية ضد الظلم حتى لو أدى ذلك إلى إلحاق الضرر بحياتهم الشخصية وإلقائهم في غياهب السجون أو إعدامهم.

يسرني اليوم أن أروي بعضها، ثم أعلق عليها إن كانت تحتاج إلى تعليق، فمن ذلك:

* أرسل أبو جعفر المنصور إلى الإمام المعروف أبي حنيفة هدية هي عبارة عن عشرة آلاف درهم وجارية. رفض أبو حنيفة الهدية التي حملها إليه الوزير عبد الملك بن حميد الذي صارحه قائلاً: أنشدك الله، إن أمير المؤمنين يطلب عليك علة، فإن لم تقبل، صدق على نفسك ما ظن بك. إلا أن هذا العالم الجليل الذي تحرر من إغراءات المادة أصر على رفض الهدية التي قدمها له أبو جعفر المنصور الذي استغل الموقف ليحرج أبا حنيفة ويتخذ من رفض أبي حنيفة للهدية ذريعة للتنكيل به لأنه رفض الرشوة التي قدمها له، فاستدعاه وقال له: لم لا تقبل صلتي؟ فقال له أبو حنيفة: ما وصلني أمير المؤمنين من ماله بشيء فرددته، ولو وصلني بذلك لقبلته، إنما وصلني أمير المؤمنين من بيت مال

المسلمين، ولا حق لي في بيت مالهم، إني لست ممن يقاتل من ورائهم، وآخذ ما يأخذه المقاتل، ولست من ولدانهم فآخذ ما يأخذ الولدان، ولست من فقرائهم، فآخذ ما يأخذ الفقراء.

* قال الإمام سفيان الثوري: لما حج أبو جعفر المنصور قال: لا بد لي من سفيان، فوضعوا لي الرصد حول البيت، فأخذوني بالليل، فلما مثلت بين يديه أدناني، ثم قال لي: لأي شيء لا تأتينا، فنستشيرك في أمرنا، فما أمرتنا من شيء صرنا إليه، وما نهيتنا عن شيء انتهينا عنه؟ فقلت له: كم أنفقت في سفرك هذا؟ قال: لا أدري، لي أمناء ووكلاء. قلت: فما عذرك غداً، إذا وقفت بين يدي الله تعالى، فسألك عن ذلك؟ فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حج قال لغلامه: كم أنفقت في سفرنا هذا؟ فقال غلامه: يا أمير المؤمنين: ثمانية عشر ديناراً، فقال: عمر بن الخطاب: ويحك أجحفنا في حق بيت مال المسلمين. وقد علمت يا أمير المؤمنين ما حدثنا به منصور بن عمار وأنت حاضر ذلك، وأول كاتب كتبه في المجلس عن إبراهيم عن الأسود عن علقة عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: رب متخوص في مال الله فيما شاءت نفسه، له النار غداً. وفي هذه اللحظة تدخل أحد المنافقين من حاشية أبي جعفر المنصور وقال: هل يُقال مثل هذا لأمير المؤمنين؟ فأجابه الإمام سفيان الثوري بقوة المؤمن وعزة المسلم: اسكت، إنما أهلك فرعون حاشيته.

* جيء بالعالم حطيط الزيات إلى طاغية العراق في عصر بني أمية الحجاج، فلما دخل عليه قال له: أأنت حطيط؟ قال: نعم. قال حطيط: سل عما بدا لك فإني عاهدت الله على ثلاث خصال:

1 ـ إن سئلت لأصدقن.

2 ـ وإن ابتليت لأصبرن.

3 ـ وإن عوفيت لأشكرن.

قال الحجاج: فما تقول فيَّ؟ قال حطيط: أقول فيك إنك من أعداء الله في الأرض، تنتهك المحارم وتقتل بالظنة.

فقال الحجاج: فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان؟

قال حطيط: أقول إنه أعظم جرماً منك، وإنما أنت خطيئة من خطاياه.

فأمر الحجاج حاشيته أن يضعوا عليه العذاب، فانتهى به الأمر إلى أن شقق له القصب، ثم جعلوه على لحمه، وشدوه بالحبال حتى انتحلوا لحمه، فما سمعوه يقول شيئاً، فقيل للحجاج إنه في آخر رمق، فقال: أخرجوه، فارموا به في السوق.

وهي مواقف لا تحتاج إلى تعليق، لأنها تعبر عن عظمة هؤلاء العلماء رحمهم الله.

نشر في: 1/ 2/ 1428هـ
الموافق: 19/ 2/ 2007م

تشويه سمعة «طاش» بحجة حماية الدين

«طاش ما طاش» برنامج تلفازي تمثيلي حولي يبث كلما جاء شهر رمضان المبارك وهو برنامج تنويري يعالج بعض الممارسات والأفكار الظلامية في المجتمع، في محاولة منه لإعادة تلك الممارسات الفاسدة إلى مسارها الصحيح ومعالجة بعض الأفكارالضارة السائدة في بلادنا هذه الأيام، ولذلك يقبل على مشاهدته كل المواطنين الذين لديهم أجهزة تلفاز في بيوتهم ويلقى الإعجاب والثناء.

وقد عاشت بلادنا تحت سيطرة بعض رجال الدين في بعض المؤسسات الدينية التي فرضت على المجتمع فكرها الديني فرضاً. وليس عن طريق الإقناع بحجة أن أفكارها الدينية هي الصحيحة دون غيرها، وحظرت تداول الأفكار الدينية الأخرى بحجة أنها باطلة، فساد هذا الفكر الظلامي.

وإذا أردنا تنوير المجتمع وتصحيح الأفكار الفاسدة السائدة، نحتاج إلى صبر أيوب لمواجهة الحملات التي ينظمها أصحاب الفكر الانغزالي الظلامي باسم حماية الدين.

حلقتان من عشرين حلقة من البرنامج تناولت موضوعين يعتبران في عرف

الغلاة من المحرمات التي لا يجوز الاقتراب منهما، ومَنْ يعالجهما يعتبر في عرفهم كمن يسخر من الدين ويلصق التهم بالإسلام، وكانت الحلقتان تحت عنوان:

1 ـ إرهاب أكاديمي..

2 ـ سور الحريم.

هما السبب في إثارة غضب الغلاة على البرنامج الذي أعلنوا عنه فوق منابر خطب يوم الجمعة وفي المواعظ التي تلي الصلوات وفي فتاو حكمت عليه بالتحريم.

وقد بدأت محاربة «طاش ما طاش» بفتوى صادرة يوم 25/ 8/ 1425هـ بتحريم البرنامج على الأسس الآتية:

* أنه يسخر من أهل الخير والصلاح ويلحق المعايب بهم.

* أنه يشجع على خروج المرأة مع الرجل الأجنبي وما يتبع ذلك من اختلاط.

* أنه يستهزئ ببعض أمور الدين.

ثم تلاه بيان الشيخ بدر بن نادر المشاري، وهو إمام لأحد المساجد في مدينة الرياض، صدر يوم 25/ 9/ 1425هـ ونشر مجدداً في رمضان لعام 1427هـ في بعض مواقع الإنترنت، يحاول أن يشوه سمعة البرنامج الإصلاحي بإلقاء بعض التهم التي ينقصها الدليل، ومن أهم التهم الظالمة قوله:

* (استعرض أهل العلم ما فيه من المخالفات للشرع المطهر والآداب والقيم، منتهين إلى القول بتحريمه لما اشتمل عليه من مخالفات خطيرة).

وكما يتضح من نص هذه الفقرة من البيان أنه لم يذكر شيئاً من المخالفات المنسوبة إلى البرنامج.. وحسب هذه الفقرة أيضاً بانتهاء أهل العلم إلى تحريمه

بينما القاعدة الشرعية أنه لا يجوز التحريم من غير نص عليه في القرآن الكريم، وأن التحريم شأن إلهي وليس من حقوق البشر . .

* (نحن نؤمن بأن من سنن الله التدافع بين الحق والباطل وأنهما في صراعين دائمين دائبين إلى قيام الساعة، ولكن لأن التكليف الشرعي يقتضي منا أن نطبق أحكام ديننا الحنيف، وأن نقف في وجه أي إلحاد، أو تحريف لنصوصه، أو تعطيل لأحكامه، أو تعد عليه، بغض النظر عن الموقع الذي نكون فيه أو الحالة التي نكون عليها، وفي خضم هذا العبث ظهرت نداءات متبصرة من بعض الغيورين المتبصرين ينادون بها، وهم فيها محقون، إنهم ينادون بضرورة النظر الجاد في الأمن الفكري والتحصين للعقول من الوافد، والحفاظ على خصوصية المسلم في عقيدته الخالصة وشخصية المسلم، نداء صادق لتحصين الأفكار من كل ما يلطخها ويدنسها، وإلا ستغزو العقول وتُغَيَّرُ المفاهيم، وتنسلخ الشعوب من معتقداتها وينتشر الباطل).

بدأت هذه الفقرة بكلام إنشائي يمكن أن يقال في أي مناسبة ثم أطلقت بعض الاتهامات بحق البرنامج التي لا يجوز أن تمر من دون مناقشتها ومن الاتهامات التي جاءت في هذه الفقرة:

أولاً: (ولكن لأن التكليف الشرعي يقتضي منا أن نطبق أحكام ديننا الحنيف) فهل خالف البرنامج شيئاً من هذه الأحكام؟ وما هي إن وجدت؟

ثانياً: (وأن نقف في وجه أي إلحاد، أو تحريف لنصوصه، أو تعطيل لأحكامه، أو تعد عليه)، وكما قرأنا هذه الفقرة نجد أنها تشير إلى أربعة اتهامات مزعومة:

1 ـ أن في البرنامج إلحاداً . .

2 ـ أن فيه تحريفاً لنصوص الدين.

3 ـ أن فيه تعطيلاً لأحكام الدين.

4 ـ أن فيه تعدياً على أحكام الدين..

وهي كما يلاحظ القارئ اتهامات باطلة، لأنها بدون دليل مستخرج من نصوص ومشاهد البرنامج.

* يقول البيان بأن بعض الغيورين المتبصرين: «ينادون بضرورة النظر الجاد في الأمن الفكري والتحصين للعقول من الوافد» إلى أن يقول: «نداء صادق لتحصين الأفكار من كل ما يلطخها ويدنسها».

وفي هذه الفقرة من البيان دعوة مبطنة إلى مراقبة الفكر لمنع تداول الأفكار الأخرى بدعوى أنها لتحصين الأفكار من كل ما يلطخها ويدنسها، وهي كلمة حق يراد بها باطل، يراد بها قصر اطلاع الناس على أفكارهم المتخلفة وحدها..

* (إن هذا البرنامج الهابط الذي يبث مرئياً هاجم الساخرون الفاسقون فيه ومن خلاله دين الله والمتمسكين به، وثوابت المجتمع وأعرافه التي دانت الأمة باحترامها، وهو نموذج واضح لما يبثه الإعلام من فساد).

إن الاتهامات المنصوص عليها في هذه الفقرة من البيان هي:

1 ـ أن من أعضاء البرنامج فاسقين، وهو اتهام ظالم لا يستند إلى دليل شرعي، ويمكن أن يحاكم عليه مطلقه شرعاً..

2 ـ أنه يهاجم دين الله: فأين جاء هذا الهجوم المزعوم؟ وما هي النصوص والمشاهد التي تدل على ذلك الهجوم؟

إن مَنْ يجرؤ على مهاجمة الإسلام ليس من المسلمين قطعاً، وكل من يخطئ بحق الإسلام يجب أن يحاسب، وهو آثم إن أفلت من العقوبة في الدنيا.

3 ـ أنه يهاجم المتمسكين بدين الله: إن البرنامج لم يهاجم أحداً من المسلمين خاصتهم وعامتهم، وإنما صَوَّرَ سلوك بعض الغلاة الذين

حَوَّلوا الجهاد إلى عمليات انتحارية تؤدي إلى قتل المسلمين الأبرياء وأهل الكتاب الذين لم يحاربونا ولم يعتدوا علينا، وانتقد البرنامج ممارسات بعض المؤسسات الدينية التي تسعى إلى عزل النساء عن الرجال بدون نص من القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الشريفة، كما انتقد محاولات الجهات التي تحاول تحريم ما هو مباح باستخدام قاعدة: «سد الذرائع» وتسعى إلى نشر أعرافها تحت ستار هذه القاعدة التي أصبحت سلاحاً في أيدي الغلاة لفرض عاداتهم وتقاليدهم باسم الدين وباستخدام سلطة الدولة.

* (إن الأمن الفكري يجب أن يأتي في مقدمة الاهتمام بمفهوم الأمن كله) ويقول البيان أيضاً: (هاجس الأمن الفكري هاجس الجميع.. في زمن داهمنا فيه الأعداء من فوقنا ومن تحت أرجلنا، وحاصرونا من كل مكان، وخربوا ـ ولا زالوا يخربون ـ بلاد المسلمين).

إن تكرار المطالبة بالأمن الفكري في هذا البيان يدل دلالة قوية على رغبته في إعادة الرقابة على وسائل الإعلام، لكي يخلو الجو لأصحاب الفكر الديني المتشدد، ليتمكن من بث أفكاره وحدها، ويمنع أفكار الآخرين، لكي يشكِّل ويكوِّن فكر الناس كما يشاء، ولكي يحول دون مشاركة الفكر المستنير في تصحيح الأفكار الدينية التي بلغت أدنى درجات الانحطاط الفكري، وعم بلاؤها كثيراً من الديار الإسلامية، لأن أصحابها يزعمون بأنها وحدها هي الصحيحة وأن ما عداها فاسدة، وأن المؤمنين بأفكارهم يعتبرون وحدهم الناجين من العذاب، وأما الباقون فسوف يكون مصيرهم جهنم وبئس المصير..

إن هؤلاء الغلاة يعلمون أن أفكارهم الدينية هشة لا تقاوم رياح الحق ولا يستطيعون الدفاع عنها، ولذلك يلجأون إلى منع تداول المذاهب الفكرية المغايرة لفكرهم، فيعمدون إلى حماية أفكارهم بعزل الأمة الإسلامية عن تداول أي مذهب ديني غير مذهبهم.

إنهم يريدون عودة أيام الرأي الديني الواحد المفروض على المجتمع بقوة السلطة، بحجة حمايته من الغزو الفكري الضار بسلامة العقيدة..

هذا وقد استخدم البيان بعض الآيات القرآنية في غير أماكنها، ففشل في إقناع الناس بأن برنامج «طاش ما طاش» ضد الدين.. وعلى العموم، فإننا إذا تأملنا الاتهامات الملفقة التي ذكرت في البيان، نجد أنها اتهامات ضبابية لا تستند إلى دليل يؤيدها. وما هي إلا محاولات يائسة لحماية فكرهم المتشدد من الانهيار ومصالحهم من الضياع ولو عن طريق تشويه سمعة الأعمال الفنية التي تكشف زيف أفكارهم وسوء أعمالهم بدعوى حماية الدين من الباطل.

وأقول في الختام: لن يستمر هذا الليل إلى الأبد، وسوف تشرق شمس النهار الساطعة حتى لو كره أولئك الذين يحاولون إطفاء مشاعل النور، ولن يصح إلا الصحيح..

نشر في: 24/ 9/ 1427هـ
الموافق: 16/ 10/ 2006م

لا سمعاً ولا طاعةً

كل من درس الإسلام وتاريخه يعلم بأن الحياة السياسية في الإسلام قامت على أربع قيم سياسية هي:

القيمة الأولى: الشورى..

القيمة الثانية: العدل..

القيمة الثالثة: المساواة..

القيمة الرابعة: الحرية..

ورغم أن القوة قد تأخذ كثيراً من الحكام إلى الاستبداد، إلا أن الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان من أكثر الخلفاء عملاً بالقيم السياسية الإسلامية..

وتاريخ عمر بن الخطاب دروس لا تنتهي في كيفية تطبيق القيم السياسية الإسلامية، من المستحيل لأي باحث أو كاتب أن يروي أمثلة لها في مقال عابر، لذلك آثرت أن أكتفي بذكر موقف واحد من حياته السياسية يعبر عن ذلك.

فقد ذكر التاريخ بأنه جاءت لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب حلل بعث بها أحد الولاة، فقسمها على المسلمين، فكان نصيب كل واحد منهم ثوباً متوسط

الطول، وجاء يوم الجمعة، وصعد أمير المؤمنين المنبر، ولما قال: «أيها الناس: اسمعوا وأطيعوا». نهض الصحابي الجليل سلمان الفارسي، وقال: لا سمعاً ولا طاعة لك يا عمر . .

استغرب عمر معارضة هذا الصحابي لأوامره، قائلاً: ولم ذلك يا أبا عبد الله؟

فأجابه سلمان الفارسي قائلاً:

ـ لأنك قَسَّمْتَ علينا ثوباً ثوباً، وأنت رجل طوال، لا يكفيك ثوب واحد، فأراك قد لبست ثوباً وإزاراً، فكيف رضيت أن تأخذ أكثر من غيرك من المسلمين؟

قال عمر بن الخطاب: لا تعجل يا أبا عبد الله . .

ثم التفت يميناً ويساراً، ونادى قائلاً: أين عبد الله بن عمر؟

كان ابنه عبد الله من جموع المصلين الحاضرين للصلاة، فنهض من مكانه، وقال: لبيك يا أمير المؤمنين . .

فقال له أبوه عمر بن الخطاب: أنشدك الله يا بني: لمن هذا الثوب الذي أتزر به؟

أجابه ابنه قائلاً: إنه لي يا أمير المؤمنين . .

فما كان من الصحابي سلمان الفارسي إلا أن قال لعمر بن الخطاب: أما الآن، فسمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين . .

منع من النشر

انهيار القيم السياسية الإسلامية

كل شيء يوفّر لنا الحياة السعيدة موجود في القرآن الكريم الذي يقول الله عز وجل فيه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ وقد طبق الرسول ﷺ أحكام القرآن على أرض الواقع في حياته وتبعه خلفاؤه وهم الخلفاء الراشدون، إن القيم السياسية الإسلامية تأتي بعد العبادات مباشرة لأنها توفر لهم حياة عادلة كريمة تجعلهم شركاء في اتخاذ القرارات السياسية التي تنظم حياتهم وتحقق لهم الأمن والاستقرار أينما كانوا في أي زمان عاشوا، وتنحصر القيم السياسية الإسلايمة في أربع قواعد لا أكثر، وهي:

القاعدة الأولى: الشورى التي طبقها النبي ﷺ في السلم والحرب رغم أنه رسول الله ويستطيع أن يستغني عن استشارة الصحابة، إلا أنه كان يأخذ بآرائهم في الرخاء والشدة، وتبعه في تنفيذ الشورى خلفاؤه الراشدون، فماذا حدث للشورى بعد ذلك؟

لقد طَلَّق العرب الشورى، فأعطاها الغرب تأشيرة دخول إلى بلادهم ولجمالها وقدرتها على توفير الوفاق والتفاهم في حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية وتزوجها الغرب، فأنجب منها أجمل البنات والأولاد، وهي الانتخابات وتداول السلطة والفصل بين السلطات وحقوق الإنسان.

أي أن الشورى التي نبذها كثير من الحكام المسلمين هي أُمُّ الديموقراطية التي عاش الغرب مع أبنائها وبناتها الجميلات.

القاعدة الثانية: الحرية، وهي إحدى الهبات الإلهية التي منحها الله جل وعلا للإنسان، وكانت حرية من غير حدود، إلى حد أن بالإمكان لمن شاء أن يؤمن أو يكفر ولا يُكره على الإيمان بدين من الأديان..

القاعدة الثالثة: العدالة في الحقوق والواجبات وتطبيقها بكل دقة حتى أن النبي ﷺ قال: «**لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**».

القاعدة الرابعة: المساواة، إذ لا فرق بين أبيض وأسود، ولا فرق بين كبير وصغير، وقد عبر عن مدى حرص المسلمين في عصور الزاهرة على تطبيقها قول عمر بن الخطاب: «متى استعبدتم الناس، وقد خلقتهم أمهاتهم أحراراً؟» عملاً بقوله عز وجل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾..

وللأسف الشديد، انهارت تلك القيم السياسية الإسلامية بعد عصر الخلفاء الراشدين، وحلت الفوضى محلها، وصار من حق بعض الحكام أن يقتل منافسيه بدعوى أنهم يسعون إلى الفتنة، وأجاز بأحد خلفاء بني أمية لنفسه أن يرمي الكعبة بالمنجنيق ليظفر بمنافسه عبد الله بن الزبير ولم يشفع له أنه لاذ بأستار الكعبة واستجار بالبيت الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً، وتجاوز بعضهم الحدود حينما قتل بعض الأطفال، وألقى برؤوسهم في أحضان أمهاتهم..

فما حكم الإسلام على هؤلاء الحكام الظلمة؟

كان هذا السؤال الوجيه سبباً في إثارة جدل واسع في العالم الإسلامي شارك فيه كبار الفقهاء ورواد الفكر الإسلامي، إذ كان لا بد من تحديد موقف الدين من أي نظام للحكم يلجأ إلى الإرهاب، ويشيع المظالم، ويستحِلُّ السَّمَّ والاغتيال والغدر في تصفية المنافسين السياسيين أو المنادين بتطبيق القيم السياسية الإسلامية.

ورغم أن الجواب واضح، إلا أن الخلاف دب بين العلماء بسبب تأثير بعض الحكام عليهم عن طريق الترغيب إن أمكن شراء ذممهم، أو عن طريق الترهيب إن كانوا من المتمسكين بالحق المذكور في الكتاب والسنة . .

ولعل هذا السؤال الوجيه هو السبب الرئيس الذي دعا بعض ضعاف النفوس الذين باعوا آخرتهم بدنياهم إلى وضع أحاديث مكذوبة منسوبة إلى النبي ﷺ في تأييد المظالم وإهدار الحقوق الشرعية للمسلمين . .

نشر في: 14/ 3/ 1428هـ
الموافق: 2/ 4/ 2007م

لماذا الإعلان عن القبول
في المدارس العسكرية بالأرقام؟

* يوم 4/ 9/ 2005م: أعلنت لجنة القبول والتسجيل بكلية الملك خالد العسكرية عن أرقام الطلبة المقبولين نهائياً لعام 1426هـ ودعت المقبولين إلى مراجعتها. .

* يوم 8/ 7/ 2005م: أعلنت اللجنة المركزية للقبول بقيادة القوات البرية عن أرقام الطلبة المقبولين احتياطاً بمركز ومدرسة سلاح المشاة، وطلبت منهم المراجعة.

* نشرت جريدة الوطن يوم 6/ 6/ 1426هـ بأن اللجنة المركزية لقبول طلبة القوات البرية قد أعلنت عن قبول خمسين طالباً من حملة الثانوية العامة احتياطي مركز ومدرسة سلاح المشاة المحولين إلى معهد سلاح المدرعات وطلبت منهم المراجعة.

* نشرت جريدة الرياض يوم 20/ 2/ 1426هـ بأن معهد الدراسات الفنية للقوات الجوية بالظهران أعلن عن أرقام الطلبة المقبولين لعام 1426هـ.

* نشرت جريدة الوطن يوم 9/ 7/ 1427هـ ما أعلنته كلية الملك فهد الأمنية

عن أرقام الطلبة المقبولين نهائياً بدورة مشغلي نظام البصمات من حملة الدبلوم في التخصصات الآتية: تقنية برمجيات، وتقنية شبكات، ودعم فني، ونظم حاسب آلي، وغيرها.

وبناء على تلك النخبة من الإعلانات، أطرح سؤالاً وجيهاً وهو السؤال الذي عنونت به مقال اليوم، يقول السؤال:

ـ لماذا الإعلان عن نتائج قبول الطلبة في المدارس العسكرية بالأرقام؟

لقد اعتدنا منذ أن كنا طلبة في المدارس على قراءة نتائج الاختبارات ونتائج القبول في المدارس والمعاهد والكليات العسكرية والمدنية بالأسماء وليس بالأرقام، إلا أن الأمر الجدير بالملاحظة هو الإعلان عن نتائج القبول في المدارس والمعاهد والكليات العسكرية بالأرقام في السنوات الأخيرة.

إن الإعلان عن نتائج القبول في الجهات العسكرية بالأرقام وليس بالأسماء يشير إلى وجود ظاهرة يراد إخفاءها في الغالب، وما تناولت هذا الموضوع لألف وأدور حول الموضوع، وإنما عزمت على معالجته بكل صراحة لكي يصح الصحيح وتموت الأخطاء في مهدها..

هل يشير إخفاء أسماء الطلبة المقبولين في تلك المدارس والمعاهد والكليات العسكرية على نوع من أنواع التمييز بين المواطنين؟!.

قد يكون الهدف منه إبعاد أبناء بعض المناطق الجغرافية مقابل تفضيل أبناء مناطق جغرافية معينة.

وقد يكون الهدف استمرار رفض أتباع بعض المذاهب الإسلامية رغم أنهم مواطنون سعوديون..

بينما نبذ الإسلام كل صور التمييز، وجاء بالمساواة لمواجهة العصبية بكل أشكالها وألوانها، ويظهر ذلك في الأمور الآتية:

* المساواة في منشأ البشرية . .

* المساواة في المصير . .

* المساواة في الحقوق والواجبات الدينية .

* المساواة أمام القانون . .

* المساواة في المصالح العامة . .

وهذا يعني أن بلادنا الغالية براً وبحراً وسماء لكل المواطنين . .

ويعني أن مدينة الرياض عاصمة للمملكة كلها، وليس لمنطقة معينة .

ويعني أن حكومتنا حكومة لكل المواطنين، وليست حكومة لبعض المواطنين، تُعنى بمصالح الجميع من دون تمييز أو تفرقة . .

ويعني أن أرض المملكة أرض الجميع، يدافع عنها كل المواطنين بأرواحهم . .

ويعني أن خيراتها لكل المواطنين . .

ويعني أن ثروتها البترولية لكل المواطنين من دون استثناء . .

ويعني أن الحرمين فيها لكل المواطنين، بالإضافة إلى أن دخولها شائع لكل المسلمين . .

ويعني أن المدارس والمعاهد والكليات المدنية والعسكرية لكل المواطنين . .

إن التمييز مرض من الأمراض الخبيثة التي تؤدي إلى الفتنة والتفكك والدمار، وتؤدي إلى انتشار الأحقاد والضغائن بين أبناء الوطن الواحد، وتؤدي إلى إضعاف الإحساس الوطني .

ولذلك كله، أقول بكل قوة بأن التمييز بين المواطنين أمر مرفوض، وعلينا أن نبادر بتصحيح أخطائنا في أسرع وقت ممكن لكي تبقى بلادنا الغالية واحدة موحدة، إذا كان الإعلان عن قبول الطلبة في المعاهد والمدارس والكليات العسكرية بالأرقام وليس بالأسماء من وضع شخص لا يفكر في النتائج السلبية لهذا العمل.

منع من النشر

تحقيق بوليسي سياسي مع عالم دين

كان مفتي المدينة سعيد بن جبير من أحد العلماء المطاردين المطلوبين في العصر الأموي، أصدر والي المدينة آنذاك خالد بن عبد الله القسري الذي كان لا يقل عن الحجاج الثقفي حباً في إهدار حقوق الإنسان أمراً بالقبض على سعيد بن جبير، وهدد كل من يقدم له ملاذاً آمناً بالقتل وهدم داره وديار جيرانه من حوله، كما كان يفعل المجرم صدام حسين الذي سمعنا ورأينا طغيانه الذي ورثه من أسلافه الطغاة.

حينما وقع سعيد بن جبير في يد أحد رجال الوالي الأموي للمدينة، رفض رجل الأمن الذي وجده أن يقبض عليه، واقترح الرجل على الشيخ سعيد بن جبير أن يهرب الإثنان من وجه الطغيان والمصير المظلم الذي ينتظرهما، إلا أن الشيخ رفض الهروب رفضاً قاطعاً خوفاً على أبناء رجل الأمن الذي قبض عليه من قسوة الانتقام بعد هروبهما، وقبض الرجل مضطراً على الشيخ المطلوب، وسلمه للوالي خالد القسري الذي ربط يديه وبعث به إلى الحجاج بن يوسف الثقفي...

ولما وصل الشيخ سعيد بن جبير مغلولاً إلى البصرة، أخذ الحجاج يحقق

معه بأسلوب بوليسي فظ، حفظت بعض كتب التاريخ نصوص الأسئلة والأجوبة التي تبادلها الطرفان في ذلك التحقيق:

الحجاج : لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى.

سـعيد : لو أني أعلم أن ذلك بيدك، لاتخذتك إلهاً..

الحجاج : ما قولك في محمد؟

سـعيد : نبي الرحمة ورسول رب العالمين إلى الناس كافة بالموعظة الحسنة..

الحجاج : فما قولك في الخلفاء؟

سـعيد : لستُ عليهم بوكيل، كل امرئ بما كسب رهين..

الحجاج : أأشتمهم أم أمدحهم؟

سـعيد : لا أقول ما لا أعلم، إنما استحفظت أمر نفسي.

الحجاج : أيهم أعجب إليك؟

سـعيد : يفضل بعضهم على بعض..

الحجاج : صف لي قولك في (عليّ) أفي الجنة هو أم في النار؟

سـعيد : لو دخلت الجنة فرأيتُ أهلها علمتُ، ولو رأيتُ مَنْ في النار علمتُ، فماسؤالك عن غيب قد حُفِظَ بالحجاب؟!

الحجاج : فأيُّ رجل أنا يوم القيامة؟

سـعيد : أنا أهون على الله من أن يطلعني على الغيب.

الحجاج : أنا أحبُّ إلى الله منك..

سـعيد : لا يقوم أحد على ربه حتى يعرف منزلته منه، والله بالغيب أعلم.

الحجاج : كيف لا أقدم على ربي في مقامي هذا، وأنا مع إمام الجماعة، وأنت مع إمام الفرقة والفتنة.

ســـعيد : ما أنا بخارج عن الجماعة، ولا أنا براض عن الفتنة، ولكن قضاء الرب نافذ لا مرد له . .

الحجاج : كيف ترى ما نجمع لأمير المؤمنين؟

ســـعيد : لم أر . .

ثم طلب الحجاج من بعض رجاله إحضار الذهب والفضة والكسوة والجواهر، فأحضرت ووضعت أمام الحجاج الذي أخذه الإعجاب بنفسه منتظراً رد فعل الشيخ . .

ســـعيد : هذا حسن إن قمت بشرطه، وهو أن تشتري له بما تجمع الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة، وإلا فإن كل مرضعة تذهل عما أرضعت، وتضع كل ذي حمل حملها، ولا ينفعه إلا ما طاب منه . .

الحجاج : أتحب أن يكون لك شيء مما رأيت؟

ســـعيد : لا أحب ما لا يحب الله .

الحجاج : ويلك .

ســـعيد : الويل لمن زحزح عن الجنة، فأدخل النار .

الحجاج : اذهبوا به فاقتلوه . .

ســـعيد : إني أشهدك يا حجاج أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، استحفظكهنَّ حتى ألقاك .

فلما أدبر الشيخ سعيد بن جبير ضحك مما حصل له مع الحجاج . .

الحجاج : ما يضحكك يا سعيد؟

ســـعيد : عجبت من جرأتك على الله، وحلم الله عليك!

الحجاج : إنما أقتل مَنْ شَقَّ عصا الجماعة، ومال إلى الفرقة التي نهى الله عنها . . اضربوا عنقه . .

ســـعيد : حتى أصلي ركعتين (وأستقبل القبلة ثم قال) وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً، وما أنا من المشركين.

الحجاج : اصرفوه عن القبلة إلى قبلة النصارى الذين تفرقوا، واختلفوا بغياً بينهم، فإنه من حزبهم (ونفذ أمر الحجاج).

ســـعيد : فأينما تولوا وجوهكم فثم وجه الله العالم بالسرائر.

الحجاج : لم نوكل بالسرائر، وإنما وكلنا بالظواهر.

ســـعيد : اللهم لا تترك له ظلمي، واطلبه بدمي، واجعلني آخر قتل يقتل من أمة محمد.

هنا نهض الحجاج من مجلسه وأخذ سيفه وضرب عنق العالم الجليل من دون أن يقدمه للقاضي الشرعي لكي يحكم عليه بناء على أحكام الكتاب والسنة، هكذا كان الحجاج الحاكم الظالم يجمع في يديه السلطات الرقابية والقضائية والتنفيذية..

نشر في: 28/ 4/ 1428هـ
الموافق: 16/ 4/ 2007م

قـل ما تـريـد وأنـا أفعـل ما أشـاء

تحاشى الفقهاء أن يكون لهم دور في الفقه الديني السياسي، وتركوا هذا الواجب العظيم، لأن الكثيرين منهم كانوا يخشون غضب السلطان، ويحرصون على حياة الترف والسلامة على حساب معاناة المسلمين من وطأة الطغاة، فقد كان في اعتقادهم أن السلطان الجائر إنما هو ابتلاء وامتحان لهم لقاء ما جنته أيديهم، وعليهم أن يعودوا إلى الله حتى يرفع عنهم البلاء ويحين موعد الفرج، وفي مقابل ذلك، ركزوا اهتماماتهم في فقه العبادات والأحوال الشخصية والعمليات التجارية، إلى حد أنهم حكموا ببطلان صلاة من يحرك أحد أعضائه ثلاث حركات متتالية، ولا شأن لهم بمن يأكل الجمل بما حمل.

وإذا قلبنا صفحات التاريخ بحثاً عن الوجه الآخر للعملة لمعرفة موقف بعض الحكام من بعض الآراء السياسية التي تنتقد أعمالهم السياسية، نجد أنهم يقفون منها موقف اللامبالاة باتباع سياسة: «قل ما تريد، وأنا أفعل ما أشاء».

في يوم من الأيام، قال الحسن البصري للحجاج بن يوسف الثقفي بكل جرأة وشجاعة: «يا أفسق الفاسقين.. ويا أخبث الخبثاء.. فأما أهل السماء فمقتوك.. وأما أهل الأرض فلعنوك» فلم يغضب الحجاج من الكلمات القاسية

التي سمعها من الحسن البصري ولم يحرك ساكناً، لأن سياسة بني أمية هي سياسة الصبر على النقد مهما بلغت حدته ما لم يتجاوز حدود النقد السياسي على اعتبار أن النقد مجرد فضفضة من حجم الغيظ الذي تمتلئ به قلوب المواطنين.. يعبر عن هذه السياسة قاعدة ذهبية لنظام الحكم الأموي وضعها مؤسس الدولة الأموية معاوية به أبي سفيان عَبَّرَ عنها بقوله: «إنا لا نحول بين الناس وبين ألسنتهم، ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا». وبعبارة أخرى، هي سياسة: (قل ما تريد، وأنا أفعل ما أشاء).. وفحوى هذه السياسة ترك الناس ينتقدون ويصرخون حتى لا ينفجروا، والنقد السياسي مجرد كلام في السياسة لا ينفع ولا يضر، أي أن المعارضة السياسية مقبولة ما لم تخرج من دائرة الكلام..

أما إذا خرج النقد السياسي من دائرته السلمية، فيكون الحساب حساباً عسيراً يعبر عن ذلك مقالة معاوية بن أبي سفيان: (والله لا أحمل السيف على من لا سيف له، وإن لم يكن منكم إلا ما يشتفي به القائل بلسانه، فقد جعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي) أي أن المعارضة التي لا تتجاوز حدود اللسان أضعها تحت قدمي ما دامت أنها لا تهز عرشي..

إلا أن تلك السياسة التي قامت على تجاهل كل أنواع النقد السياسي لم تمنع يوماً من الأيام بعض الحكام الطغاة إلى توجيه إحدى التهم السياسية التقليدية الجاهزة للاستخدام عند اللزوم ضد كلِّ من ينتقد ممارساتهم السياسية الجائرة، ومنها:

* نقض البيعة..

* إثارة الفتن..

* الخروج عن حدود السمع والطاعة..

* تفكيك وحدة الأمة..

* التعاون مع أعداء الأمة . .
* الإيمان بالأفكار الهدامة . .
* التآمر على قلب نظام الحكم . .
* التجسس لحساب الأعداء . .
* الردة عن الإسلام .

وكلها تهم سياسية هدفها القتل والتخلص من المعارضة والمعارضين السياسيين . .

منع من النشر

يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم

يعتلي بعض علماء الدين المنابر في صلاة الجمعة، ويقفون خطباء وواعظين للمصلين بعد الصلوات، يأمرون بالمروف وينهون عن المنكر، ويلومون الحاضرين للصلاة على بعض الأخطاء الفردية الصغيرة ويحرصون على تذكيرهم بأن العذاب ونار جهنم في انتظار الذين يخالفون القرآن الكريم أو يهملون السنة النبوية الشريفة.

إلا أن بعض هؤلاء العلماء يغضون طرفهم عن المظالم والمفاسد التي تضر الأمم والشعوب، كأنهم يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم.

لقد كان بعض سلفنا من علماء الدين في منتهى الأمانة والنزاهة والاستقامة ويقظة الضمير والزهد في المال والدنيا الفانية، وكان في مقدمة هؤلاء العلماء الأجلاء الإمام أبو حنيفة النعمان الذي رفض أن يتولى منصب القضاء لكي لا يضطر في يوم من الأيام أن يصدر حكماً تشوبه شبهة مجاملة السلطات، ودخل السجن من أجل المحافظة على مبادئه الأخلاقية السامية..

ولكن العالم الإسلامي ابتلي عبر تاريخه الطويل بالعديد من علماء الدين الذين باعوا أنفسهم للشيطان من أجل تحقيق مصالح دنيوية زائلة..

ومن أمثلة هؤلاء العلماء عالم في إحدى الدول العربية الشقيقة أخذ يدعو إلى جلد الصحفيين لمعاقبتهم على نشر أخبار يتداولها الناس خوفاً على مصير بلادهم، بتهمة نشر إشاعات تخلق البلبلة بين الناس.. وهي تهمة سياسية تلصق عادة بالصحفيين والكتاب الذين يُراد تأديبهم لسوابقهم في نقد السلطة السياسية بينما النقد هو نوع من أنواع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحثاً عن مصلحة البلاد والعباد.. ولخوف النبي ﷺ على أمته من بعض علماء الدين قال: (أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون) رواه أحمد والطبراني..

نشر في: 11/10/1428هـ
الموافق: 22/10/2007م

إساءة استخدام الدعاء في المساجد

من العبادات التي يسرها الله للمسلم الدعاء، حيث يستعين المسلم بالدعاء في طلب الخير من الله عز وجل. . والاستعانة بالدعاء دليل على تشرّب الإنسان بالإيمان والطاعة للمولى سبحانه وتعالى. . .

وإلى وقت قريب، كنا نسمع الدعاء على غير المسلمين من اليهود والنصارى بشكل عام في خطب الجمعة في بيوت لله، والدعاء على الآخرين من غير ذنب ارتكبوه في حق من حقوق المسلمين لا يجوز، لأنه يخلق الكراهية في النفوس وينشر العداوة بين البشر.

لا يجوز الدعاء على غير المسلمين المسالمين الذين لم يعتدوا علينا، لأن الإسلام يأمر أتباعه بالعدل، والدعاء على غير الظالمين للمسلمين من الظلم، ويأمرنا نحن المسلمين أن لا ندعوا إلا على من ظلمنا واعتدى علينا، وليس كل اليهود والنصارى من الظالمين، ولن نكون من المسلمين إذا حملنا الكراهية والحقد على الآخرين من غير ذنب اقترفوه ضدنا. .

فإذا كان الدعاء على غير المسلمين المسالمين مكروهاً، فإن دعاء المسلم على المسلم أشد كراهية، ورغم ذلك، فإننا نسمع بعض خطباء الجمعة في

مساجدنا يدعون على إخواننا في الدين الشيعة حتى في هذه الأيام، وقد حضرت قبل أسابيع خطيباً للجمعة يدعو عليهم ويصفهم بالرافضة،وهو عمل مرفوض جملة وتفصيلاً، لأنه يخلق الفتنة بين أبناء الوطن. .

وقد دعا أحد خطباء الحرم المكي بالدعاء على مَنْ ينتقدون بعض الممارسات الخاطئة لمنسوبي هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رغم أن عمليات النقد الصحفية كانت تعالج الأخطاء الجسيمة التي ارتكبها بعض رجال الهيئة، ولم يكن ضد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. . وهذا الدعاء يتعارض مع الهدي النبوي الكريم الذي كان يقول في بعض أدعيته: (اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون) فدعا لهم بالهداية ولم يدع عليهم. . وروى البخاري عن أبي هريرة أنه قال: قدم الطفيل وأصحابه، فقالوا: يا رسول الله إن «دوساً» قد كفرت وأبت، فادع الله عليها، فقال: (اللهم اهد دوساً وأئت بهم)، وهنا أيضاً دعا لدوس بالهداية ولم يدع عليهم. .

وأنتهز هذه الفرصة أقول لهؤلاء الخطباء: هل تعتقدون أن الله ظالم يستجيب لكل الأدعية حتى لو كانت أدعية فيها ظلم واضح؟ إن الله لا يظلم عباده تحقيقاً لرغبة بعض الأشخاص الذين يسيئون فهم الهدف من الدعاء، فالدعاء يكون بطلب الخير والصلاح وليس بطلب الهلاك والعذاب وتشويه صورة الآخرين. . والله سبحانه وتعالى ليس لعبة في أيديكم يعذب الناس حسب أهوائكم. .

نشر في: 18/ 10/ 1428هـ
الموافق: 29/ 10/ 2007م

جيش معاوية يرفع المصاحف من جديد

منذ أن انتقل خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز إلى رحمة الله وتولي الملك عبد الله بن عبد العزيز عرش المملكة العربية السعودية قبل حوالى ستة عشر شهراً على وجه التقريب، عاد الغلاة إلى ممارسة نشاطاتهم بكل قوة وحيوية في محاولة منهم لمنع أي محاولة للإصلاح والتطور..

ولعل من المناسب أن أروي باختصار أهم النشاطات التي مارسها هؤلاء الغلاة، وهي:

* كان من الفعاليات الثقافية في معرض الكتاب الدولي للكتاب في مدينة الرياض في محرم من عام 1427هـ ندوة بعنوان: (الرقابة الإعلامية ومتغيرات العصر)، وقد شهدت هذه الندوة وغيرها من الندوات تسلل بعض الغلاة إلى الندوة واحتلالهم للمقاعد الأمامية في مقر الندوة، وتهجموا على معالي وزير الإعلام الأسبق الدكتور محمد عبده يماني، وقاموا بتوجيه أسئلة استفزازية للمشاركين في الندوة تطورت إلى حد الاشتباك بالأيدي والاعتداء على أحد الصحفيين..

* شن الدكتور محسن العواجي هجوماً غير مبرر على معالي وزير العمل

الدكتور غازي القصيبي في مقال بعنوان: (غازي القصيبي أم يحيى البرمكي؟ التاريخ يعيد نفسه)، وهذه فقرة مهمة من مقاله:

ـ «أما اليوم فقد اختلف القصيبي ولم يعد مجرد وزير ولا مشير ولا سفير ولا أمير، بل أصبح خلقاً آخر، وبلغ مكانة لا يرقى إليها حتى بعض كبار الأمراء، ولربما حسب حسابه قبل حساب فلان أو فلان، وليس المقام مقام حسد ولا استعداء، ولكن من باب وضع حد للعبثية التي تمارس باسم البلاط ضد مصالح الأمة خاصة توجهاته التغريبية والتحررية التي ينحني لها كل فرصة لتمريرها بصعوبة..».

* شهد الإعلام السعودي إصلاحات مهمة في عهد وزيرها الحالي الأستاذ إياد أمين مدني، وهو الأمر الذي أثار حفيظة رعاة الظلام عليه، فطالبوا بإقالته لأنه قام بإذاعة وبث الأغاني والأفلام السينمائية وما شابه ذلك..

وكان ممن انتقد الممارسات الجديدة لوزارة الإعلام والثقافة الشيخ سعد البريك في لقاء مباشر معه في أحد البرامج على القناة الأولى، لأنها قلصت وبشكل لافت مدة البرامج الدينية، وتم إيقاف بعضها الآخر. ومنها البرنامج الذي يظهر فيه باستمرار على القناة الرياضية باسم: «بنص الشباب».

* وجه الشيخان سعد بريك ومحمد النجيمي تهمة التعامل مع جهات أجنبية إلى بعض كتابنا الصحفيين!

* تمثل المرأة نصف عدد العاطلين عن العمل في بلادنا، وللقضاء تدريجياً على هذه المشكلة الوطنية الخطيرة، قرر مجلس الوزراء التصريح للنساء بالعمل في المؤسسات والشركات الأهلية بإشراف وزارة العمل، إلا أن الغلاة حاربوا عمل المرأة بدعوى أن عملها يؤدي إلى اختلاطها بالرجال، لأن الاختلاط محرم، بينما هو غير محرم، لأنه يتم أمام الجميع، بينما تكون الخلوة في مكان سري بعيداً عن الأنظار.

* تشويه سمعة مسلسل: (طاش ما طاش) بدعوة أنه يسيء للدين، وإيهام العامة بصحة هذه التهمة، باستخدام آيات لا علاقة لها بأي تهمة من التهم التي ألقاها الغلاة على المسلسل، ولا يوجد في تلك التهم الملفقة أي نص أو مشهد مستخرج من المسلسل يؤيد صحة التهم الكاذبة. .

* إنشاء لجنة للآداب العامة في مدينة جدة، مما يوحي بأن الفساد الأخلاقي فيها قد زاد عن حده، وصارت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير قادرة على ممارسة واجبها في حماية الفضيلة ومحاربة الرذيلة، مما يستدعي قيام لجنة غير قانونية لمساعدتها في أداء واجباتها. .

* الإصرار على رؤية الهلال بالعين المجردة لإثبات دخول شهر رمضان المبارك، وإهمال الحساب وعلم الفلك في هذه العملية، رغم أننا نصلي صلواتنا الخمسة في أوقات معينة محسوبة بدقة كبيرة. .

* في الليالي الأخيرة من شهر رمضان المنصرم، قامت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمنع باعة الحلوى والمأكولات الشعبية من ترديد بعض الأغاني الشعبية الحجازية في الترحيب بعيد الفطر وترويج بضاعتهم الموسمية. .

* في المؤتمر الذي نظمه المستشفى التخصصي في مدينة الرياض حول مشروعية إيقاف أجهزة الإنعاش عن المريض المتوفى دماغياً، وعدم إجراء الإنعاش القلبي والرئوي لمرضى الحالات المتقدمة الذين لا يُرجى شفاؤهم طلب يوسف الأحمد بإخراج النساء من قاعة مؤتمر طبي محترم بدعوى أن ذلك من الاختلاط المحرم من وجهة نظره. .

* في ليلة من ليالي الأسبوع الثقافي الذي نظمته كلية اليمامة في مدينة الرياض، دخل الواعظ محمد الفراج في جدل مع عميد الكلية حول حضور

النساء إلى قاعة المحاضرات، لأنه من الاختلاط والاختلاط محرم عنده، رغم أنهن كن يجلسن في مكان منعزل. .

وقد حرص الغلاة على احتلال الصفوف الأولى لتسهيل عمليات الاعتراض التي ينوون تنفيذها، وحاول قائدهم محمد الفراج مقاطعة المفكر الدكتور عبد الله الغذامي أثناء إلقاء محاضرته، ثم تطور الأمر إلى محاولة الاعتداء على المحاضر المحترم، وغادر المكان تحت حماية رجال الأمن!

* وفي ليلة أخرى من الليالي الثقافية التي أعدتها كلية اليمامة، كان من المقرر في مساء يوم الإثنين 27/ 11/ 2006م عرض مسرحية بعنوان: (وسطى بلا وسطية) هجم بعض الغلاة الذين كانوا يجلسون في الصفوف الأولى على المسرح، وكسروا الديكورات، وحاولوا الاعتداء على الممثلين، وهو الأمر الذي استدعى تدخل قوات الأمن لحفظ النظام وإلقاء القبض على عدد منهم.

والحقيقة هي أن تلك الأعمال إنما هي ممارسات سياسية تحت غطاء ديني كما فعل معاوية بن أبي سفيان حينما أمر جنوده برفع المصاحف على أسنة الرماح عندما أحس بقرب الهزيمة أمام جيش الإمام علي بن أبي طالب، على أساس أنه يطلب حكم الله في حسم الخلاف السياسي بينهما، بينما كان هدف معاوية بن أبي سفيان من رفع المصاحف خداع الخليفة الرابع علي بن أبي طالب من أجل الوصول إلى كرسي الخلافة، وقد نجح بعد هذه الخدعة التي استخدم فيها المصاحف، وصار أول خلفاء بني أمية.

ومنذ ذلك الحين، ما زال بعض السياسيين يستخدمون الدين ويرفعون المصاحف أمام منافسيهم لتحقيق أهدافهم السياسية. .

والسؤال الذي أختتم به مقالي هذا:

ـ من هو معاوية الجديد الذي يقف وراء هذا الجيش من الغلاة الذين يحاولون تعطيل الإصلاحات ومنع التطور برفع المصاحف من جديد؟

ملاحظة: نشر ولكن بعد حصول ما يلي:

1 ـ تعديل عنوانه إلى: (كلمة حق يراد بها باطل)

2 ـ حذف بعض الجمل والفقرات منه

نشر في: 27/ 11/ 1427هـ
الموافق: 18/ 12/ 2006م

مؤسسة سعودية للتعايش بين الأديان

كَرَّسَ بعض رجال الدين المتشردين مفاهيمهم الموبوءة للإسلام عن طريق المساجد وخطب الجمعة والمدارس والمخيمات والمعسكرات الصيفية وبعض وسائل الإعلام والشريط الإسلامي والإنترنت، فزرعوا في نفوس الأجيال الجديدة الحقد والكراهية للآخر. .

واستخدم هؤلاء المتطرفون بعض النظريات الفقهية والفتاوي في إقناع الدهماء بوجوب القضاء على الآخرين عن طريق الكتب المدرسية التي تعلمهم نظرية الولاء والبراء التي زينت في نفوس الأجيال الجديدة الإرهاب والقتل، لأن كل الآخرين أعداء للإسلام، وَسَهَّلت على الشباب تكفير الذين يختلفون معهم في الرأي والفهم الديني، ودفعت أولادنا إلى الانتحار باسم شعار جميل هو شعار: (الجهاد). .

ومنذ أن اقتحم جهيمان ورفاقه الحرم المكي الشريف في عام 1400هـ انتشرت الصحوة الجاهلية ولعبت برؤوس نسبة كبيرة جداً من الدهماء والرعاع، وكان الهجوم الانتحاري بالطائرات على برجي التجارة العالمي في سبتمبر عام 2001م هو المؤشر القوي على مدى الخراب الفكري الذي انتشر بين العامة. .

انحط الفكر الديني، وساد بين الناس، وتم تشويه صورة الإسلام، رغم أن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه:

* ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الحج: 17]. .

* ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 62].

* ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: 69].

* ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 7].

إن الإسلام يعترف باليهودية والمسيحية والصابئة والمجوس والمشركين، ولا يحقد على الآخرين، ولا يعاديهم، ولا يقاطعهم، ولا يحاربهم، لأنه دين السلام والمحبة والتسامح والتعاون والمساواة، وهو الذي يقول: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ والله سبحانه وتعالى يعلمنا في هذه الآية الكريمة أنه عز وجل هو الذي خلق البشر جميعاً، ما يستوجب علينا أن نبذل الجهد اللازم للتعارف والتعامل والتعاون، ويخبرنا المولى عز وجل أن قيمة الإنسان بمقدار تقواه وخوفه من الله العزيز الكريم، وليس بسبب ماله أو نسبه أو موقعه الجغرافي. .

ولعل من أجمل الأخبار التي قرأتها مؤخراً هو ذلك الخبر الجميل الذي نشرته جريدة: «الجزيرة» يوم 28/ 4/ 1429هـ بأن رجل الأعمال المعروف الشيخ محمد عبد اللطيف جميل قد أسس قبل سنوات عدة في بريطانيا مؤسسات خيرية تدعى: «مؤسسة التعايش» هدفها تعزيز التفاهم بين أتباع الملة الإبراهيمية من طريق التعليم والتثقيف والحوار.

لا شك أن قيام الشيخ محمد عبد اللطيف جميل بتأسيس «مؤسسة التعايش» في بريطانيا، يعدّ من إحدى الحسنات العظيمة التي يقدمها للإنسان في العالم، وهو عمل ديني تاريخي يسجل له بكل المقاييس..

وأرى أن من المناسب ذكره في هذا الموضوع، هو أننا دائماً ندعو إلى الإسلام، ونفتح المساجد، في عدد لا يستهان به من دول العالم، إلا أننا نرفض أن يقوم أحد من أتباع الأديان السماوية بالحديث عن دينه، ونحارب إقامة كنيسة في بلادنا، ونعتبر كل مَنْ يتجرأ بالتصريح أو بالتفكير في ذلك من الخارجين عن الدين والملة، وربما نكفره، ونفتي بإهدار دمه، وأرى أن في اتهام كل منْ تسول له نفسه بالمطالبة بتعليم الأديان في بعض جامعاتنا، والسماح بإقامة معبد يمارس فيه أتباع الأديان السماوية عباداتهم، بأنه مرتد أو كافر أو منافق، يعتبر اتهاماً للإسلام نفسه بأنه دين هش يمكن أن ينهار حينما يمارس الآخرون عباداتهم كما نمارسها نحن في بلادنا وفي البلدان الأخرى بكل حرية..

وحتى يحين الوقت وتعم ثقافة احترام الأديان السماوية الأخرى، وتنتشر ثقافة التسامح والتعايش بين المسلمين، فإني كنت أتمنى أن أبني في أي مكان في العالم مجمعاً للعبادات يضم مسجداً وكنيسة وكنيساً يجمع المؤمنين بالأديان السماوية، ولأن العين بصيرة واليد قصيرة، فإني أطرح هذه الفكرة على كل المؤمنين بالله وكتبه ورسله الذين لا بد لهم من مواجهة العواصف والأعاصير والاتهامات الباطلة التي سوف تحيق بهم من أولئك الذين سوف يبادرون بالفتاوي التي تتهم كل مَنْ يؤيد هذه الفكرة بأنه منافق على أحسن الافتراضات، أو تتهمه بأنه كافر مدسوس بين المسلمين في أغلب الأوقات، والله المعين عليهم.

نشر في: 29/ 4/ 1429هـ
الموافق: 5/ 5/ 2008م

المحترمون يجلسون مع المحترمات

في يوم الإثنين الموافق 2/ 3/ 1429هـ كتب الأستاذ تركي عبد الله السديري رئيس تحرير جريدة: «الرياض» مقالاً بعنوان: (مَنْ عَلَّمونا.. وعلموا مَنْ علمونا) أنقل لكم أهم فقراته:

* قبل خمسين عاماً في بدايات المرحلة الابتدائية، كيف كنا نتلقى التعليم ونستوعب المفاهيم؟

* أليس من الغريب أن نكون الآن نوعية إسلامية أو ثقافية مختلفة عن الآخرين؟

* وأن نكون أكثر اختلافاً عن الإخوة الأشقاء في الجوار، مثل الإمارات والبحرين والكويت وقطر وعُمان التي وَجَدْتُ بها أفضل مظهر محترم للمرأة، فهي كاشفة الوجه، لكنها محكمة التحجب، ومحترمة التعامل أيضاً، من دون أن تكون خلفها عصاً تتحرك يميناً ويساراً، وتسمع نداء: «تستري» حيث في شكل المتابعة عندنا ما يوحي بأن المرأة لم تخرج من البيت إلا لكي تتبذل؟

* عند الإخوة الأشقاء الأقرب جواراً، وصلت المرأة إلى احتلال أربعة

مناصب وزارية في الإمارات، وحصلت على مواقع مماثلة عند الأشقاء المجاورين!

* لقد قطع الخليجيون شوطاً بعيداً في التقدم، لأن مَنْ عَلَّمهم، أو عَلَّم مَنْ عَلَّمهم، لم يكن معزولاً عما يحدث في الكون، سواء تعلق الأمر بمستحدث علمي، أو بمستحدث ثقافي. . اهـ. . .

فكتب الشيخ صالح بن فوزان تعليقاً على مقال الأستاذ تركي عبد الله السديري، نشرته جريدة: «الرياض» يوم الثلاثاء الموافق 3/ 3/ 1429هـ بعنوان: «كشف المرأة لوجهها ليس مظهراً محترماً» قال فيه: (هل كشف المرأة لوجهها مظهر محترم، وهو مظهر مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، اللذين يأمرانها بستر الوجه، لأنه محط الأنظار، ومركز الفتنة والجمال في المرأة؟

وكيف تكون المرأة محكمة التحجب، وهي كاشفة لوجهها؟ أليس هذا من التناقض؟

لا تكون محكمة التحجب حتى تستر جميع بدنها عن الرجال الذين ليسوا من محارمها بما في ذلك الوجه). . اهـ.

لقد حرصت على نقل فقرات من تعقيب الشيخ الجليل تخص وجه المرأة، تهدف إلى القول بأن كشف المرأة لوجهها ليس مظهراً محترماً، لأنه كان يعلق على إمكانية كشف المرأة لوجهها مع الاحتفاظ بمكانتها المحترمة، فيقول بأن ذلك ليس مظهراً محترماً، بدون دليل صريح من القرآن أو السنة.

وفي اليوم الذي نشرت فيه جريدة: «الرياض» تعقيب. شيخنا الكريم، نشرت الجريدة في الصفحة الخامسة والعشرين منها، تغطية إخبارية عن جائزة الملك فيصل العالمية، ونشرت معها صوراً لبعض أولياء أمرنا الموقرين يجلسون مع نساء محترمات في مناسبة سنوية ثقافية، ولم أشاهد فيها أي مظهر غير لائق

لأولئك النساء العالمات رغم أنهن لم يكن يرتدين نقاباً، يغطي وجوههن، وكن يجلسن مع شخصيات محترمة جداً جداً. .

ومن المؤكد أنه لو كان هؤلاء النساء اللاتي لا يغطين وجوههن أمام الرجال في مظهر مبتذل، لما سمح لهن أولياء أمرنا الموقرون بالحضور، فمابالك بالجلوس مع بعضهن على طاولة واحدة. .

ومن الجدير بالذكر أن أولياء أمرنا رعاهم الله، على مستوى لائق من الثقافة الدينية التي تجعلهم يفرقون بين الحلال والحرام والمباح، وسكوتهم عن التدخل في الحوارات الدينية، وبالذات في الأمور الخلافية، قد يكون من باب التشجيع على الحوار، وربما يكون سكوتهم موقفاً سياسياً مؤقتاً تقتضيه المرحلة التي نعيشها، وما قرار إجازة استيراد وتداول الجوالات ذات الكاميرا التي صدرت فيها فتاوي بتحريمها بغائب عن أذهاننا. .

وإذا كان هناك مَنْ يحرم قيادة المرأة للسيارة أو عملها في بيع المستلزمات النسائية أو يعارض ممارستها للرياضة، فإن الوقت لإباحة ذلك بقرار سياسي أصبح قريباً جداً. .

نشر في: 9/ 3/ 1429هـ
الموافق: 17/ 3/ 2008م

هل تزنـي الـممنوعـة من العمل؟

لعل القراء الأعزاء يذكرون الحكم الذي صدر في عام 2004م بجلد أحد المواطنين بجلده تسعين جلدة، لأنه قام بتشغيل فتاتين في مطعمه في مدينة سيهات بالمنطقة الشرقية من المملكة، على أن يتم تنفيذ الحكم في مكان عام على ثلاث دفعات بواقع ثلاثين جلدة في كل مرة. .

رأيت في بعض مراجعاتي لمكاتب جوازات جدة عدداً من النسوة، يعملن في تعبئة الاستمارات اللازمة لإنهاء إجراءات معاملات الإقامة والخروج والعودة والسفر النهائي، كما يقمن بتسديد الرسوم اللازمة لتلك البنوك من طريق البنوك مباشرة باستخدام الهاتف الجوال مقابل أجور معقولة، وكما كان بعضهن يقمن ببيع وجبات الطعام الخفيفة لمراجعي مكاتب الجوازات، وكن يزاولن أعمالهن الشريفة في ظروف صعبة تحت أشعة الشمس في أماكن لا تتوافر فيها وسائل الراحة أو دخول الحمامات عند اللزوم. .

وقرأت أيضاً أن بعض المؤسسات الدينية قامت قبل سنوات حينما صدر قرار مجلس الوزراء بإمكانية عمل المرأة في المعارض التجارية التي تبيع الملابس وأدوات التجميل النسائية، بحجة أن عمل المرأة في مثل تلك الأماكن التجارية يؤدي إلى الاختلاط بين النساء والرجال، مع أن الاختلاط بين البائعين

من الرجال والمشتريات من النساء موجود في طول البلاد وعرضها أمام الجميع، ولكن اختلف الحكم على هذه العملية عند بعض رجال الدين، لمجرد أن موقع المرأة في عملية البيع والشراء بين الجنسين قد اختلف شكلياً، فقد كان الرجل بائعاً والمرأة مشترية، وكان ذلك مباحاً في نظر أولئك الناس، ولما تغير موقع المرأة وصارت بائعة، قامت قيامتهم، وتعاونت بعض المؤسسات الدينية لمحاربة هذا التحول ومعاقبة المشتركين والمشتركات في عملية التحول التي كان الهدف منها توفير العمل الشريف الذي يضمن شرف المرأة وعفتها التي تريد أن تعيش كريمة من دون الاضطرار إلى السؤال..

والملاحظ أن معاقبة المشتركين في هذا التحول الاجتماعي في ميدان العمل الشريف اقتصرت على معاقبة صاحب العمل الذي يتجرأ على الممانعين لتشغيل المرأة، كما حصل لصاحب المطعم الذي شغل فتاتين، فحكمت المحكمة بجلده تسعين جلدة، ونجت المرأة العاملة من عقوبات محتملة..

ثم قرأت أن إمام مسجد اعترض شخصياً على قيام امرأة بإدارة مطعم لها بنفسها، وتطوع بتقديم شكوى إلى القضاء ضدها، لأنها تخالط الرجال العاملين والمرتادين لمطعمها، لأن الاختلاط حرام في نظره..

وحينما وجدت بعض المؤسسات الدينية أن مجلس الوزراء قد أجاز للمرأة أن تعمل، وألغى النص القديم الذي كان يمنع الاختلاط في العمل، وأن وزارة العمل أصبحت هي الجهة الوحيدة التي تراقب ضوابط تشغيل المرأة، وجدت أن من المناسب للاستمرار في تنفيذ رؤيتها بتحريم الاختلاط، اللجوء إلى الحيلة التي كان يستخدمها بعض موظفي الحسبة في محاربة الاختلاط وتبرير أخطائهم بأنها صادرة من بعض المتعاونين مع الحسبة، ولذلك فإن الحسبة غير مسؤولة عن أعمال هؤلاء المحتسبين المتطوعين..

فنشأت بناء على الوضع القانوني الجديد الذي يبيح الاختلاط فئة من رجال الدين تتطوع بمحاربة عمل المرأة بتقديم شكاوى إلى القضاء ضد أي امرأة

تعمل في تجارة أو حرفة يدوية، بحجة أن عملها يؤدي إلى الاختلاط، والاختلاط محرم في نظرها. .

أقول لكل مَنْ يحارب عمل المرأة بأنها تعمل عملاً شريفاً تحت نظر المجتمع والحكومة لتحافظ على كرامتها وتوفر المال اللازم لحياتها، وربما للإنفاق على أبويها الكبيرين في السن، وربما لأنها أرملة مسؤولة عن إعاشة أولادها وبناتها وتعليمهم والمحافظة على صحتهم، وإعدادهم لنوائب الدهر وغدر الأيام وفرار الأهل من المساعدة. .

وأقول لمن يحارب عمل المرأة: ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾؟؟؟ ألم تفهم هذه الآية الصريحة التي تستوجب على المسلمين تكوين جماعة لها ثلاث وظائف:

الوظيفة الأولى: الدعوة إلى الخير. .

الوظيفة الثانية: الأمر بالمعروف. .

الوظيفة الثالثة: النهي عن المنكر. .

وحيث إن الذين يحاربون عمل المرأة بدعوة أن العمل فيه اختلاط والاختلاط محرم، لأنه يؤدي إلى فسادها، هم من موظفي بعض المؤسسات الدينية، فإني أسألهم: لماذا لا تعملون على إحياء الوظيفة الأولى المفروضة على المسلمين، وهي الدعوة إلى الخير؟

فمن معاني الدعوة إلى الخير مساعدة الأرامل على الحياة حياة كريمة شريفة يصونها من ذل السؤال، فلماذا لا تعملون على توفير الأموال اللازمة لكي تعيش المرأة بدون عمل مع تحقيق رغبتها في رعاية أبويها الكبيرين في السن؟ ولماذا لا تعملون على توفير الأموال اللازمة للمطلقة؟ لماذا لا تعملون على توفير الأموال اللازمة لرعاية الأرملة التي عندها أولاد وبنات مسؤولة عنهم؟

وأسأل الذين يحاربون عمل المرأة: إذا كنتم تمنعون المرأة من الخروج

للعمل، وإذا كنتم عاجزين عن تطبيق الدعوة إلى الخير التي من معانيها ومقاصدها الشريفة توفير الأموال اللازمة لحياة كريمة للمرأة المحتاجة، هل تفهمون أن موقفكم هذا بالممانعة لعمل المرأة قد يؤدي أن تمارس الزنى لكي تعيش؟

هدانا الله وإياكم لما فيه الخير . .

نشر في: 7/ 5/ 1429هـ
الموافق: 12/ 5/ 2008م

وجه الشبه بيننا وبين أوروبا فكرياً..

عرقلت الكنيسة الفكر في العصور الوسطى وحاربت العلوم، فكانت سبباً في حلول الظلام وسيادة الجهل في أوروبا. .

فقد تناقض الفكر الديني للكنيسة آنذاك مع حقائق الأمور وقواعد العقول واحتكرت فهم الدين المسيحي، كما أوضح ذلك الشيخ الأزهري محمد أبو زهرة، فقال: «احتجزت الكنيسة لنفسها الحق في فهم الكتب المقدسة عندهم، واستبدت بتفسيرها دون سائر الناس، فلا معقب لما تقول في هذا التفسير، أو في أي رأي تبديه، أو أمر تعلنه، وعلى الناس أن يتلقوا قولها بالقبول، وافق العقل أو خالفه، وعلى المسيحي إذا لم يستسغ قولاً قالته الكنيسة، أو مبدأ دينياً أعلنته أن يُرَوِّض عقله على قبوله، فإن لم يستطع، فعليه أن يشك في العقل، ولا يشك فيما تقوله الكنيسة أو تتبناه، لأن البابا هو خليفة المسيح».

ونتيجة لذلك، هيمن رجال الدين السميحي على مقاليد الأمور وبسطوا نفوذهم على العلم والعلماء، وتعصبوا لفكرهم الديني، وَنَكَّلُوا بالمخالفين لآرائهم الدينية، واتهموهم بالردة، ونصبوا المحاكم لمن يناقشهم، وطردوا الرأي الآخر من الكنيسة، وحكموا على أصحابه بالسجن والقتل عن طريق محاكم التفتيش. .

وكانت تعاليم الكنيسة تقضي أنه الاعتراف وقيام المعترف بما يوصيه به الكاهن من كفارات تؤدي إلى غفران الخطايا، ويحصل المعترف بخطاياه على صك عن غفران ذنوبه، إذا دفع للكنيسة مبالغ معينة، حتى أن صكوك الغفران أصبحت تغفر جميع أنواع الخطايا في الماضي والحاضر والمستقبل، إذا كان الثمن المدفوع لقاءها كبيراً، ما ساعد في انغماس الناس في الذنوب، لأنهم أصبحوا قادرين على شراء صكوك تغفر أوزراهم وتنجيهم من عذاب الآخرة.

ومن أبرز الشواهد على الاستبداد الديني للكنيسة أنهارفضت نظرية العالم الفلكي: «كوبرنيكوس» عن دوران الأرض والكواكب حول الشمس التي هي مركز الكون، وأن ما يبدو لنا من أن الشمس تتحرك ليس صحيحاً، بل الذي يتحرك حولها هو كوكبنا الأرضي الذي يجعلنا ندور حول الشمس كأي كوكب آخر.. وقد أدانت الكنيسة هذه النظرية واعتبرتها من أشد الأخطار التي تواجهها المسيحية..

وإذا نظرنا إلى الفكر الديني السائد الذي يغلف سماءنا منذ ربع قرن أو أكثر قليلاً، نجد أنه يشبه الفكر الديني في أوروبا في القرون الوسطى من ناحية احتكار الفهم الديني والتعصب للرأي الأحادي ومحاربة الحداثة والعلوم، حتى حل الظلام في فضاء الفكر الديني الذي كان من أهم مخرجاته التكفير والإرهاب والقتل واتهام الليبراليين بالعمالة والخيانة ورفض الاستعانة بعلم الفلك في معرفة مواعيد الأهلة والإصرار على استخدام العين المجردة لرؤية الهلال، واستخدام الدين في نشر الأعراف القبلية، وتحريم الحلال من طريق الحيل الفقهية، ومقاومة تقنين الأحكام التعزيرية..

وبما أن الفكر الديني في العصور الوسطى في أوروبا قد تحرر من استبداد الكنيسة برأيها في فهم المسيحية بفضل شجاعة بعض المفكرين وجرأتهم في نقد الكنسية، فإن إصلاح الفكر الديني السائد في بلادنا، لا يحتاج إلى علماء

متحررين من الخوف يعملون على تجديد الدين فقط، بل يحتاج إلى قرارات سياسية تخفف من وطأة بعض المؤسسات الدينية التي تصر على عرقلة نهضة عقول الناس مع غفوتها عن طريق سلطاتها التي تضفي عليها صفة القداسة ترهيباً لمن يحاول إصلاح الفكر الديني السائد في بلادنا. .

نشر في: 14/ 5/ 1429هـ
الموافق: 19/ 5/ 2008م

سعودي ولكن

رغم أننا جميعاً أبناء المملكة العربية السعودية، إلا أن الملاحظ أنه لا يوجد شخص واحد انتمى في هويته إلى المملكة، وجاء في اسمه أنه فلان بن فلان السعودي . .

بينما السائد بين الناس هو إهمال هذا الوطن الكبير الذي يجمعنا في ظلاله والانتماء لأجزاء صغيرة منه، وهناك أسماء كثيرة تُنْسَبُ إلى القبيلة أو إلى أصولها القديمة، فعلى سبيل المثال يُقال:

* فلان بن فلان العسيري . .
* فلان بن فلان النجدي . .
* فلان بن فلان الحجازي . .
* فلان بن فلان البخاري . .

ورغم أنها جميعاً كيانات محترمين، إلا أن الانتساب إلى القبيلة أو الأصول كانا وما زالا يُستغلان على المستوى الشعبي لهدف من هدفين اثنين:

الهدف الأول: الاستعلاء على الآخرين . .

الهدف الثاني: تحقير الآخرين.

وهما هدفان يؤديان إلى التفرقة بين أبناء الوطن ويخلقان المشاكل والخصومات بينهم..

وفوق هذا وذاك، فإن الانتساب إلى القبيلة أو الأصول يؤديان إلى خلق عصبية مقيتة لا تقل خطراً عن الطائفية التي تلجأ إلى قتل بعض الطوائف للأخرى، كما نرى ذلك في العراق ولبنان، وتؤديان أيضاً إلى نسيان الانتماء للوطن، مما يقود إلى تراجع الحس الوطني..

وقد سررت كثيراً حينما قرأت أن إمام المسجد الحرام فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن السديس قد ألقى محاضرة بجامعة طيبة في المدينة المنورة، حذر فيها من التمسك بالنعرات القبلية والطائفية والمذهبية مؤكداً خطورتها على الأوطان.

وطلب الشيخ السديس بأن نتبنى مشروعاً حضارياً حول المواطنة لمواجهة دعوات الخروج على الوطن والتنكر لأرضه وترابه..

وقرت أيضاً ما نشرته جريدة: «الحياة» يوم 19/ 5/ 2008م وكتبه الدكتور علي الرباعي بأن عدداً من المثقفين والأكاديميين والإداريين في منطقة الباحة طالبوا جهات الاختصاص في وزارة الداخلية إلغاء الألقاب القبلية من بطاقات الهوية الوطنية، وإحلال اللقب العائلي بديلاً عنها، لأن تمسك بعض أفراد المجتمع بالقبيلة يؤدي إلى الانغلاق والتعصب..

وقال الأكاديمي سعيد الغامدي: إننا في أمس الحاجة إلى تنمية الوعي الوطني وصدق الانتماء للوطن ومحاربة كل ما يمكن أن يدمر هذه النعمة..

وفي دلالة قوية على الإحساس بمخاطر الانتساب للقبيلة أو الأصول أو المذاهب، صرح مصدر مسؤول في وزارة الداخلية بأن هناك تعليمات صريحة

بشأن تمكين أي مواطن من إلغاء لقب القبيلة والاكتفاء بلقب العائلة متى أراد ذلك..

وفي نظري أن ترك الخيار للأفراد للقيام بإلغاء انتمائه القبلي من بطاقة الهوية الوطنية ليس كافياً، لأن ظاهرة الانتساب للقبيلة أو الأصول قوية جداً، وتحرص عليها الكيانات الصغيرة، وليس من السهل القضاء عليها إلا بإلزام قانوني يفرض على الجميع تعديل ألقابهم بما يحقق الأولوية للوطن، لأن الوطن أولاً وأخيراً..

نشر في: 21/ 5/ 1429هـ
الموافق: 26/ 5/ 2008م
بعنوان:
«الانتماء للوطن قبل كل شيء»

رؤية الأهلة بالعين رؤية سياسية

حتى تاريخ اليوم، ما زال بعض رجال الدين في بعض المؤسسات الدينية يتمسكون بالحديث النبوي الذي يقول فيه الرسول ﷺ: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته**» ويتجاهلون الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «إنا أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب».

والحقيقة التي يعرفها الجميع أن الأحاديث النبوية يكمل بعضها بعضاً حيث أمر الرسول ﷺ أن يكون الصيام والإفطار بناء على رؤية الهلال، لأن الأمة الإسلامية في زمن النبي عليه الصلاة السلام كانت أمة أمية، لا تجيد الكتابة أو الحساب.

بعبارة أخرى، كان الصيام والإفطار في صدر الإسلام يعتمدان على رؤية الأهلة بالعين البشرية، نظراً لأن الأحوال الثقافية للمسلمين آنذاك كانت سلبية وغير مفيدة بأي حال من الأحوال..

أي أن الصيام والإفطار بالاعتماد على الرؤية بالعين البشرية كانا عملاً موقتاً ومرتبطاً بالجهل الذي كان سائداً في زمن الرسول ﷺ يمكن التحول عنه متى ما توفرت الظروف الثقافية المناسبة، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ

﴿وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: 5]. . وتخبرنا هذه الآية الكريمة بأن الشمس والقمر يتحركان في فلكهما بحساب دقيق من دون تقديم أو تأخير.

فإذا تطورت ثقافة الأمة الإسلامية وتخلصت من أميتها وتمكنت من القراءة والكتابة والحساب، وجب على المسلمين العودة إلى اليقين الثابت وأن يأخذوا بالحساب في إثبات الأهلة.

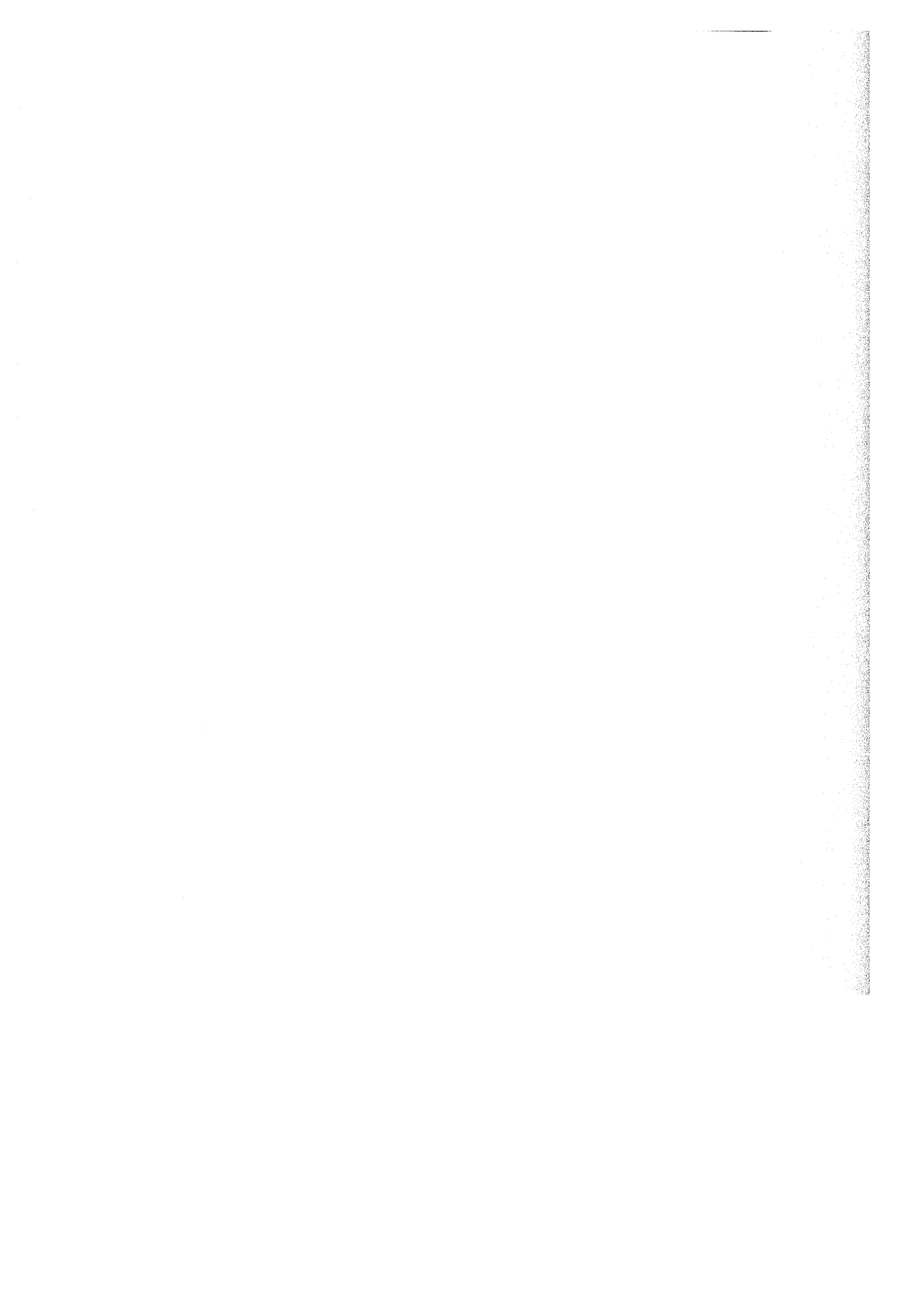
ومن الشروط التي تؤهل الإنسان لرؤية الهلال قوة نظره، إلا أن هذا الشرط لم يكن متوافراً على الدوام، فقد توهم بعض الشهود رؤية هلال رمضان في أحد الأعوام، بينما لم يره في الحقيقة، وإنما كانت شعرة من شعر حاجبه تتدلى فوق عينه، فلما عزم على رؤية هلال رمضان، توهم بأنه رأى هلال شهر رمضان، وبعد شهر من الشهادة، كان الشاهد يشكو من عينيه، وحينما راجع طبيب العيون، اتضح أن الشاهد الذي توهم رؤية هلال رمضان يعاني من ضعف نظره منذ وقت طويل، وأنه يحتاج إلى نظارة طبية. . وهو الأمر الذي يؤكد أن الخطأ وارد في رؤية الأهلة، وأن الحساب ينفي الخطأ في موعد دخول شهر رمضان أو خروجه، كما يؤكد دقة مواقيت العبادات عند الاعتماد على الحساب، مثل موعد صلاة المغرب وارتباطها بغروب الشمس وأن الشمس تغرب كل يوم في وقت معين، ومثل معرفة مواعيد كسوف الشمس وخسوف القمر قبل وقت حدوثهما بعشرات السنين بناء على الحساب الفلكي.

ورغم تطور الحالة الثقافية للأمة الإسلامية وانتشار التعليم وقدرة المسلمين في الوقت الحاضر على القراءة والكتابة والحساب، وهو الأمر الذي يجعل مواعيد الصيام والإفطار أمراً مؤكداً بشكل حسابي دقيق لا يشوبه أي خطأ بسبب تقدمهم الواضح في الثقافة والعلوم الطبيعية والرياضيات، إلا أن بعض رجال الدين في المؤسسات الدينية يتمسكون برؤية الأهلة بالعين البشرية

المجردة، وهذا الإصرار على رؤية الأهلة بهذه الطريقة إنما هو إصرار سياسي على أنهم أولو الأمر الذين جاء ذكرهم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: 59].

وهم بذلك يريدون أن يقولوا للجميع: «نحن شركاء في الحكم».

منع من النشر



ثلاثة كُتَّابٍ لمقال واحد!

الكاتب الأول: هو شيخ تجار الذهب الذي توزن كلماته بالذهب جميل فارسي، كتب مقالاً في جريدة: (المدينة) يوم 1/ 4/ 1424هـ بعنوان: (يا سيدي الدوق أعتق القطار)..

الكاتب الثاني: هو الكاتب المبدع الأمير عمرو محمد الفيصل، كتب مقالاً في جريدة: (المدينة) أيضاً يوم 15/ 4/ 1424هـ بعنوان: (رحلة إلى إيران)..

الكاتب الثالث: هو الكاتب الصحفي تركي الدخيل، كتب مقالاً في جريدة: (الاقتصادية) في اليوم نفسه بعنوان: (يحدث الآن في الرياض)

أزعم أن هؤلاء الكتاب الكبار الثلاثة كتبوا مقالاً واحداً، إلا أني لا أتهم أياً منهم بالسطو على مقال الآخر، ولكني أؤكد بأن هؤلاء الكتاب قد حبروا مقالاً واحداً، وجعلوه بعناوين مختلفة على سبيل التمويه الذي لا يخفى على قارئ غبي مثلي، كما أن هؤلاء الكتاب مبدعون في معالجة القضايا العامة رغم ما ارتكبوه من ذنب..

كتب هؤلاء الكتاب الكبار مقالاً واحداً، كما يفعل الطلبة في حالات

الغش من أجل النجاح، مع اختلاف بسيط في المدخل واتفاق واضح على النتائج، وأتصور أنهم أقدموا على فعلتهم كما كان يفعل ذلك اللص الظريف الذي كان يسرق أموال الأغنياء ويوزعها على الفقراء الغلبانين، وربما أقدموا على كتابة مقال واحد بعناوين مختلفة من باب التعاون الفكري، لأن أصحاب القلم أصدقاء، والأصدقاء يتآمرون أحياناً على الآخرين، ومن أجل المصلحة العامة . . .

إن كلامي السابق ادعاء يحتاج إلى إثبات بدليل قاطع، لأن الشرع يقول: «الدليل على المدَّعي واليمين على مَنْ أنكر» ولذلك فأنا مرغم على نقل فقرات من مقالاتهم بالنص الحرفي.

يقول شيخ تجار الذهب الصديق جميل فارسي بأنه كان في رحلة بالقطار من باريس إلى نيس ـ وهو الشخص الأناني الذي لا يوزع شيئاً من أمواله على الفقراء أمثالي، فلو أنه تبرع بتكاليف رحلته إلى فرنسا لتعليم أطفال في بلادنا لكان أزاح الظلام من عقول عدد من أبنائنا، ولكن حب الدنيا يسيطر على شيخ تجار الذهب، ولذلك أحقد عليك كثيراً جداً يا جميل ـ ويبدو أنه كان ينام في القطار ويشاهد كابوساً مفزعاً، فأراد أن يصف الكابوس الذي رآه لقراء الصحف ـ كما أعرف «جميل» أنه لا يترك أحداً في حاله ولا يريد أن نعيش في أحلامنا الجميلة، لكنه يأخذنا إلى المحطات المرعبة التي يتجول فيها، إنه يحذرنا منها لأنه لا يريدينا أن نعيش كما يعيش في العسل ـ ولو كنت تاجراً من تجار الذهب لعملت على إسقاطه من المشيخة التي يتمتع بها ورميته في الشارع لكي يجرب الحياة على الأرصفة والديون والفواتير وغلاء المعيشة . .

يبدو أني كتبت كلاماً متناقضاً عنك يا شيخ تجار الذهب، لقد لخبطتنا، سامحني يا شيخ، ليتني فرد من أفراد حاشيتك المنعمة التي كانت حولك في القطار حينما كنت في زيارة إلى فرنسا . . .

إن شيخ تجار الذهب شخصية مكاوية متعبة مثيرة للجدل، تصرفاتها

المستنكرة تغري بنقدها وفضحها، وهذا ما سوف أفعله عما قريب لأنه شخصية استفزازية.

سامحني أيها القارئ العزيز على وقفتي الطويلة نسبياً مع شيخ تجار الذهب الذي يفاجئني ويغضبني بأقواله وأفعاله ويعلنها على الملأ في وسائل الإعلام في تحد سافر لمشاعرنا.

أطلت بعض الشيء في الحديث عن شيخ تجار الذهب لكي أفضحه في أول فرصة قبل أن يمنعني رئيس تحرير الجريدة الذي قد يمارس الشطب والخوف والإلغاء لأي مقال فيه نقد لشيخ تجار الذهب الذي ربما يهديه قطعاً من الذهب والألماس في المناسابت لعله يكمم أفواهنا نحن قبيلة الكتاب..

بعد هذا العذاب الذي أسقيته للقراء الأعزاء بتشريح شخصية شيخ تجار الذهب أعود إلى مقاله الذي يقول فيه:

(في 27/ 11/ 1985 أوكلت الحكومة الفرنسية إلى مسيو «فرانسوا دي غلبان» تنفيذ فكرة قطار سريع يغني عن استخدام الطائرة للنقل الداخلي، بشرط أن ينفذ المشروع الطموح بتكلفة اقتصادية وفي حدود 850 مليون فرنك فرنسي فقط.

وبدأ مسيو «دي غلبان» تشكيل فريق عمل، وعين البرفسور «جاك لافوازيه» لمنصب المدير المالي، وهو من أبرع العقول الفرنسية في الحسابات وأستاذ مادة محاسبة التكاليف في السوربون، وقد كلفه بعمل دراسة الجدوى الاقتصادية. ثم بعد أربعة شهور من الحسابات المكثفة، حضر البروفيسور «لافوازيه» مبشراً باقتصاديات المشروع مقسماً بكل شعرة في شاربه الفرنسي الدقيق أن المشروع اقتصادي ومريح، ثم تمت تجربة النموذج الأولى للقطار وبدأ مد السكة الحديدية الخاصة به خروجاً من باريس جنوباً في اتجاه مدينة ديجون، إلا أنه عند بناء أول كيلو متر، فوجئ مسيو «دو غلبان» بالمركيز «جان بيير» يستدعيه إلى مكتبه ويقدم له اعتراضاً شديد اللهجة، وأخرج له صكاً من

التوثيقية العدلية الثالثة في باريس بملكيته لأرض غريبة الأبعاد، فعرضها تسعة أمتار فقط وهو بالصدفة العرض نفسه اللازم للسكة الحديد، وطولها 237 كلم وهو بالصدفة طول المسافة نفسه من باريس إلى ديجون، وهي مصادفة غريبة لا تحدث إلا مرة كل سبعين مليون سنة، وحيث إن الصك كان مصدقاً من دائرة النقض والاستئناف في باريس لم يجد البروفيسور «لافوازيه» بداً من دفع تعويض مجز للمركيز، وقال: سمننا في دقيقنا، قالها بالفرنسية: «نوتر بور فوندو دان نوتر فارين».

وعند خروج السكة الحديدية من ديجون في اتجاه مدينة ليون، فوجئ البروفيسور بـ«الكونتيس شارلز بن رينوار» يعترض بشدة مؤكداً له أن النفق الذي سيسير في داخله القطار يقع في قلب جبل «ايزولا»، وهذا الجبل ملك له ولأجداده منذ عهد «لويس الحادي عشر، ولديه شهود ما زالوا أحياء منذ ذلك العهد، وحيث إن النفق ضروري لسير القطار، اضطر إلى دفع تعويض مجز للكونتيس، (كله في سبيل القطار يهون)..

أما بعد خروج القطار من النفق، فقد تمنى مسيو «دو غلبان» أن مشروع القطار لم يخرج أبداً، فقد فوجئ بخروج النفق بالضبط على مزرعة البارون «روبير غاتييه» السابع عشر الذي أقسم برأس جده البارون «غاتيه» الثالث ألا يمر القطار في المزرعة إلا بعد دفع مليون ومئة ألف قطعة ذهبية، حيث إنه كان على وشك تحويل المزرعة إلى مخطط (الغاتتيهيا) أو مساهمة عقارية، فاضطر صاغراً للدفع (كله في سبيل القطار السريع يهون)..

وبعد تلك المزرعة وجب إنشاء محطة لمحولات كهرباء الضغط العالي للقطار، ففوجئ المسيو «دو غلبان» بأن المحطة تقع في مراعي الدوق «شانتال دي دعبول» شيخ دعابيل مقاطعة اللورين، حيث كانت خيول جده دعبول الرابع ترعى فيها، وهذا الدوق كان في غاية اللطف وخَيَّره بين أن يدفع له تعويضاً مجزياً أو أن يحول له القطار إلى خردة ويكسر رجل أي قطار يمر أمامه، فدفع

صاغراً لسيدي الدوق (كله في سبيل القطار السريع يهون). .

بعد تلك المراعي يوجد وادي نهر «الدورانس»، ما يستلزم إنشاء كوبري لمرور القطار، فوقه،، وبعد أن بنى مسيو «دو غلبان» أساسات الكوبري، أتته الكونتيسة «ماري لوبان لامي» بصك يشمل ضفاف النهر والأرض التي تحت مياه النهر، ورغم أن الكوبري معلق في الهواء، إلا أن الهواء فوق مياه النهرتابع لها، والكنتيسة، والحق يقال، كانت مرنة معه فخيرته بين أن يعوضها كما ترغب أو أن يحول خط القطار حول نهر الدورانس، وذلك يجعل مدة الرحلة ترتفع من أربع ساعات ونصف إلى 28 يوماً وثمان ساعات وربع. فبلا شك اضطر لدفع ذلك التعويض للكونتيسة.

واشتعل السباق بين القطار والصكوك، فالسكة الحديدية تتمدد والصكوك تتمدد أمامها، فكلما قطع القطار وادياً سبقته الصكوك، وكلما دخل القطار نفقاً لحقته الصكوك. . أخيراً، نعم أخيراً، وصل خط القطار إلى مدينة نيس.

وفي يوم الافتتاح العظيم، قدم البروفيسور «جاك لافوازيه» ميزانية المشروع وحساباته الختامية إلى مسيو «دو غلبان» الذي فوجئ بأن التعويضات رفعت التكلفة من 850 مليون فرنك فرنسي إلى 17 زليون و716 ترليون و671 بليون و176 مليون و 617 ألفاً و761 فرنكاً فرنسياً ونصف. . فأجهش في البكاء صائحاً بالفرنسية «عليه العوض ومنه العوض» وألقى بنفسه منتحراً تحت عجلات القطار السريع، وتطايرت من يده الأوراق والحسابات في الهواء، واستيقظت فزعاً على صوت الكمساري معلناً وصولنا إلى مدينة نيس، بئس الحياة في بلاد الفرنجة. . وهكذا انتهى الكابوس الذي شاهده شيخ تجار الذهب).

وبعد مناورة تكتيكية مناسبة ومدخل رائع، قال الأمير عمرو الفيصل ـ لا فُضَّ فوه ـ: (لاحظتُ كثرة الحدائق العامة في معظم المدن والقرى الإيرانية، وتعجبت أن أحداً لم يفكر في ضمها إلى بيته كما يحدث أحياناً، ويبدو أننا أكثر فطنة منهم في هذا الشأن على الأقل. .

كما أنني سافرت بين مدنهم ولعدة مئات من الكيلو مترات، مددت بصري على جانبي الطريق، فلم أر أسواراً طويلة تحد مساحات شاسعة من تلك الأراضي الواسعة، ولا حتى لافتة تبين بأن هذه الأرض أرض فلان أو علان من الناس..

أمر عجيب (!) يمر بمدينة أصفهان نهر جميل، وقد قامت البلدية بعمل كورنيش طويل على ضفتي النهر، ولكنهم لم يفكروا في بناء مقاه ومنتجعات عليها، بل تركوها بالكامل، لكي يستمتع بها الناس بالمجان، فتراها تعج بالمتنزهين صباحاً ومساءً من دون أن يعوقهم منتجع أو فندق أو حتى مقهى.

صدقوا أو لا تصدقوا، أن كل المدن التي زرتها كبيرة كانت أم صغيرة توجد بها مكتبة عامة ومتحف على الأقل..

يبدو أن هؤلاء القوم عندهم أولويات مختلفة عنا ، وهذا ليس غريباً، حيث إنهم ينتمون إلى حضارة تمتد إلى ستة آلاف سنة على الأقل).

ثم يتناول تركي الدخيل القلم من يد عمرو الفيصل، فيقول ـ سلمت براجمه من الأوخاز ـ بالحرف: (يشتري الناس منازلهم وفي اعتبارهم عناصر رئيسية: الحي مثلاً، وعرض الشارع، قربك أو بُعدك من المرافق، توافر الخدمات وانعدامها.. في حالتي أنا، كان المنزل مواجهاً لحديقة عامة صغيرة، تمنح هدوءاً في المكان، وهواءً نقياً ومساحات أرحب للموقع.

منذ عشرات الشهور يا صديقي ـ محدثاً صديقه عمرو الفيصل كما أتصور ـ ونحن ننتظر أن تتكرم علينا أمانة الرياض بزراعة حديقتنا الصغيرة التي تحيط بها منازلنا من كل جهة، وهي حديقة لا تتجاوز مساحتها 2500 متر مربع وقد سمعت من جيراني القدامى أنهم بذلوا مساعي وجهوداً كبيرة في مكاتب البلدية التي نتبعها لإقامة سور على الحديقة، كيلاً تتحول إلى أي مرفق آخر، أو على الأقل أن تبقى كما هي ولا يتم التصرف بها..

جاء الفرج كما بدا لنا صباح السبت ونحن متجهون لأعمالنا، شاهدنا مع أطفالنا مهندسين وعمالاً داخل حديقتنا يخططون ويرسمون وآلية ثقيلة تحفر الأرض هو المتنزه. .

لكن كل شيء تحول إلى دهشة في لحظات، قال المهندسون: إنهم يعدون العدة لإنشاء برج جوال ضخم في قلب حديقتنا، وبدأنا في رسم معالم المكان في أذهاننا يتوسطه برج التقنية العظيم كشاهد على التطور المادي والتخلف الحضاري الذي نعيشه. .

لم أشتر المنزل يا صديقي ـ اسمع يا عمرو الفيصل ـ كي أجاور برجاً للجوال، اشتريته، وكان على مخطط الحي اسم ورمز لمرفق هو «حديقة» هكذا كتب بالخط العريض، دفعت مبلغاً إضافياً كي أجاور حديقة لا لكي يعانق ناظري صباح مساء شكل هندسي أستظل بظله وأتقي به شرور العواصف).

عزيزي القارئ: أما الآن فإني أسحب زعمي بأن هؤلاء الكتاب الثلاثة قد كتبوا مقالاً واحداً، ولكنهم خدعوني وإياك بنشره تحت عناوين مختلفة، والحقيقة أنهم عالجوا موضوعاً واحداً بعناوين مختلفة، وقد ساعدهم إبداعهم على معالجة موضوع واحد بأساليب مختلفة. . وهو أمر يحسن أن يدرَّس لطلاب الكليات التي تدرس لهم الإعلام للوقوف على سر الإبداع وأساليب المعالجة الصحفية. .

وبدون لف أو دوران أقول: إنه توارد خواطر بين هؤلاء الكتاب يقول عنه الكفار هذه الأيام: (تلباثي) وتوارد الخواطر نوع من أنواع أحلام اليقظة، وأقول لمن لم يفهم: عساك العمى يا بليد. .

منع من النشر

ولا يفلح الساحر حيث أتى...

يلجأ بعض الناس إلى السحر والسحرة بحثاً عن حل لمشكلاتهم العاطفية والاجتماعية والمالية، وينفقون أموالاً طائلة يدفعونها لمن يطلق عليهم: «السحرة».

وتنتشر الاستعانة بالسحر والسحرة في الأوساط الشعبية جرياً وراء المستحيلات وربما المعجزات، فهذا يريد أن يستميل قلب حبيبته، وآخر يريد أن يراها، وثالث يبحث عن ترقية تأخرت عليه في عمله، ورابع يسعى لطرد عزول، وخامس يتمنى أن ينتصر فريقه على منافسة، وأن يحقق بطولة الدوري في كرة القدم، وسادس يبحث عن الثراء السريع، وهكذا. . .

ولكن يكون حديثي عن السحر مقنعاً، ألجأ إلى القرآن الكريم، وهو أوثق المصادر بهدف معرفة معنى كلمة: (السحر) التي يجهل معناها كثير من المثقفين، فما بالك بالعوام، لذلك أستعين بكلام الله في كتابه العزيز، فقد قال تعالى:

* ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ أي فلما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم أَثَّرُوا على أعين الناس حتى خُيِّلَ إليهم أنها ثعابين تتحرك. .

* ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ تؤكد هذه الآية الكريمة بأنه حينما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم على الأرض خُيِّلَ للمشاهدين بأنهم يرون ثعابين تتحرك، وأن ذلك الذي يشاهدونه ليس تحويلاً للحبال والعصي إلى ثعابين وحيات، وإنما هو مجرد خيال خُيِّلَ لعيونهم بأنها ثعابين تسعى على الأرض بسبب براعتهم في التلاعب وتحريك العصي والحبال. .

لتقريب عمل السحرة، أذكِّر القارئ الكريم بإحدى الظواهر الطبيعة، فالسَّراب الذي نراه على الطرق المبلطة والمعبدة بالزفت التي تسخن بشدة تحت تأثير أشعة الشمس، وبسبب لونها الأسود، يبدو سطح الطريق من بعيد كأنه مغطى ببركة من المياه، ويحسبه الظمآن ماء، وما السراب إلا خدعة بصرية، وكذلك الساحر يقوم بخداع الأبصار بناء على ثقة صاحب الشأن به. .

ولذلك قال الله تعالى عن السحرة:

* ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾. .

* ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾. .

تؤكد الآيتان بأن السحرة فاشلون، لا يستطيعون تغيير إرادة الله سبحانه وتعالى الذي كتب أقدار البشر في اللوح المحفوظ، وليس بإمكان الساحر أن يُعَدِّلَ ما كتبه الله عز وجل، وكل مَنْ يؤمن بقدرة ساحر على تغيير عواطف الآخرين وسلوكهم، فإنه يكون من المشركين والعياذ بالله.

وقد تساعد الأقدار على التوهم بأن الساحر قد نجح في العمل المطلوب منه، إذا تحقق المطلوب عن طريق المصادفة، فيظن بعض الجهلة بأنه نجح في مهمته، وأنه ساحر بارع؛ كما أن الساحر المحتال ينسب التغيير الذي حدث بأمر الله إلى نفسه. .

أما إذا فشل الساحر في تحقيق المطلوب منه، فإنه يختلق الأعذار، كأن

يدعي مثلاً بأن حبيبه الذي هجره مسحور، وأن السحر المعمول له ملقى في عمق البحر، وأن قرينه الذي يستخدمه لإفساد العمل وجلب حبيبه يطلب ألف دولار جديدة مسلسلة الأرقام، وإذا فشل مرة أخرى، ينسب فشله لأسباب دينية تجنباً للإحراج ودفعاً لتهمة الفشل..

وأخيراً: ليت بعض ضحايا السحرة الذين أضاعوا أموالهم في الأوهام يروون قصصهم المأسوية لكي يستفيد الآخرون...

نشر في: 18/ 8/ 1420هـ
الموافق: 19/ 8/ 2008م

أهداف سياسية بمظلة دينية

تعاني بلادنا الغالية من البطالة التي بلغت معدلات عالية، مع ملاحظة أن نصف هذه البطالة من النساء وربما أكثر من ذلك، ولا يخفى على أحد مخاطر هذه المشكلة الوطنية على أخلاق العاطلين وآثارها السلبية على الأمن العام. وهذا يعني أن بلادنا إزاء قنبلة خطيرة يمكن أن تنفجر في أي لحظة إن لم نبادر بمعالجتها والقضاء عليها اليوم وليس غدا.

والحمد لله أن الحكومة أدركت مدى خطورة مشكلة البطالة على المجتمع، فصدر قرار مجلس الوزراء رقم 187 بتاريخ 17/ 7/ 1426هـ بالترخيص للنساء بالعمل في المؤسسات والشركات الأهلية، وأناط مسؤولية تنفيذه إلى وزارة العمل واعتبارها صاحبة الاختصاص في تطبيق ضوابط تشغيل النساء كأجيرات لدى أصحاب العمل، على أساس أنها الجهة المعنية بتطبيق نظام العمل الذي تضمن في فصله العاشر الأحكام المنظمة لذلك. إلا أن هذا الأمر لم يعجب رجال الدين في بعض المؤسسات الدينية، فأخذوا في محاربة عمل المرأة باستخدام بعض الوسائل التي من أهمها:

* منابر المساجد في خطب الجمعة.

* المواعظ الدينية التي تلقى على المصلين عقب الصلوات.

بعض وسائل الإعلام المتعاطفة مع هذا الاتجاه بحجة أن عمل المرأة يؤدي إلى الاختلاط بالرجال، وأن الاختلاط حرام، وما هو بحرام، والاختلاط ليس خلوة، وهناك فرق عظيم بينهما، لأن الخلوة هي وجود رجل وامرأة وحدهما في مكان مغلق لا ثالث لهما فيه، لا يراهما أحد، ولا يريان أحداً، أي أنها عملية سرية يصعب اكتشافها وقد تؤدي إلى ارتكاب فاحشة.. ولا يعتبر اجتماع رجل وامرأة في طريق عام أو سيارة في الطريق أو مشفى أو مطعم أو مكان العمل خلوة محرمة، لأن وجودهما في مكان عام يعني أنهما تحت نظر العموم أي أنهما تحت المراقبة.

وتحريم الاختلاط تجاوز من البشر على حق من الحقوق الإلهية قد يصل إلى حد الشرك والعياذ بالله... إذ لا يحق لأحد من البشر أن يحل أو يحرم لقوله ﷺ: «**ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً**» ثم تلا قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ الآية من سورة مريم.

لقد كان الاختلاط أمراً مألوفاً في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده، وتدلنا كتب الحديث على أن مشاركة المرأة للرجل في شتى ميادين الحياة الاجتماعية كانت معروفة، وهذه بعض العناوين التي استخدمها جامعو الحديث تؤيد ذلك:

* باب جهاد المرأة.
* باب غزو المرأة في البحر.
* باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال»
* باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء.
* باب مداواة النساء الجرحى.

* باب عيادة النساء الرجال.

* باب بيعة النساء.

* باب هل يداوي الرجل المرأة والمرأة الرجل؟

* باب تسليم الرجل على النساء والنساء على الرجال.

* باب قيام المرأة على الرجال في العرس وخدمتهم بنفسها.

وللتأكيد على جواز الاختلاط، أنقل للقارئ الكريم من كتاب الوضوء في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر أنه قال: «كان الرجال والنساء يتوضأون في زمان رسول الله ﷺ جميعاً» وزاد ابن ماجة عن هشام بن عمار عن مالك في الحديث: «من إناء واحد»، وزاد أبو داوود من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر: «ندلي فيه أيدينا». والجميع في اللغة ضد المفترق، أي أنهم كانوا يتوضأون معاً في مكان واحد.

إن محاربة عمل المرأة بوساطة هؤلاء وأتباعهم المبرمجين له أهداف سياسية تمارس تحت مظلة دينية، وعلى رأس تلك الأهداف إفشال قرار مجلس الوزراء وإحراج صاحب القرار السياسي لكي يعرف أنهم شركاؤه في القرار السياسي، وعليه أن يقبل مشاركتهم.

نشر في: 4/ 7/ 1429هـ
الموافق: 7/ 7/ 2008م

هذه ليست كلية للطب...

أعتقد أن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قد حققت الأهداف التربوية والعلمية التي أسست من أجل تحقيقها، ولم تقتصر خبراتها على بلادنا بل عمت أنحاء الدنيا، وزاد عدد خريجها عن الحاجة، حتى أنهم باتوا لا يجدون عملاً، وأصبح كثير منهم من العاطلين، وهناك سلبيات واضحة جداً لأولئك الذين يعانون من البطالة من هؤلاء الخريجين، لأنهم تلاميذ الصحوة، ومتأثرون بأفكار وأيدولوجيات قلقة تجري وراء أوهام السيطرة والتغيير والحكم المتسترة بعباءة تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.

وحيث إن الأهداف القديمة لهذه الجامعة لم تعد مناسبة للعصر، ولأن خريجيها يعانون من البطالة لعدم حاجة سوق العمل إلى خريجي الكليات النظرية كان من المناسب تحويل هذه الجامعة العريقة إلى جامعة للعلوم الطبيعة والتقنية لسد حاجة المملكة لأجيال جديدة درست العلوم الصناعية والكيماوية والزراعية والتكنولوجية والطبية وما إلى ذلك، وكان إنشاء كلية للطب والعلوم الطبية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية خطوة من الخطوات العديدة اللازمة لتطويرها لكي تكون مخرجاتها مفيدة. . .

لكني يئست من إصلاح هذه الجامعة العريقة حينما قرأت الحديث

الصحفي الذي حصلت عليه جريدة «الحياة» يوم 22/ 5/ 1429هـ لأول عميد لكلية الطب فيها حينما قال للجريدة:

«ستتبنى الكلية بعض المقررات التي لها علاقة بالعلوم الشرعية، مثل مقرر الطب النبوي أو الطب المبني على القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية، وستستثمر العلماء والأساتذة الموجودين في سائر الأقسام الشرعية بمشاركة أعضاء هيئة التدريس».

وقال أيضاً: «وكذلك سيكون هناك مقرر عن فقه الطبيب المسلم وأخلاقياته، وأيضاً مقرر الطب البديل أو الطب المكمل، إضافة إلى مقرر تاريخ الطب الإسلامي.

وما يعنيني من نقل الفقرتين السابقتين من حديث عميد كلية الطب في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، هو أن الكلية قد قررت تعليم طلبة الطب مادتين جديدتين في تاريخ كليات الطب، وهما:

أولاً: الطب النبوي، بينما المعروف دينياً وتاريخياً أن النبي ﷺ لم يبعث طبيباً، وإنما أرسله الله سبحانه وتعالى داعياً للتوحيد وعبادة الله والعمل الصالح، وقد كان ابن القيم مؤلف كتاب: «الطب النبوي» أول من نشر هذا الوهم بين المسلمين، واتبعه المقلدون..

ثانياً: الطب البديل، فإذا كان المقصود به العلاج بالأعشاب، فسوف يؤدي إلى حصول مضاعفات خطيرة لمن يطلبون الشفاء، وقد تنتهي بتعطيل بعض أجزاء المريض، مثل الكبد والكلى والبنكرياس والرئة والقلب، أما إذا كان المقصود به الطب المكمل للعلاج الطبي، مثل التدليك الطبي والتدريب على ممارسة بعض الحركات الرياضية اللازمة للمريض وخاصة بعد إجراء بعض العمليات الجراحية، فإنه عمل مكمل لعمل الأطباء، وينقص كثيراً من المشافي في بلادنا..

وقد حضرت في نهاية الأسبوع المنصرم مناسبة اجتماعية سألني بعض الحاضرين ممن قرأوا حديث عميد الكلية المذكورة فقالوا إنه بناء على اهتمام كلية الطب بجامعة الإمام بتعليم طلبتها بعض المواد التراثية على أساس أنها مواد ذات علاقة بالطب:

لماذا لا تدرس الكلية الجديدة بعض العلوم التراثية الطبية مثل: علاج الأمراض المستعصية بالرُّقية، أو بالحجامة، أو بالحبة السوداء، أو بالعسل، أو بالكي، أو بالسُّعُوط، أو ببول الإبل؟!

وتعليم طلبتها كيفية معالجة السحر والحسد والعين والرَّبْط، ومَنْ تلبسه جني، ومَنْ عشق جنية ويريد أن يتزوجها؟!

فقلت لمن أطلق السؤال: هل تريدها أن تكون كلية علمية للطب، أم تريدها كلية لمعالجة الأوهام والخرافات الشعبية السائدة بين العوام؟

فقال لي: إذا كانت أفكار الصحوة ما زالت سائدة، فلن تخرج هذه الكلية إلى النور بشكل تعترف بها كليات الطب العالمية، لأنها سوف تقذف طلبتها إلى مجاهل الظلام..

فقلت: أخشى عليها أن تؤسس على إقناع الطلبة بالخرافات البائدة، وتبقى خارج التاريخ مثل غيرها..

فاتني تسجيل تاريخ نشره

كليات شرعية في كل الجامعات

نشرت بعض الصحف المحلية يوم 7 ـ 7 ـ 1429هـ احتجاجاً لفضيلة عضو هيئة كبار العلماء الشيخ صالح بن فوزان الفوزان تحت عنوان: «لماذا يفتح في الجامعات الإسلامية كليات مدنية، ولا يفتح في الجامعات المدنية كليات شرعية؟» لمن فاته قراءة ذلك الاحتجاج أنقل له نصه، ثم أناقش احتجاجه.

«كل يوم تنشر في الصحف أخبار عن فتح كلية الطب وكلية للعلوم، وكلية في جامعة الإمام والجامعات الإسلامية، وغيرها، ولا يفتح في الجامعات المدنية كليات شرعية، رغم المطالبة الملحة في ذلك، إننا نرجو من المسؤولين الاهتمام بهذا الأمر المهم، فالناس بحاجة إلى العلوم الشرعية أكثر من حاجتهم إلى الطب والعلوم وغيرها، لأنهم بحاجة إلى المفتي والإمام والخطيب والقاضي والداعية أكثر من حاجتهم إلى الطبيب ونحوه، وهم بحاجة كذلك إلى الفقه في دينهم وعبادتهم، وبحاجة إلى تقويم الأفكار والبعد بها عن الانحراف والغلو والتطرف، ولا يمكن ذلك إلا بدراسة العلوم الشرعية والعقائد الصحيحة والمنهج السليم.. الخ»..

أولاً وقبل كل شيء، أقول الحمد لله الذي رزقنا فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان الذي سخره الله ليضيء الطريق لأبناء الشعب السعودي بأفكاره النيرة، وكم أتمنى بهذه المناسبة أن تترجم أعماله إلى لغات لينتفع بها البشر في الكون الذي يعيش في ظلام، بينما ننعم نحن السعوديين بأفكاره التي تساعد على تقديم الحضارة البشرية كلها، إلا أن ذلك لا يمنع أحداً من مناقشة آرائه.

إن عدد الخريجين من الجامعات الإسلامية والكليات الشرعية فاق حاجة البلاد منهم، حتى أصبح معظم العاطلين عن العمل من هؤلاء الخريجيين... ولا يخفى على أحد خطورة البطالة التي تجعل الإنسان يرتمي في حضن الشيطان لكي يعيش، ويكون من السهل لأولئك المحرضين له على القتل والتخريب والعصيان باسم الجهاد في سبيل الله، بينما هو ينتحر، وينال عقابه الفوري احتراقاً بالنار التي تشتعل في جسمه وبالألغام التي تمزق جسده، إنه يقتل نفسه التي حرم الله قتلها، لكي يصل المحرض لأهدافه السياسية في الحكم على حساب أرواح المغرر بهم.

المتخرجون من الجامعات الإسلامية والكليات الشرعية والمدارس التي يسيطر عليها معلمون متشدون... المتخرجون من الجامعات الإسلامية والكليات الشرعية بعشرات الآلاف إن لم يكونوا بمئات الآلاف عاطلون عن العمل، بينما نحتاج إلى نصف قرن من الزمن لسد حاجتنا من الأطباء والممرضين والفنيين، وهذا يعني أن بلادنا بحاجة إلى كليات للطب والعلوم أكثر من حاجتها للجامعات الإسلامية والشرعية. إن معالجة بعض الأمراض المستعصية تحتاج إلى عمليات جراحية كبيرة مؤلمة، تؤلم المريض وأهله، ولذلك نحتاج إلى أكبر قدر من الصراحة والوضوح، وهو الأمر الذي يستدعي أن نقرأ صورة الأشعة المأخوذة للمريض قراءة سليمة، ولا نتجاهل ما فيها، وإلا مات المريض.

بصراحة: إن عدد المواد النظرية والشرعية في المدارس والجامعات المدنية تزيد على ثلثي المواد الدراسية، فماذا كانت النتيجة؟ إن محتويات هذه المواد تحوي أفكاراً دينية متشددة تؤدي إلى احتقار المرأة باسم الدين وازدرائها باسم النبي ﷺ، وتعلم الأجيال الجديدة ما يسمى بقاعدة «الولاء والبراء» التي تزرع الكراهية للآخرين وتصنع الإرهاب، وتعلمهم ما يسمى بقاعدة «سد الذرائع» التي تعمل على نشر الأعراف القبلية باسم الدين، وتحوِّل بعض الأمور المباحة إلى محرمة بدعوى أنها تؤدي إلى ارتكاب المحرمات، والمرأة من أشهر ضحايا هذه القاعدة الفقهية التي وضعها البشر ولم تنزل من السماء، حرمت هذه القاعدة الاختلاط بإضفاء حكم الخلوة المحرمة شرعاً على الاختلاط، إذ لا يوجد نص في القرآن أو السنة يحرم الاختلاط. المتخرجون من الجامعات الإسلامية والكليات الشرعية التي علمت طلابها هذه الإشكاليات هم الآن أئمة المساجد وخطباء الجمعة والدعاة والقضاة الذين يرسخون تلك المفاهيم الدينية الخاطئة ويفرضونها بقوة السلطة عبر المناصب التي يحتلونها، ويعاقبون بالجلد والسجن كل من يخالف مفاهيمهم التي يرون أنها الوحيدة الصحيحة وغيرها باطلة. إن الفكر الذي زرعته بعض مدارسنا وجامعاتنا، ونشره بعض خطبائنا ودعاتنا هو الذي صنع فكر جهيمان العتيبي دينيا، وفكره هو الذي جعله يقتحم الحرم المكي عام 1400هـ ويعطل الصلاة فيه للمرة الأولى في تاريخ البيت الحرام، وهذا الفكر هو الذي أرسل خمسة عشر من أبنائنا إلى نيويورك للانتحار والقتل بالطائرات التي اصطدمت ببرجي التجارة الدولية في تلك المدينة وقتلت آلاف الأبرياء، وهو الذي قاد بعض أبنائنا منذ عام 1412هـ إلى تفجير بعض المجمعات السكنية التي كان يسكنها أبرياء يعملون في خدمة بلادنا، ولم يعتدوا علينا، ولم يهاجمونا بالسلاح، وما زال بعضهم يحاول حتى اليوم تخريب المناطق البترولية والمنشآت الصناعية، وقتل الأبرياء، لولا أن وزارة الداخلية

تقف لهم بالمرصاد، وألقت القبض على المئات منهم في ضربات استباقية ناجحة، نالت الإعجاب والتقدير من المواطنين المخلصين، وما زالت هناك خلايا نائمة منهم.

إذا كان الأمر كذلك، فهل من المنطق أن نقول:

لماذا لا تفتح كليات شرعية في كل الجامعات؟

نشر في: 11/ 7/ 1429هـ
الموافق: 14/ 7/ 2008م

السبيل إلى الجنة

ربما يكون الحديث المشهور الذي قال فيه النبي ﷺ: «**من بنى مسجداً بنى الله له قصراً في الجنة**» هو الذي أدى إلى اعتقاد المسلمين بأن الطريق إلى الجنة مقتصرة على بناء المساجد، بينما المعروف أيضاً بأن الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في عهد النبوة هي التي جعلت النبي عليه السلام يطلق هذاالحديث لحث المسلمين على بناء المساجد لأنها المكان الذي يجتمع فيه المسلمون خمس مرات يومياً، ما يتيح له الفرصة لنشر الإسلام، إذ كان المسجد هو المنبر الإعلامي المناسب لذلك العصر لبث الدعوة المحمدية في ظل غياب وسائل الإعلام المعروفة عندنا، كالإذاعة والصحافة والتلفاز والإنترنت.

وهذا دليل على أن الكثيرين من المسلمين لا يقرأون القرآن الكريم قراءة متأنية واعية ولا يتأملون معانيه الإنسانية السامية، وإنما يحفظون آياته كالببغاء بهدف تلاوتها أثناء أداء العبادات، وليس هذا هو المقصود من تلاوة القرآن الكريم.

وحينما أذكر الآن بعض الآيات الكريمة تبدو لكثير من المسلمين بأنهم يقرأونها لأول مرة، بينما أنا متأكد كل التأكد أنهم قرأوا القرآن الكريم كله عشرات المرات على الأقل.

* قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ الآية: 82 من سورة البقرة.

* قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ الآية: 58 من سورة العنبكوت.

* قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ الآية: 124 من سورة النساء.

* قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الآية: 40 من سورة غافر.

تخبرنا تلك الآيات الكريمة أن الأعمال الصالحة تؤدي إلى الجنة والخلود فيها، وأن دخولها ليس محصوراً ببناء المساجد كما هو شائع عند كثير من الناس، وهو الأمر الذي كان سبباً في كثرة المساجد في بلادنا إلى حد أن أصوات الآذان الصادرة من مآذنها صارت تشوش على بعضها، وكان أيضاً سبباً في قلة عدد المصلين في كل منها.

إن الذين يفهمون الإسلام، ويدركون مقاصده السامية هم الذين يُقْبلُون على الأعمال الخيرية التي لا حصر لها، وأذكر منها بعض الأمثلة التي يحتاج إليها الناس، وهي: كفالة الأيتام، رعاية الأرامل، معالجة المرضى، توفير المال اللازم لمعيشة الفقراء والمساكين، بناء المشافي، ابتعاث الطلبة للخارج لاستكمال دراستهم العليا، بناء المساكن للمحتاجين، خلق فرص عمل للعاطلين، تعليم وتدريب الشباب على مزاولة المهن والحرف الفنية اللازمة للمجتمع، تنظيم المسابقات العلمية، دعم العلماء والكتاب والأدباء والشعراء، المساعدة على ترجمة الكتب المفيدة من اللغات العالمية للعربية وبالعكس، عقد المؤتمرات الفكرية للحوار بين أتباع الأديان، التشجيع على الحوار والتسامح، التعايش مع الآخرين، وغير ذلك كثير.

وقد لفت انتباهي مؤخراً الدعم الذي تقدمه صاحبة السمو الأميرة الجوهرة بنت إبراهيم البراهيم حرم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله لبعض الجهات، حيث قامت ببعض الأعمال الخيرية لمساعدة بعض الجامعات المحلية والعربية، من ذلك:

* تبرعها بخمسة عشر مليون ريال لإنشاء مركز للتميز البحثي في الأمراض الوراثية في المركز الطبي بجامعة الملك عبد العزيز بجدة. . .

* تبرعها بمبلغ مماثل من أجل إنشاء مركز يقوم بأبحاث الأورام ويضم وحدتين، هما: **الأولى**: وحدة أبحاث سرطان الثدي.

الثانية: وحدة أبحاث الأورام. .

ومن المتوقع أن يكون هذا المركز رائداً محلياً وعالمياً في أبحاث السرطان الذي صار يفتك بكثر من المرضى في السنوات الأخيرة.

* تبرعها السخي للطب الجزئي وعلوم الموروثات والأمراض الوراثية في جامعة الخليج العربي. والحقيقة أن تبرع صاحبة السمو الأميرة الجوهرة بنت إبراهيم الإبراهيم والدة صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن فهد بن عبد العزيز لدعم الأبحاث العلمية في الجامعات، إنما هو جزء من أعمالها الخيرية الواعية الناتجة عن فهم صحيح لمقاصد الشريعة الإسلامية التي تهدف إلى مكافأة كل من يعمل عملاً صالحاً بالجنة في الآخرة والسعادة في الدنيا. . ونشر التعاون والمحبة بين أفراد المجتمع.

وهي تستحق التقدير والاحترام باعتبارها أول سيدة سعودية رائدة في الأعمال الإنسانية الخيرية. . . ومن ناحية أخرى، تؤكد لنا هذه الأميرة الفاضلة بأن أعمال الخير لا تقتصر على بناء المساجد. . .

نشر في: 25/ 7/ 1429هـ
الموافق: 28/ 7/ 2008م

صدر للمؤلف

* قالوها في الحارة: مجموعة أمثال شعبية مجازية.
* الفولكور السعودي المصور.
* الإصلاح السياسي هدف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
* إصلاح الفكر الديني أولاً.
* الاستبداد عند خير أمة أخرجت للناس.
* بر الوالدين: من سلسلة مكارم الاخلاق.

كما نشر المؤلف ما لا يقل عن 300 كتاب للأطفال كان آخرها كتاب: (الألفباء المتحركة).

المحتويات

المحور الثاني: هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المحور الثالث: هموم فكرية دينية عامة